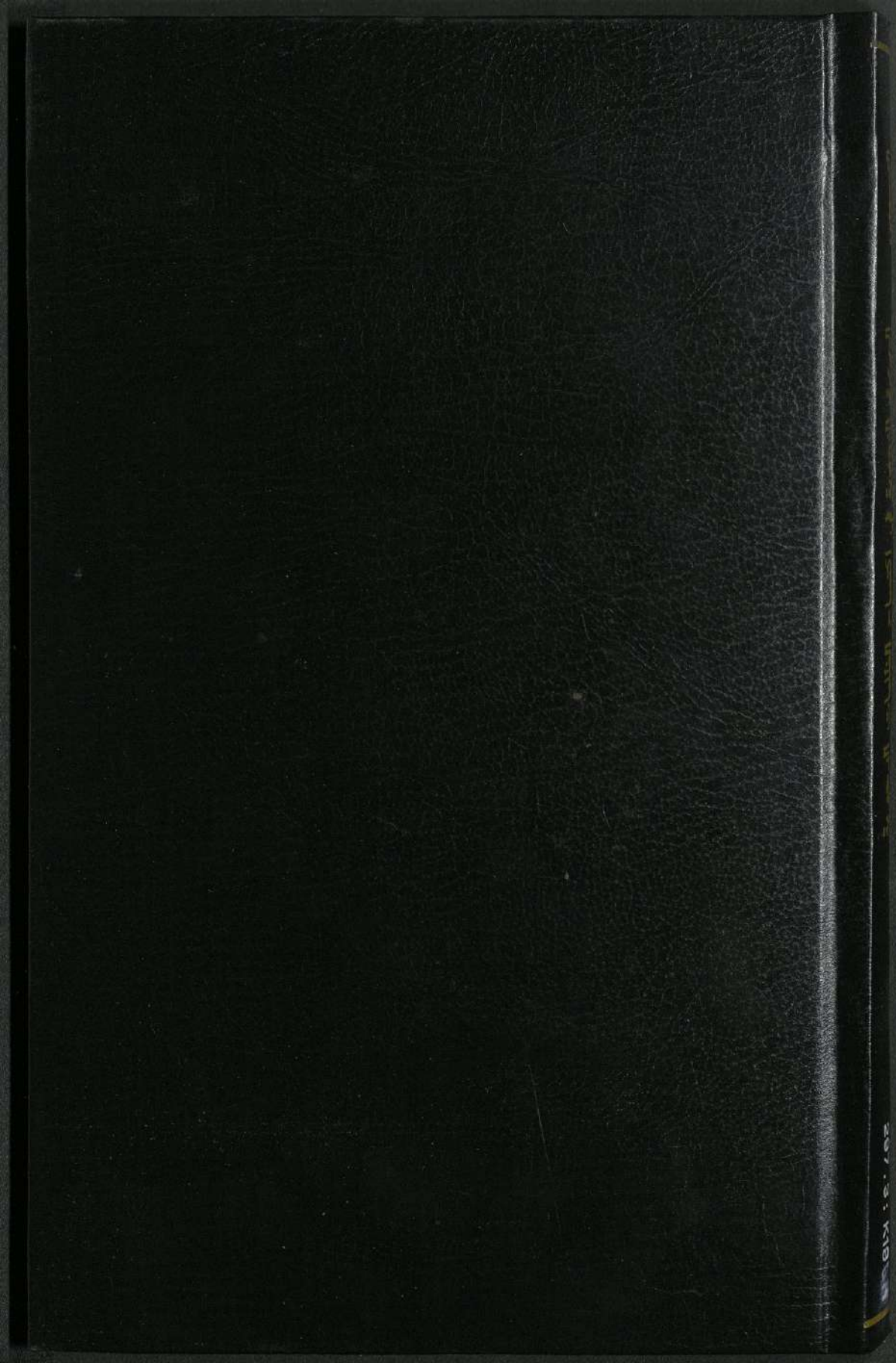




B I LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



KULB. LIBRAT

1936
1937
1938
1939
1940
1941
1942
1943
1944
1945
1946
1947
1948
1949
1950
1951
1952
1953
1954
1955
1956
1957
1958
1959
1960
1961
1962
1963
1964
1965
1966
1967
1968
1969
1970
1971
1972
1973
1974
1975
1976
1977
1978
1979
1980
1981
1982
1983
1984
1985
1986
1987
1988
1989
1990
1991
1992
1993
1994
1995
1996
1997
1998
1999
2000
2001
2002
2003
2004
2005
2006
2007
2008
2009
2010
2011
2012
2013
2014
2015
2016
2017
2018
2019
2020
2021
2022
2023
2024
2025

Ed. F. Eay Hamrah

Ed. July 1936

البرق والنجاة

اكتساح الظلمات الدجوية

تأليف

عبد الباقى على النجدي لقصيمي

يا طالب الميت ما قد ظلت تطلبه وسائل الميت دفع الامر ترهبه
لو كان ذا قدرة ما كان مرتبها في الترب للدود يبلبه ويركه

(حقوق الطبع محفوظة المؤلف)

48774

مطبعة المنار بمصر

س ١٣٥٠ هـ
م ١٩٣١

Prof. F. Bay Hamamah
Cat. July 1936

فهرس كتاب البر وق النجدية

صفحة

مقدمة الكتاب

١٩	ما هي الوسيلة
٢٢	(القسم الاول) التوسل المشروع
»	النوع الاول التوسل بأسمائه وصفاته
٢٣	النوع الثاني التوسل بالصلاة
»	» الثالث » بالنوحيد والايان
»	» الرابع » بالتسبيح
»	» الخامس » بذكر الاعمال السالفة
٢٤	» السادس » بحمد الله والصلاة على رسوله
٢٥	» السابع » بالقرآن
»	» الثامن » بالصدقة
»	» التاسع » بالتضرع والخشية
»	» العاشر » بالاسرار والاختفات بالدعوة
»	» ١١ » بدعاء الصالحين
٢٦	(القسم الثاني) التوسل الممنوع وأدلة الشيخ فيها وهدمها

الباب الاول فيما ادعاه ادلة من القرآن

الآية الاولى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)

٢٨	» الثانية » (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)
٢٩	» اثالثة » (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله) الخ
٣٥	» الرابعة » (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه)
٣٦	» الخامسة » (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم) الخ
٣٨	» السادسة » (وان استنصروكم في الدين) الخ

٣٩ (الباب الثاني في نقض ما ادعاه من الادلة الحديثية)

الحديث الاول قوله ﷺ « أسألك بحق السائلين » الخ

٤٠ » الثاني حديث اقرار آدم الخطيئة وتوسله بالرسول ﷺ

٤٤ » الثالث استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس

٤٩ » الرابع حديث الاعمى

٥٨ » الخامس حديث تعرض علي أعمالكم

٦٢ » السادس حديث فاطمة بنت أسد وتوسل الرسول ﷺ بالانبياء قبله

٦٣ » السابع مخاطبته ﷺ لقتلى كفار بدر وقوله انهم يسمعون له الخ

٦٧ » الثامن قوله ﷺ مامن أحد مسلم علي إلا رد الله علي روحي الخ

٦٩ » التاسع سلامه ﷺ علي القبور

٧٣ » العاشر حديث الشفاعة

٧٤ » ١١ حديث مالك خازن عمر

٧٥ » ١٢ حديث عذاب القبر

٧٧ » ١٣ تبرك الصحابة بآثاره ﷺ

٧٨ » ١٤ قوله ﷺ من حج فزار قبري الخ

٨٠ ﴿ الباب الثالث في محق أدلته العقلية ﴾

الدليل الاول قوله لافرق بين الاحياء والاموات

٨٢ » الثاني قوله للفعل كله لله والعبد لا فعل له

٨٩ » الثالث قول الناس أرواني الشراب وأشبعني الطعام

٩٢ فصل ثم ان الشيخ استجمع جهده وعصر فكره الخ

٩٢ اعتراض المخضم باستعانة المرء بأرباب الحرف والصنائع الخ وردة

٩٣ تعريف العبادة لغة وشرعاً

٩٥ التدليل ان الشرك يقع من لا يرى مع الله خالفاً

٩٧ الشرك والكفر أنواع

٩٨ إنكار المعارض أن يكون الفعل تارة شركاً وتارة ليس شركاً

- ١٠٠ ادعائه الاجماع على وقوع التوسل وحسنه من المسلمين
- ١٠٣ البراهين على أن الآتي بما ظاهره كفر كافر وإبطال أن يحمل على المجاز
- ١٠٤ جعل المعارض الكفر محصوراً على اعتقاد التأثير لغير الله تعالى
- ١٠٧ التفريق بين الاحياء والاموات من وجوه
- ١٠٩ دعوة الميت فيها أخطار وأضرار كثيرة خلاف الاحياء
- ١١٣ ادعائه أن الافتتان بالاحياء أعظم وإبطاله
- ١١٤ إنكار الخصم أن يكون الميت عاجزاً وإنكاره أن يكون تراباً
- ١١٦ الدليل أن الاموات يعودون تراباً
- ١١٨ دعواه إثبات الفلسفة قديماً وحديثاً أن الارواح باقية بعد مفارقة الاجسام
وتصرفها التصرف التام
- ١١٩ افتتان الشرقيين بالغربيين وكذلك كل ضعيف أمام القوي
- ١٢٠ تكفير المعارض من لم يعتقد أن الشهداء أحياء
- ١٢١ قوله أن مكذب القرآن لا يخاطب ونقض ذلك
- ١٢٢ دعواه أن كل مائت للمفضول ثبت للفاضل ودحض ذلك بأدلة كثيرة
- ١٢٤ غلط المعارض في حديث موسى وصلاة في قبره ، غلطه فيه لفظاً ومعنى
استدلأه بأحاديث الاسراء والمعراج
- ١٢٥ تبیان الاسراء والمعراج ورفع الاشكال
- ١٢٦ ادعائه أن من لوازم الحياة أن يدعى صاحبها وإبطاله
قوله أي مانع في العقل يمنع من دعوة الاموات والاستغاثة بهم
- ١٢٧ لعل الشيخ يجوز دعوة الشمس وسائر الافلاك
إبطال دعوة الملائكة
تحريفه أقوال الشعراء
- ١٢٨ دعواه أن تصرف الملائكة بغير آله ولا مناسه وإبطال ذلك ببلغ إبطال واستشهاده
بقوله تعالى (قل الروح من أمر ربي)
- ١٢٩ قوله لاشك أن الارواح لها التصرف المطلق الخ هذين
- ١٣١ غطرسته وإلزامه خصومه أن يكونوا ملحدين

- ١٣٢ هافت المعترض في الارواح وخبطة في أحكامها
- ١٣٣ كثرة تقسيمات الكلام بلا طائل واقتتانه بالتقيد غلط المعترض على الاحاديث
- ١٣٥ غلطه في المقصود من كلامه وكلام خصومه، وهذا أعجب شيء
- ١٣٦ دعوة المعترض الى الاتجاه الى الاموات والعياذ بهم . وهدم ذلك
- ١٣٧ هجوم الشيخ على المسائل بلا روية ولا تفكير
- ١٣٨ ادعاؤه ان الارواح تحس بالزائر لها — غلطه في سر الزيارة للمقابر
- ١٣٩ قوله ليس الانسان انسانا إلا بالروح
- ١٤٠ قوله لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد المخالفة لغير الله وغلطه الغلط الفاحش
- ١٤١ - تكفير الدجوى أغاب الامة الاسلامية بل والامم السابقة
- ١٤٣ غلط الشيخ في فعل الناس اليوم وخفاء ما أحاط به عليه
- ١٤٤ اعتراضه بدعاء المقعد وإبطاله أقوى بإبطال
- ١٤٦ التفريق بين دعاء المقعد ودعاء الميت بالبراهين الكثيرة
- ١٤٨ استدلاله بالاحلام وتزييفه
- ١٤٩ فصل إلزام المعترض إلزاما يقوده
- ١٥٢ إبطال أن تكون العبادة هي اعتقاد المخالفة لله — فقط
- ١٥٤ (الباب الرابع) فيما احتج به من أقوال العلماء - احتجاجه بقول ابن قدامة
- ١٥٩ احتجاجه بقول ابن القيم
- ١٦٤ احتجاجه بقول الشوكاني
- ١٧١ اعتراض مسلم مكي على الشيخ وجواب الشيخ له والرد على الجواب
- ١٧٢ عدم معرفة الدجوى للجواب والخطاب
- النهى عن دعوة غير الله
- قول الدجوى جميع ما لم يرد الشرع بتحريمه فهو مباح وغلطه على الاصول
- اختلاف العلماء فيما لم يأت فيه نص
- ١٧٥ استدلاله بقوله تعالى (قل لا أجد فيها أوحى إلي) وتفنيد
- ١٧٦ قوله من ينكر التوسل يجب أن ينكر الكرامات وبطلانه

- ١٧٧ ايجاب المعترض اعتقاد الباطل
- ١٧٨ الكلام على الكرامات وتخبيط الدجوى فيها
- ١٧٩ الادلة أن التوسل لم يكن معهوداً عند العلماء والمسلمين الاقدمين
- ١٨١ ادعاؤه أن هناك مرتبة تسقط عندها الاسباب
- ١٨٣ دعواه أن العلماء لم يقدسوا نفوسهم
- ١٨٤ تكفير من يكفر المسلم اجتهداً
- ١٨٦ زعمه ان الامر بالاتجاه الى الله ودعوته تمويه
توهمه أن من ظاهره الاسلام مؤمن قطعاً
- ١٨٧ الكلام في التفاني واهمال الاسباب
- ١٨٩ بيان ان الباطن لا يعلمه الا الله وقد يظهر خلاف الباطن
- ١٩١ القول في ان من عاش على شيء مات عليه
- ١٩٢ قوله ان امور الدنيا والدين على الظن وتناقضه في ذلك
- ١٩٣ اخذه بما ابطاه
- ١٩٤ زعمه انه لا يجوز لاحد بالجنة ولا بالنار
- ١٩٥ القول فيمن يشهد له جماعة بالخير
- ١٩٨ الكلام على قوله ﷺ «والله لا أخشي عليكم أن تشركوا» الخ وبيان
الامة الاسلامية واقع فيها الشرك لاحالة
- ٢٠٠ الكلام على حسن الظن بالناس
- ٢٠١ اغترار المعترض بنفسه وزعمه انه جاء بالمنقذ
- ٢٠٢ سعة اطلاع المعترض ومعرفة بجميع كتب الناس
- ٢٠٣ ماذا تكون حال الدجوى عند رؤيته كتابي
- تم الفهرس ويليه الخطأ والصواب

(بيان الخطأ والصواب الواقع في كتاب البروق النجدية)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
	١٩	جمل	أجمل
٤		يتخاضون	يتخاضون
١١		ويرغبه	ويستره
٢	٥	هو الرحيم	هو الرحمن الرحيم
٣	٥	سألوا	يسئلون
٣	٢٥	ويتوسل بهم	ويتوسل بها
٣٣	٦	فلا تدع	فلا تدعوا
٣٣	٦	دلالة	فهم
٤٣	٧	ولا يعقل	وما لا يعقل
٤٣	١٠	الفا عيسى	الفنا عيسى
٤٣	٢٢	ونور	ورنو
٤٣	٢٢	الخلوة	الخلو
٤٤	٤	درقا	حنقا
٤٤	١٢	ولإلاؤه على أعدائه	ولإلاؤهم على أعدائهم
٤٥	٢٢	وسلت	ونوسلت
٤٨	١١	قائضتان	قائضان
٥٢	٤	حكم	حكما
٥٢	١٠	لدعوه	دعاه
٥٢	١٤	قربان	قريبين
٥٢	٢٠	عطى	أعطى
٥٦	١٣	يكن	لم يكن
٥٩	١٣	لا تدري خاص ما أحدثوا بعدك	لا تدري ما أحدثوا بعدك خاص

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٢	٢	كما أخبر الله أن الملائكة لا تتفح	الملائكة يدعون لنا سواء دعونا هم
		ولا تضر سواء دعونا هم أم لم ندعهم	أم لم ندع
٦٢	١٦	قبلك	قبله
٧٠	١٧	الغابرين	الغابرينا
٧٠	٢٠	زمان الغزو	زمان الفرد
٧٠	٢٢	وأبو حنيفة	وأبي حنيفة
٧٥	٥	ليوهنها به	ليوهنها
٩٨	١٤	عليهم	عليه
١٠١	٦	وكم عائب	وكم من عائب
١٠٢	٤	في غير الحروب حرام	في الحرام حرام
١٣٣	١٧	إنما	وإنما
١٤٦	٢١	وما أنا	وما أنا
١٤٩	٢	ذهوا	ذهوا
١٤٩	٥	السلاما السلاما	السلام السلاما
١٥١	١٠	أمر لا تعبدوا	أمر ألا تعبدوا
١٥٣	٤	ممدود	محدود
١٥٦	١٠	جاز	أجاز
١٥٨	١	والقرينة على	والقرينة عليه
١٦٤	١٤	وهو مردولا	وهو مردول
١٦٦	١٧	الله كاذبا	بالله كاذبا
١٦٩	١٨	نوع له	له نوع
١٧٢	١٨	ليست	أليست
١٧٥	٣	وواحد لم يعرف الحق فقضى به	وواحد لم يعرف الحق فلم يقض به
١٨٣	٨	إذ خلاف ضد التقديس	إذ خلاف التقديس
١٨٦	٢٢	فلا تدع	فلا تدعوا
١٩١	١٥	الوقف	الواقف

البرق النجدي

اكتساح الظلمات الدجوية

تأليف

عبد الباقى النجدي القيصي

يا طالب الميث ما قد ظلت تطلبه وسائل الميث دفع الامر ترهبه
لو كان ذا قدرة ما كان مرتها في الترب للدود يبلبه ويركه

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

مطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٥٠ هـ
م ١٩٣١

صمتنا فخال الصمت عجزاً ولكن:

- لقد ذل من كنا له الخصم والحربا
- ولاقى الذي يبغيه من طاع أمرنا
وخاف الذي نعليه من ظل شخصه
وسار على حد الحسام وليثنا
ونال بذكرنا الصديق مراده
وفل به حد الزمان وغربه
وطال السموات الأولى نحن عضدهم
وجاب امرؤ كنا له الرجل مانأى
وماتت بأرياح تمر بأرضنا
١٥ وزلزل أرض الظالمين وسقفهم

*
*
*

لحقنا وإننا ناثمون عدائنا
وصيدنا نمر العالمين وأسدهم
- لنا شرف الدنيا تليداً وطارفا
- فلو تنسب العالما للناس نفسها
- فمننا استفاد الخلق كل فضيلة
ومنا دروا قود القنابل في الوغى
ومنا دروا أطر الكمي وأسره
ومنا دروا سلب الملوك عروشهم
ومنا دروا كيف التسابق للردى
وقد بالغوا حذراً وقد أمعنوا خبراً
بلفظ، ولم نشرع قناة ولا عضبا
وعلياؤها، ناستنطقوا الدهر والكتبا
لما وجدت أصلا سوانا ولا مربى
أريناهم صنع الصنائع والربا
ومنا دروا فلق الجاجم والضربا
واطعامه نسرأ وادخاله تربا
بأيد أبت أن تمسك المال والنهب
بأفئدة لانحمل الذل والعبا

٢٥ - سمننا لاهل الارض كل كريمة وفضل وعلمناهم الغرض والندب

*
*

فمن مبلغ عني عدوا رسالة
عدوا أرتة النفس حقاً ضلاله
رمته بأرض نبتها الاسد والظبا
تراقب من قد جاء رقبة عاشق
معوّدة أن لا يمر بأرضها
تقتل من قد جاء عفواً بزأرها
وإن كشرت أنيابها ضاع رشده
صمتنا، فخال الصمت عجزاً ولكنة
ضحكنا، فخال الضحك مدحاً لحاله
هلم ألم يدرك أن الموت يأتيه صامتاً
وان ابتسام السحب قبل بلانه
فيا آملا منا بلوغ مؤمل
فلو قدت أطراف النجوم بخطمها
فما أنت والايام، لم تقض سؤلها
وما أمنا - يا فائل الرأي غالب
فكيف بمن لو أنني لحت واقفاً
ومن لو رأي لم ينم من مهايتي
ومن لو جرى ذكري وبينني وبينه

*
*

صبرت طويلا كي تني، عن العمى
وتشرب كأس الذل من خوفنا عبا

٤٥ فمكنت كحال الجرح يزداد قيحه
إذا ماسها عنه الطبيب وما طبها
فلما رأيتُ الامر صعباً مآله
وما ينفع الغفران إلا الفتى الضربا
وان ازدياد الغفر يغفر شأناً
ويدري موات الذهن في غفرنا غلباً

*
* *

— خلقت على الاحداث جلدًا مغامرًا
فما أُرهب الآفات، كلا ولا الصعابا
فلو أبصرت عيني المنون مجسداً
لصاغت له لم أونس الخوف والرجبا
تمر بأذني القاتلات كأنني
سمعت - أصبري - ناعباً رجَّع النعبا
فلا مفزع أخشى، ولا هائل ثنى
ولا نشب أرضى، ولا رشاً أصبى
سواء كسبت المال أو عشت معدماً
إذا ما كسبت الحمد والمنصب الرحبا
فأضحيت خلو القلب من كل مأرب
سوى مأرب العلياء أضحى له الأربا
أتيت مهيباً كالحسام معظماً
ونبراس ظلماء يضيء وما يخبي
5٥ به رقتي يهدون إن ضل هديهم
ويسرون إن ضلوا الأهلّة والشهبا
بعزم كعزم الشمس في وجه سيرها
فلا هول يثني ما هاب وما أربي
وحدس بسر النفس، والقلب بائح
فما سهمه ناب، ولا زنده مخبي
إذا قلت قولاً أتم الدهر واستحى
وهاج مقالي أن ينازعه الدربا
واسمع هم الأغوار حمقا وضلة
فأهجره هونا وأتركه رغبا
فيوهم ميت النفس اتى حمدته
وأني له هارٍ وأني به مصبي
وما بي سوى كبرى عليه وعزتي
وفي الكبر والهجران مالم يكن ذنبا
57 - لئن كنت في نفسي زهواً ومعجباً
فبعض الذي فيها يملئني عجباً
عبر الله به على القصصمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وخيرته من خلقه ، بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه الى يوم الدين (أما بعد) فاعلم - ألهمني الله وإياك سبيل الرشاد ، وجنبنا طريق الغي والفساد - أن العلم أفضل طلبه ، وأعظم رغبة ، وأشرف نسبة ، وأسمى رتبة ، وأحسن قربة ، وسيلة كل نجاح ، وشفيح كل فلاح . بقي صاحبه الاذى ، ويكسبه الحمد والعلا ويبلغه أقصى المدى ، ويكفيه شر العدى ، ويعصمه من الردى . يصير الحقير شريفاً ، والوضيع غطريقاً ، والامير مليكاً ، والمليك ملكاً ، يطول القصير ، ويقدم الاخير ، ويعلي النازل ، ويشهر الخامل ، ويضمن الحامله التخليد ، ويجري له التحميد والتعجيد ، ويملا له الافواه ثناء ، وذكراً ودعاء ، ويجعله للمحافل روحاً وريحاناً ، وللخطباء قلباً ولساناً ، وللشعراء مصراعاً وميزاناً ، وللكتبة ديباجة وعنواناً ، وللعلماء حجة وبرهاناً ، وللحرب سيفاً وسناناً . يوصله الى الآفاق من غير تسليار ، ويتغنى بذكره المقيمون والسُّفَّار ، وينيله العزة بلا أعوان ولا أنصار ، والمحبة بلا درهم ولا دينار . ماشيد ملك الاعلى دعائمه ، ولا زال الاعلى طواسمه ماعزت دولة إلا بانتشاره ، ولا ذات إلا باندثاره . ولولا العلم ماطر الانسان في الجو كالعقaban ، ولا غاص في البحار كالسراب النينان .

ولكن ما كل علم محمود . فرب علم خير منه الجبل ، ويقظة خير منها الرقدة وتذكرة أحسن منها الغفلة ، وبصر أفضل منه العمى ، وذكاء جل منه الغباء . فكم علم هوى بصاحبه في الهوان ، وأعقبه الذل والخسران ، وخلده في العذاب

والنيران ، وأغضب عليه الرحمن والانسان . وانما الحمود منه ما أكسب الذكر
في الدنيا والجنة في الاخرى . هذا

وانه درجات ومنازل . فأعلاها ما كثر خيره ، وزاد نفعه ، وسما موضوعه

وكرمت أصوله ونمت فروعه ، وما كان الخطأ فيه عظيماً ، والضلال عنه جليلاً

وأشرف العلوم على الاطلاق ما دل على الآخرة ، وبصر بالباقية : التي القين

فيها شر غيب ، والضلال فيها أقبح ضلال ، والزلل في طريقها أقتل زلل ، والعمى

عن سبيلها أصرع عمى . لا تقبل فيها استقالة ، ولا تنفع وسيلة ولا شفاعة . إما نار

أبد الآبدين ، او جنة عوض العائضين (فريق في الجنة وفريق في السعير)

ونحن في زمان هريم خيره ، شباب شره ، نائم رشاده ، صاح فساد ، قليل

منصفه ، كثير متعسف . أفلت فيه شمس الهدى ونجمه ، ودجا فيه ظلام النقي

وظلمه ، فتقدم متأخره ، وتأخر مقدمه . تلاعبت باهله الالهواء ، ومزقت جماعتهم

الآراء . تسابقوا إلى المنكرات ، وتنافسوا في الخزيات . ملكت قلوبهم الانانية

وأعمت أبصارهم وبصائرهم الحمية . ركب كل هواه ، وكافح عما يحبه ويرضاه

وان طرده القرآن وقلاه ، وصادمه العقل وأباه . يفاخر بما يبرز من الضلال

ويبدع من الزيف ، وصار الشجاع العاقل هو المجاهد بالغرائب والمصائب ، والاديب

الملهم هو الداعي إلى البدع المضلة والعجائب الاثيمة . فعظم الويل ، واشتد الكرب

واتسع الخرق ، واغتم الداء ، واعوز الدواء . حتى كأننا في الجاهلية الاولى ، قبل

الهداية المحمدية ، والانوار القرآنية . بل هم أسوأ حالا ، وأعظم ضلالا ، وأكثر

ظغيانا ، وأقل احساناً . فلقد انقسم الناس اليوم إلى ثلاث فرق :-

﴿ الفرقة الاولى ﴾ المشار اليهم بقوله تعالى (ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من

الجن والانس لهم قلوب لا يفتقون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون

بها . أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقوله (ومثل الذين كفروا

كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عي فهم لا يمعنون) وقواه (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كأتاك كل الانعام النار مشوى لهم) وهم المعنيون بقول الشاعر:

وبعض الرجال نخلة لا جنى لها ولا ظل، إلا أن تعد من النخل

وهم قوم أزيأؤهم أزياء الاناسي، وصورهم صور العقلاء، ونفوسهم نفوس العجاوات، وأخلاقهم أخلاق الطير، وهمهم همم البهائم، مقصورة على الطعام والشراب، والنكاح والنطاح، والصهيل والنهيق، والغدفة والنهيق، والثغاء والرغاء. إذا شبعوا مرحوا وفرحوا، وإن جاعوا صاحوا وترحوا. يرضون بالدنية، ويقبلون الضيمة. يسوقهم الصغير، ويمسكهم الحثير. ينجلون من العلياء انجفال الظلام من النور، ويهربون من الفضل، هرب البرد من الحروز. يتهافتون على الغفلة والحطة تهافت الفراش على النبراس، وبأرزون إلى النقيصة أروز الدود إلى الميتة. لا يظلمعون في ذكر الدنيا، ولا اجر الاخرى. ولا يهابون مذمة العاجلة، ولا عذاب الآجلة. نظر الواحد أقصر من قدره، وقدره أقصر من ظفره. فبهؤلاء ولدت ام الغباء، وعقمت ام الذكاء، وضاعت الديار، وغلت الاسعار. وهم أكثر ماترى، لا أقول من ترى. شغل الله بهم بطن الارض وأراح منهم ظهرها.

﴿الفرقة الثانية﴾ للمعنيون بقوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) * وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) وقوله (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون) * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وقوله (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً

أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون؟ إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً»
 وهم فرقة همها العلو في الارض ، والقضاء على النذب والفرض ، مألوهم
 أن يكونوا مألوهم ، وعبادتهم ان يعودوا معبودين ، عبيد آرائهم ، وأرقاء أهوائهم
 يتسامون بالظلم ، ويتخاضون على الاثم . الحاذق فيهم هو المدين في الضلال ،
 والشجاع هو الجريء في الجريمة والخطال ، والمقدم المقدم على قتل الفضائل ، واحياء
 الرذائل ، اعتقد ألا حياة سوى هذه الحياة ، ولا دار سوى هذه الدار ، ولا
 شقاوة ولا سعادة عدا شقاوتها وسعادتها ، فرآها الاولى والاخرى ، والمبتدأ والمنتهى
 وهذا الفريق يشب شباباً عجيباً ، وينمو نمواً سريعاً ، ويأخذ القلوب أخذاً
 ويتسور البلاد تسوراً . شاب لدى الشبان ، فتى عند الفتيان ، قوي في حضرة
 الاقوياء ، فيه تجلى الجبروت الانساني ، والعدوان النفساني ، الذي كان يخفيه
 الخوف من الآخرة ، ويرغبه أمل الجنة الخالدة ، والذعر من عقاب الجبار وانتقام
 القوي القهار . أمن تلك الخصال التي تخطم الانسان عن الوقوع في الامور الاثيمة ،
 وتذوده عن الرنوع في مزارع الخطيئة ، والوقوع على أغصان الجريمة ، فأرخی
 لنفسه الظالمة الزمام ، غير مبال بما يكون ، ولا خائف مما يحدث ، فالحرام عند هؤلاء
 ما حرموه ، والممنوع ما منعوه

وناهيك بالنفس الانسانية إنما ، وكافيك بها جرماً ، فلکم أنتم منها الارض
 والسموات ، وبكت من عسفها الصامتات والناطقات ، وزلزلت الكرة الارضية
 لما ألقت على متنها من الآثام ، وما لوئثتها به من الارجاس ، حتى خشينا أن تميد
 بساكنيها غضباً ، وتنسفهم جزاءاً وتعباً (وما كنا له كارهين)

وبهذه الفرقة ظهر للعقلاء فضل الاديان ، وحسن تأثيرها في مجتمع الانسان
 وعلموا افتقارها اليها افتقار الجسم إلى الروح ، والروح إلى الجسم . وانه لانظام
 ولا عدل بلا أوامر ربانية ، وترغيبات وترهيبات إلهية ، تحجز النفوس عن السير

حسبما جبلت عليه من الشر والعسف ، وما خلقت مستعدة له من التعدي والحيف .
 ﴿ الفرقة الثالثة ﴾ قوم فيهم نوع ورع وعبادة ، وخشية وزهادة ، وتألّه
 وتنسك ، مع نوع من ضعف العقل ، وقلة التمييز . آمنوا ان هناك داراً غير هذه
 الدار ، وحياة أكمل من هذه الحياة وأطول ، وان لهم بهتاً وحساباً ، وثواباً وعقاباً
 وجنة أو ناراً ، وسعادة أو شقاوة .

بيد أن هذا الفريق ابتلي بكثرة الاختلاف وطول الشقاق ، واحتدام التشاكس ،
 وأصيب - علاوة على ذلك - بأشراب قلبه حب الخرافات الشيطانية والبدع العقيمة ،
 والخزعبلات الويلة ، التي أفسدت العقول ، وأماتت الانفس ، وغيرت الكتب المقدسة ،
 وشوهت أقوال الرسل ، حتى ذهبت بهجتها ! وخلقت جدتها ، وعفت جاذبها ، وصار
 الطالب لها غير واجد ، والمسترشداً لها غير مرشد ، والمحب لها غير مطيق !! ولا سيما
 العامة الذين لم يستمدوا الاستعداد المهيء لأن يبحثوا حتى يصلوا إلى الحق

وأضحى العامي التقي الطالب النجاة تتجاذبه أقوال العلماء وأشباه العلماء ،
 بين التحليل والتحريم ، والتصويب والتأثيم ، يغدو إلى هذا فيقول له : هذا حرام
 وهذا حلال ، وروح لآخر فيؤا فيه بضد ما قل الاول ، ويحكم له خلاف حكم
 الاسبق ، فيبقى كريشة بين أرباب مختلفه المذاهب ، وقذاة بين أمواج متداخلة
 متخالجة . فيظل حائرأ ، باكياً حظه ، نادياً جده ، في زوابع الحيرة والشكوك ، وعواصف
 الاسف والارتباب ، يحقق على الدين ويدعو على العلماء المحيرين له في سيره
 المضلين له في طريقه . وقد توقعه تلك الحيرة - والعياذ بالله - في الفسوق عن جميع
 الاديان ، والاعتناق لدين آخر غير الاسلام . والجريرة - إن لم تكن على محيريه
 فقط ، وهو براء - فهم شر كلؤه وهم وإياه في الانتم سواء .

وإن من ينظر إلى ذلك الرجل المسكين بعين العدل والانصاف . يرى ان العتب
 في حقه قليل ، والجرم في حق من وضعوا أنفسهم موضع الارشاد والتعليم - كبير .

وان كان الواجب عليه أن يبحث عن طائفة الحق والهدى الذين لم يخل الله منهم الارض . ولا يزالون قائمين حتى يأتي أمر الله ، وهم على الحق المبين . هذا اذا كان السائل ناصحاً لنفسه ، حريصاً على الوصول الى رضا ربه .

وأما إن كان السائل قليل العناية بالوصول الى مرضاة ربه ، هزيل العقيدة ، فاقدر التقوى . فهو اذا سأل اختلفت عليه الفتاوى ترك الدين مرة وخرج منه ومن قيوده ، ونسب العلماء إلى الجهل والغباوة ، وانهم لم يعرفوا - إلى الآن - الواجب من غير الواجب ورأى ان لا شيء عليه ، لان القادة اختلفوا ، فلا يدري المصيب من الخاطئ ، ولا الحق من البطل . ويقول : العلماء لدي سواء فلا أرجح واحداً على الآخر وذلك كثير واقع . بل أغلب العامة في العصر الحاضر من هذا الجنس .. والاختلاف وقع في كل الاديان وجميع الشرائع ، وغلب فيها لبس الحق بالباطل . وقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بما كان قبل أن يكون ، وحذرنا منه ، وأعلمنا أننا سنقع فيما وقعت فيه الامم قبلنا من الاختلاف والاضطراب ، واختفاء سبيل الحق واندثار الصواب .

وما زال الخلاف في الاسلام بين أهله منذ القرن الثاني الهجري ، يطغى وينمو إلى يومنا هذا . حتى بلغ الغاية الكبرى ، والنهاية القصوى ، وفعل في الدين وأهله الافعال الشديدة ، ونكأهم النكأ العنيف ، وأدال منهم لاهل الشرك ، وأعاد للشرك والكفر ملكة البائد ، وعزه السلوب . وجعل عدو الاسلام ينال منه مأربه ، ويعضي فيه أمره ونهيه .

أجل . انه فعل ذلك لما لم نسمع ونطع لقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) وقوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً إني است منهم في شيء)

وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم) . ولم تتخذ من هذه الشرائع اقيمة عصمة لنا وموثلاً ، بل اعتصمنا بالآراء ، وعدنا بالاهواء ، فذهبت ريحنا وتمزق شملنا وفشل جمعنا وأصابنا عذاب عظيم وحق علينا قول ربنا (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وعدنا بعد المزاذلاء ، وبعد الغنى فقراء .

في كل يوم يريهم الله آياته فلا يبصرون ، ويضرب لهم أمثلاً فلا ينتفعون . ويعظمهم أغلى العظات فلا يتعظون (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) ولقد كان الفريق الأخير — بعجوه وبجره — فتنة للفريق الثاني ، وعاملاً فحشيطاً على ادخالهم فيما هم فيه من الخط على الاديان ، والنقيصة من الشرائع السماوية والسخرية منها . فانهم لما رأوا ما عند هذا الفريق المنتسب للدين ، المدعي التمسك بالوحي المبين ، من الخرافات المخزية ، والبدع السخيفة الماحقة للعقول ، والاعداد المهلكة للفضائل والكمالات — ولا معرفتهم بالدين إلا ما يرونه عند هؤلاء ، فهم الميزان له والمثال — أنفوا منه وأكبروا أنه يدينوا ديناً داعياً الى السخافات ، اللائي تشاكه أفعال المجانين ، وتحاكي روايات المبرسمين . حقاً لقد صار ذلك مبعداً للمسلمين عن دينهم ، وجاعلاً للشبان يذبذونه وراء ظهورهم ، بأصوله وفروعه . وذلك مثل ما كثر فيهم وبلوا به ، من الالتجاء الى أصحاب القبور ، والتضرع الى الاموات ، والسؤال لهم ، والتقبل للاعتاب والابواب ، والتمسح بها ، والاستعانة بأهلها والالتجاء اليهم في الشدائد والكروب ، وغير ذلك من الخباثات التي تنفطر منها أكباد أهل القرآن ، وتبكي لها عيون أصحاب الايمان .

كيف يقبل العقلاء في عصر فتح العلم فيه أحكامه ، وتوردت وجناته ، وفي إبان الحضارة الراقية ، والتمدن الباهر ، أن يتمسحوا بالاحجار ؟ ويقبلوا الابواب والاعتاب ، وأن يضرعوا إذا نابتهم نائبة الى عظام بالية ، وقبور خاوية ، لتكشف

نائبتهن ، وتزيل كبريتهن ؟... انهم ليايئون ذلك كل الالباء ، ويقولونه غاية القلى .
ولقد استعاذ الانبياء والمؤمنون ، وسألوا خالقهم ألا يجعلهم فتنة للناس ، فقالوا
(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ، ربنا انك أنت العزيز الحكيم) وقال
قوم موسى (على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) إذ إضلال الناس
قبيح بالحال ، كما هو قبيح بالاقتوال ، فان كلا الامرين مبعد عن الطريق السوي .
وربما كان بالحال أشد ابعاداً ، لان القدوة أقوى في النفوس تأثيراً ، ولذا يقول الله
لنا (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

وما ذم الاضلال بالقول لانه ألقاظ . بل لانه ابعاد عن الله ودينه . وورد
في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال
« أعظم الناس في الاسلام جرماً من سأل عن شيء فحرم من أجل مسأله » هذا
إذا كان سائلاً مسترشداً عن الحق ، والسؤال مطلوب - كان أعظم الناس ظلماً وإثمًا
لما يكون من سؤاله من إيجاد حرج للناس في تحريم المسئول عنه !! فكيف بمن
ارتكب بدعاً باطلة عقلاً وشرعاً . فكفر الناس من أجله ؟! فما تظنون بإثمه ؟! ؟! ...
فوق هذا فقد صرنا بتلك العادات السخيفة والبدع الخرافية الباطلة أضحوكة
لأعدائنا ، من شرقيين وغربيين . يهزؤون بديننا ! ويسخرون من عقولنا !
حتى انتفع المبشرون بدعوتهم انتفاعاً عظيماً . وصارت شافعاً ووسيلة لرواجها وولوجها
في قلوب الناس . والمسلمون لا يشعرون . ولو شعروا لا يعلمون ! (ولو علم الله
فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعههم لتولوا وهم معرضون) ... ذلك

● وان من الادوار الخزية ، والمواقف المزرية ، ما قامت به مجلة « نور
الاسلام » الازهرية من الطعن والتشهير والذم والتسخيف والتجهيل والتضليل .
لجماعة المسلمين ، (الوهابيين) بعبارات سداها السباب والقذف ، ولحمتها الشدة
والعنف ، وكان الذي تولى كبر ذلك الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي مع

قرّم وجمع . واحتدام وضرّم . حتى كأنما يدفع إلى قول الزور والباطل في هؤلاء المؤمنين دفعا . ويكره على ذم تلك الجماعة الاسلامية إكراهها ، وحتى كأنه وعد الجنة اذا أساء ، والنجاة من النار اذا آذى أو ائلك المؤمنين ، والحشر مع النبيين اذا طعن على عقيدة تلك الجماعة جماعة الموحدين . فلا يخرج للناس عدد من هذه المجلة إلا وفيه ما يشيب الطفل من كذب وافتراء على هذه الجماعة وتحريف للقول عن مواضعه . حتى حسبنا — وحسب غيرنا — انها ما أنشئت إلا لمحاربة المؤمنين ، ومناوأة المسلمين . وذهبت بها الظنون المذاهب . واتهمتها الناس التهم ، وأساءت فيها العقيدة ، وجال في أنفسهم ان مقصدها غير حسن ونيتها غير صالحة ! !

إذ لو كان المقصد نصرة الاسلام والدود عن شرائعه ، لبذأت بالمحدين والمبشرين والفاجرين الفاسقين ، الذين ضربوا الدين الضربة البالغة ، وهجموا على الاخلاق الهجمة المبيدة . ووصلوا ليلهم بنهارهم ونهارهم بليلهم ، وصغيرهم بكبيرهم ، ورفيعهم بوضعهم ، وأقدموا عليه كالذئاب الجائعة على فريستها ، ونوعوا الطعن والحرب للاسلام وأهله ! وملاؤا به المجلات ، وأزكوا به الانوف في اغلب المجالس والمنتديات

فهذه المجلات الشهرية والاسبوعية والجرائد اليومية مفعمة بالاحاد والفجور من الطعن على الله ورسله ودينه وأفعاله ، الى الدعوة الى حانات الخمر وبيوت الرقص والعزف والربا والقمار . بعبارات بعيدة من الخوف والحياء . مليئة بالاستهتار والاعتداء . كأنهم في بلد لا يوجد فيها مسلم ! ولا كتاب إلهي ! ولا من يقر بالصانع ! ! ولا الجامع الازهر الذي يقول أهله انه معقل الدفاع عن الحق والدين . . . حتى عم المصاب وعظمت البلية ، وجرأ جماعة مجلس مديرية . . . أن يقوموا في وجه رجل مسلم يغار على دينه ووطنه ، وحاول اقناعهم بما كان يحمل معه من كتب دينية بتحريم الربا ، وأنه لا يفرج كربا ولا ييسر عسيرا ، بل هو الخراب والدمار

لأن الله يقول (فان لم تفعلوا فاندنوا بحرب من الله ورسوله) فصاحوا بهذا المسلم
المسكين صيحة منكرة ، ورموه بالجود والتأخر كما نشرت ذلك الصحف اليومية
ومجلة «نور الاسلام» ساكتة وسط هذه المعامع ، وراقدة بين هذه المصارع ،
لاتداوي للدين جرحا ، ولا تغيث مستغيثا ، ولا تكفن قتيلًا ، ولا تعيد هاربا ،
ولا تلجئ لاجئًا ، كأنها لاتسمع ، أو تسمع ولا تعي !

ان كل انسان من عاقل ومجنون ، وعالم وجاهل ، ومسلم وكافر ، يعلم علم اليقين
أن الملحدين والمبشرين أنكأ وأقتل من الوهابيين للاديان والاخلاق والاعراض -
هذا اذا سلم أن في الوهابيين نكأ للإسلام وضررا - فكيف وهم الحريصون على
الاسلام الحق ، الذابون عنه ، الناكثون ناكثه ، والضارون ضاره !!!

فما لهذه المجلة تعان تلك الحرب الشعواء عليهم ، وتلين جانبها لأعداء الاسلام
الألداء من المبشرين وغيرهم ؟ وما لها تشرع تلك الرياح الدجوية على قوم يؤمنون
بالله واليوم الآخر ويدعون إلى سبيل الرشاد على هدى من ربهم ونور ، وتمد كنف
المسالمة لمن فعلوا بمسلمي المغرب الاقصى الافاعيل ، وتضم الاذن أو تتصامم عن
الايطاليين ، الذين يقتلون ويشردون مسلمي طرابلس وغيرها شر تقتيل وأشنع
تشريد ؟ تالله ان هذا الموقف غير مشرف من مجلة تنسعى باسم نور الاسلام وتدعي
أنها تمثل اكبر معهد ديني للمسلمين ، ويتولى تحريرها جماعة يقولون انهم من كبار
علماء المسلمين . ان العالم بل المسلم يكبر ويعظم على قدر ما يكون في قلبه من هيبة
الله وحده ، وإكبار لشرائع الاسلام وغيره على حرماته ، والتكابر والتعاضم بغير
ذلك . فهو .. زور وبهتان ، يأحباب الفضيلة وكبار العلماء ، الذين يثن تحت أذنانكم
فارفعوا صوتكم وقوموا لله مخلصين بما يحمل الناس يصدقون أنكم كبار علماء المسلمين .
وكأنني بالشيخ المغوى بمحاربة الموحدين وبالمجلة المذكورة عندما يسمع هذا
يصمر خده كبرا وغطرسة وطغيًا وأنفة قائلا : ان سهام الوهابيين أقتل للأذهان

وأخزق للقلوب من سهام المبشرين والملحدين ! وإنا نخاف من أولئك أكثر من خوفنا هؤلاء . إذ الملحدون والمبشرون خارجون عن ديننا فلا نخشى ضررهم على العامة . ولا نسمع أقوالهم الدهماء . فهم ينفرون منهم نفورهم من الحماة ، ويولون من سماع كلامهم توليهم من أصوات السهام . وأما الوهابيون فكلامهم ينفذ الى الاسماع ، ويلج القلوب ، إذ هم يتكلمون بالقرآن ويجادلون بأقوال الرسول وأقوال الصحابة . وعامة المسلمين يعظمون الكتاب والسنة وينقادون لمن يدعو اليهما ويجاهد عليهم . فلو أهملنا القول في هؤلاء والرد عليهم لضل بهم الاغرار وانقادوا لهم . فكان هذا أوجب علينا من الاول ! !

أخال أنه يدفع عن نفسه اللوم بذلك ويصرف التبعة . ولعمر الآله انها مقالة لايقولها مفكر ولا تصدر عن قلب مستبصر . فمن ذا الذي يصدق ان اخذاع المسلمين بالوهابيين أعظم من اخذاعهم بالمبشرين والملحدين ؟ كلا ! ثم كلا ! فلا اسرع ذهابا في النفوس وولوجا في العقول . وأخذاً للحواضر والبوادي والعجم والعرب والكبار والصغار والكرام واللثام من سمام الملحدين وعقار الطبعيين انهم يغفلون الافئدة بلا حجاب ، ويسكنونها بغير ذهاب ، ويدخلونها من غير استئذان ولا اعلان ! فانهم يسلكون لها سبيل الشهوة ، وياخذون لها طريق اللذة ، والنفوس اغلبها مفتون باللذة منقاد للشهوة ، حريص على هذه الحياة وملاذها ، كلب يزخر فيها وزينتها ، أصم عما تدعو اليه الشرائع من نعيم الآجلة ، أعمى عما تبسطه من ألوان الالذة الخالدة ، خصوصاً حين يرون ماعليه أهل الدين الزاعمون انهم حماة ومعاذة ، لا يقف طمعهم في الدنيا عند حد ، وحين يرون سكوتهم عن منكرات فاشية شائعة يعلم من الدين بالضرورة نكارتها وفحشها ، يسكتون خوفا على مرتباتهم الشهرية ووظائفهم المعيشية . والعامة معذورون . إذ لا يرون قدوة صالحة في الحرص على الآجلة ، والفرار من زخرف العاجلة ، ومتاعها الذي هو طريق المفسدين .

انظروا بعيون مريضة بل عور وعمي ، واسمعوا باسراع صم . والمسوا بأيدي
مشلولة ، وشموا بآناف مزكومة : يمينا وشمالا وخلفا وأماما ، تجددوا في كل يوم بل
في كل لحظة أن قطر كذا ومدينة كيت وقرية هؤلاء ثاروا على الدين جملة وطلبوا
إلغاءه وإفناؤه ، وإخراجه وراء الحدود ، والاستعاضة عنه بالقوانين الوضعية ، والتقاليد
الأفريقية ، ليتحللوا من قيوده ، وينطلقوا وراء شهواتهم البهيمية ، وأن مسامي
بلدة كذا أكرهوا على التنصر واضطروا إلى الصليب والكثينة !! ولكن هل
سمعتم أن قطراً أو مدينة أو قرية انقلبت وهابية ؟؟ .

ولربما قال بعض من يحتج للشيخ الدجوي ومجلته المذكورة : ان الرد على
المللحين لا يجدي شيئاً . لان من دخل حظيرة الاحاد فیهات أن يغادرها . وهو
احتجاج ضعيف مهين . فان من ذاق حلاوة عقيدة التوحيد ولباب الاخلاص
فیهات أن يعافها . فلم يسمع أن رجلاً دخل في مذهب الموحدين وتطهر قلبه من
ارجاس الشرك والخرافات فخرج منه ونكص على عقبه . ثم لو صح ذلك لما كان
غذراً صحيحاً . إذ تنصر مسلم واحد وإلحاده ، يجب أن يكون على مذهبه شرراً
من توهب ألف رجل . بل آلاف .

والحاصل انها خطئة غير مرضية سواء علموا ذلك أم لم يعلموه . فانه جهل
لا يعذر فيه أحد .

ولقد كنا أمهلناهم لعلمهم يرجعون ، وإلى الحق يفيثون ، ويتحلوا بالانصاف
عند الحجاج والاعتدال في المناظرة ، ظنا ان معهم نفوساً أبية ، وقلوباً ذكية ،
ترجعهم عن الاسترسال فيما هم فيه ، والتباعد عما هم عليه . فان العفو عن الحر ،
والصفح عن الكريم يفعلان ما لا تفعل الشدة والقوة ، ويسلسان من قياده ما لا
يسلسل القسر والقهر .

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم فمن لك بالحر الذي يحفظ البدا

ولكن الظن خاب ! والامل أخفق . فظنوا انهم ماتوا كوا إلا عجزاً وضعفاً
وان لو كان لدينا دفاع لدافعنا ، وسلاح لقاتلنا ! وتراهم لهذا يزدادون ايعاداً ،
ويعنون ابراقاً وارعاداً .. وما علموا ان الصمت والهدنة لها عوامل كثيرة ، وأسباب
عديدة ، . وقد يأتى الشجاع البراز ، ويطلب القوي الغالب الصاح والسلم
فلما رأيناهم بالعفو غير منتهين ! وبالفقران غير منتفعين ، وان العفو والحلم
لهما مواضع وحالات ، اذ ماتجاوزا موضعهما اللاتى بهما إلا غادا جبنوا وعجزاً وخرقا
وجلبا ضرراً كثيراً كما قال الشاعر :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلو مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقال الآخر :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرها
رأينا أن من الواجب الختم دفع هجوم المعتدي ، ودرء الظالم ، ونصرة
المظلوم (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وانقوا الله واعلموا
ان الله مع المتقين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها)

وقد أمر الله سبحانه المساهمين أن يقوموا له شهداء بالقسط ، وأن ينصروا
المظلوم على الظالم (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على
أنفسكم أو الوالدين والأقربين) وقال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما فإن بعث إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن
خافت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)

وفي البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال « انصر أخاك ظالماً
أو مظلوماً » قالوا يارسول الله ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال « تحججه
عن ظلمه ، فذلك نصرته » وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بسمع ونهانا عن سبع - فعدّها - وكان من جملة ما أمر به : نصرة المظلوم ذلكم

وان مما يزيد الاسف أن الشيخ الدجوي طال قلمه فيما سود في المجلة في رده فمزق كثيراً من الاعراض ، واعتدى بكثير من الهمز واللامز مع انه يعيب مثل ذلك . ويقول : ان السب والثلب سلاح العاجزين الضعفاء ، وهذا عجيب !!

عجيب في الزمان وماء عجيب أتى من آل سيار عجيباً
حتى نال شتمه المستحق وغيره ، واعتذر بقول الشاعر :

وجرم جره سفهاء قوم فخل بغير جارمه العذاب
والله يقول (ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان إلا ما سعى)
(هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ؟) - (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)
وفي الحديث « لا يحني جان إلا على نفسه » وفيه « لا يؤخذ أحد بجريرة أحد »

وموضوع رسالتنا هذه هو حكم التوسل : الجائز منه والمنوع . ودحض شبه الشيخ الدجوي في التوسل المنوع الذي أباح به دعاء الاموات ، والاستغاثة بالمقبورين . وقد جعلناها في مقدمة وقسمين : (القسم الاول) في التوسل الجائز المشروع ، وهو في باب واحد تحتة انواع - (القسم الثاني) في التوسل الباطل المنوع ، وهو أربعة أبواب

والله أسأل أن يقيني خطل اللسان ، ومزالق الجنان ، ونزغات الشيطان وهذا حين أبتديء القول وعلى الله التكلان ، وبه المستعان .

المقدمة

ما هي الوسيلة ؟؟

قال صاحب القاموس : الوسيلة والواسطة ، المنزلة عند الملك ، والدرجة والقربة . ووصل إلى الله توسيلا ، عمل عملا تقرب به اليه ، كتوسل . والواصل ، الواجب والراغب إلى الله . اهـ

وقال في لسان العرب : الوسيلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة . ووصل فلان إلى الله وسيلة ، إذا عمل عملا تقرب به اليه والواصل كالراغب إلى الله قال لبيد : أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى ، كل ذي رأي إلى الله واسل

وتوسل اليه بوسيلة ، إذا تقرب اليه بعمل ، وتوسل اليه بكندا ، تقرب اليه بجرمة آصرة تعطفه عليه . والوسيلة الوصلة والقربي ، وجمعها الوسائل ، قال الله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال الجوهري : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير . والجمع الوُسل والوسائل . والتوسيل والتوسل واحد اهـ وقال ابن جرير - عند تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) يقول اطلبوا اليه القربة بالعمل بما يرضيه . والوسيلة هي الفعيلة ، من قول القائل : توسلت إلى فلان بكندا بمعنى تقربت اليه . ومنه قول عنتره :

ان الرجال لهم اليك وسيلة أن يأخذوك ، تكحلي وتخضي

يعني بالوسيلة القربة . وقال الآخر :

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل
ثم قال ابن جرير : وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل . وذكر عن أئمة التابعين مثل ما قال . وزاد عن بعضهم تفسيرها بالمحبة

وقال الراغب الاصفهاني : الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة ، وهي أخص من

الوسيلة ، لتضمنها معنى الرغبة . قال تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربة اه وفي الحديث « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فانها منزلة في الجنة » وقال تعالى (اوائك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال أئمة المفسرين : يطلبون اليه الزلفى والدرجة والقربى . وقالت قتيلة بنت النضر : والنضر أقربهم اليك وسيلة واحقهم ان كان عتق يعتق وقال النبهاني الطائي ، من الشعراء الاقدمين - :

ولما عصينا بالسيوف تقطعت وسائل كانت قبل سلمها جبالها
وقال المتنبي :

الا ليست الحاجات الا نفوسكم و ليس لنا الا السيوف وسائل
وفي الحديث الآتي في توسل الصحابة بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه قال : « اللهم انا كنا نتوسل اليك بنينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا »

معرضة ما تقدم

بان مما تقدم من كلام العرب ، ومعاجم اللغة ، أن الوسيلة تدور على أمور :
(١) القربة (٢) الدرجة (٣) المحبة (٤) الحاجة (٥) الرغبة . وان التوسل إلى الله ، هو التقرب اليه بالأعمال الصالحة ، والقرب المشروعة . وعليه ليس منها مناداة الاموات ، واستغاثتهم ، وسؤال الله بهم ، إلا أن يقيم المنازع دليلا من الكتاب والسنة على أن سؤالهم ، وسؤال الله بهم ، مقرب اليه تعالى ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتحريف القول عن مواضعه ، كما سيأتي
وأما الوسيلة في عرف الناس اليوم فتقع على الاستغاثة بالاموات ، والنسح

والتقبيل لقبور الاولياء ، والنذر لهم ، وتقريب القرابين للصالحين ، وشد الرحال
وإعمال المطي من الاماكن البعيدة إلى القبور ، وقراءة القرآن والاوراد على
القبور ، ولأرواح المقبورين ، والصلاة اليها واستقبالها ، والبناء عليها وتخصيصها
وإيقاد السرج فوقها . هذا ما تقع عليه الوسيلة في عصرنا الحاضر .. والشيخ يجوز
الوسيلة بكل هذه المعاني . فليفهم إذن أنا حين نبطل الوسيلة وننقض ما زعمه الشيخ
ادلة مما هو في نفسه دعاوى لا يبراهين معها الا الهوى والعصية - فانما نقصده به كل
هذه الاطلاقات العامة الآنفه ، إلا اذا قيدناه بنوع دون آخر . فمثلا اذا قلنا :
هذه الآية أو ذلك الحديث ، أو ذاك القول لا يفهم منه جواز الوسيلة - نريد
بها دعوة الاموات أو تقبيل الاحجار أو التمسح بها .. إلى آخر ما ذكرنا من
أنواع التوسل العامي



القسم الاول

في التوسل المستروع

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقال (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال المفسرون كافة : معنى الوسيلة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة والقرب الراجعة ، كالصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وغير ذلك من العبادات . وهي على أنواع :

﴿ النوع الاول التوسل اليه بأسمائه وصفاته ﴾ قال تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال (انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) توسلوا اليه بوصفه بأنه خير الراحمين - وقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) وقال عن أيوب عليه السلام (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وقال حكاية عن زكريا عليه السلام (رب لا تنذرني فرداً وأنت خير الوارثين) وهو في الكتاب الكريم كثير وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه واحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ

سمع رجلاً يقول : اللهم اني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال « لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى ، واذا دعي به أجاب » وسمع أيضاً رجلاً يقول : اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك الحنان المنان ، بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام . فقال « لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى ، واذا دعي به أجاب »

﴿ النوع الثاني التوسل بالصلاة كما تقبل الدعوة ﴾ وذلك كصلاة الاستسقاء ، وصلاة الاستخارة ، ومنه حديث الاعمى الذي سياتى ، ففيه انه قال « اذهب وتوضأ وصل ركعتين ثم ادع » ولعل من ذلك قوله تعالى (واستمعينوا بالصبر والصلاة)

﴿ النوع الثالث التوسل بالتوحيد والايمان ﴾ قال تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجينااه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) وقال (واذا سمعوا ما نزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وقل عن المؤمنين (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) وقال (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار)

﴿ النوع الرابع التوسل بالتسبيح ﴾ قال تعالى في قصة يونس عليه السلام (فلولا انه كان من المسبحين * لبث في بطنه الى يوم يبعثون) فانه نجاه وقبل دعوته بتسبيحه

﴿ النوع الخامس التوسل بذكر الاعمال الصالحة السالفة عند نزول الضر لكشفه ﴾ روى البخاري ومسلم وغيرهما - واللفظ للبخاري - عن ابن عمر (رض) قال : قال نبي الله ﷺ « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون ، إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار ، فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما علم انه قد صدق فيه . فقال واحد منهم : اللهم إن كنت تعلم انه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز ، فذهب وتركه ، واني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أنني اشتريت منه بقرأ ، وانه أتاني يطلبني »

أجره، قلت أعمد إلى تلك البقر فسقمها، فقال لي: أنا لي عندك فرق من أرز، فقلت له أعمد إلى تلك البقر فانها من ذلك الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لأسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيسكننا لشربتهما، فلم أزل أنتظرهما حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. فانساخت الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، واني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيته بها، فدفعتها اليها، فأمكنني من نفسها، فلما قدمت بين رجلها، قالت: اتق الله ولا تغض الخاتم إلا بحقه، فقامت وتركت المائة الدینار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. ففرج الله عنهم، فخرجوا « فهذا توسل بذكر أعمالهم. وقد غلط من استدل به على جواز التوسل بالأعمال مطلقاً - أي بعمل الانسان المتوسل وعمل غيره

﴿ النوع السادس التوسل بحمد الله والصلاة على رسوله ﴾ روى الترمذي

عن فضالة بن عبيد وقال: حديث صحيح - أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على الرسول، فقال «عجل هذا، فدعاه» وقال له أو لغيره « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والصلاة على رسوله، ثم ليدع بعد بما يشاء » وروى أحمد والترمذي - وقال حسن صحيح - والحاكم وصححه - عن أبي بن كعب: قلت يا رسول الله، أني أكثر الصلاة، فكيف أجعل لك من صلاتي؟ قال «ما شئت» قال: قلت: الربع؟ قال «ما شئت وإن زدت فهو خير لك» قلت النصف؟ قال «ما شئت» وإن زدت خير لك» قال قلت: الثلثين؟ قال «ما شئت وإن

زدت فهو خير لك » قلت اجعل لك صلاتي كلها ؟ قال « اذن تسكن في همك ويعفرك
لك ذنبك » وفي رواية لاحمد قال رجل : يا رسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي
كلها عليك ؟ قال « اذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما همك من دنياك وآخرتك »
﴿ النوع السابع التوسل بالقرآن ﴾ فروى ابن ماجه أن الرسول عليه الصلاة

والسلام قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو
الرحيم) وفاتحة سورة آل عمران » وروى أيضاً عن القاسم قل « اسم الله الاعظم الذي
إذا دعي به أجاب في سور ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، وطه » وروى مثله مرفوعاً
﴿ النوع الثامن التوسل بالصدقة ﴾ قد كان بعض العلماء يفعل له لقبول الدعوة ،
ويستدل بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة) ومن يشك في حسنه ؟ ! فإن الصدقة من صالح الاعمال ،

﴿ النوع التاسع التوسل بالتضرع والخشية والخشوع ﴾ قال تعالى (ادعوا
ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المتدينين) وقال — بعد أن ذكر اجابته للانبياء — (انهم
كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)

﴿ النوع العاشر التوسل بالأسرار والاختفات بالدعوة ﴾ قال تعالى (ذكّر
رحمة بك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفياً * قال رب اني وهن العظم مني
واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً) وقال (واذكر ربك في نفسك
تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين)
وقل (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً)

﴿ النوع الحادي عشر التوسل بدعاء الصالحين ﴾ كما جاء في الحديث الذي
رواه البخاري وغيره ان الصحابة كانوا إذا أجذبوا توسلوا بالعباس بن عبد المطلب
وقال عمر في عام الرمادة « اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك
بعم نبينا فاسقنا » فيسقون ، واستسقى معاوية بن ابي سفيان بالاسود بن يزيد من
فضلاء التابعين . وقد ذكر الفقهاء استحسان ذلك في باب صلاة الاستسقاء

القسم الثاني

في التوصل الممنوع . وذكر أدلة الشيخ وهدمها

الباب الاول

(فيما ادعاه أدلة من القرآن)

(الآية الاولى)

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة)
وتركيب دليله أن يقال : دعاء الموتى والتقرب الى الله بهم وسيلة ، والوسيلة
مأمور بها . أما دليل المقدمة الاخيرة فلاية ، وأما دليل الاولى فتسمية الناس
ذلك في العصر الحاضر وسيلة ! . والجواب من وجوه :

الاول — لانسلم أن دعوة الاولياء والصالحين تسمى وسيلة

الثاني — سلمنا ذلك . لكن باللسان العربي أم العامي العربي ؟ . . الاول
ممنوع ، والثاني لا يعني فتيلاً ، إذ القرآن لسان عربي

الثالث — سلمنا صحة ذلك في اللسان العربي ، لكن لانسلم أن الآية أطلقت
الوسيلة بالاطلاق العربي . وما المانع من أن الوسيلة قد تصرف فيها الشارع كلفظ
الصلاة والصيام والزكاة والحج والايمان والكفر ؟ ولا يصح أن يقال : الاصل
عدم التغير ، لان الاكثر في الاسماء الشرعية متصرف فيه عن الوضع العربي

الرابع — سلمنا عدم التصرف ، وبقاء اللفظ على حاله ، لكن لانسلم أن (أل)
للاستغراق ، فهي في لغة العرب ثلاثة أشياء : الاستغراق ، والعهد ، والجنس .
وقد أنكر بعض الناس كونها للاستغراق

الخامس — سلمنا انها تكون للاستغراق ، لكن في كل موضع ، أم في هذا
الموضع على التعمين ؟ الاول باطل بالانفاق ، والثاني تحكم ، فانها تكون للهـدـ
والجنس كما تقدم ، فكيف رجحت الاستغراق على أخويه ؟ !

السادس — سلمنا انها هنا للاستغراق ، لكن هنا مخصصة بدليل عدم نقل
التوسل بالأموات بدليل صحيح عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين
رضي الله عنهم ، مع وجود المقتضي لفعله ، وتوفر الدواعي على نقله ، وبدليل اجماع
السلف على تفسير الآية بخلاف ذلك

السابع — سلمنا عدم دلالة ما ذكر على التخصيص ، لكن لانسلم أن معنى
الآية ما قلتم ، وما المانع من أن يقال : معنى (ابتغوا اليه الوسيلة) أي اطلبوا
وأحبوا الوسيلة التي هي الاولياء والصالحاء كما فسرتم الآية ؟ وليس فيها أن نبتغي
منهم ، بل أن نبتغيهم ، وفرق بين الامرين ، فانه يصح أن يقال مثلاً : إبتغ الثوب
والدواة والقلم ، ولا يصح : إبتغ من الثوب والدواة والقلم - وتلخيص هذا الوجه
أن يكون معنى الآية - اذا فسرت الوسيلة بالصالحين - الحب لهم والمودة والسؤال
عنهم ، لانه يقال : بغاه وابتغاه ، اذا سأل عنه وأحبه

الثامن — تنازلنا عن كل ماسبق ، ولكن ذلكم لا يفيدكم الغرض المهم لديكم ،
وهو اثبات الاستغانة بالخلق والسؤال منهم ، وهم أموات وحُمادها وقتئذ الدلالة
على جواز الطلب والسؤال بالخلق من الله ، وهذا خطبه سهل وليس هذا ما بهتم له خصوصكم
وهذه الوجوه كلها على طريق الالتزام والجدل : وإلا فالمراد من الآية على
ما قال المفسرون : أن تقترب الى الله بالأعمال الصالحة كما تقدم

(الآية الثانية)

قوله تعالى: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعمنة الله على الكافرين) والجواب من وجوه :

الاول — الاستفعال يفيد معنى الطالب ، فالتاء والسين للطلب ، كاستنصار والاستقسام والاستغفار ، فعنى الاستفتاح : طلب الفتح ، كاستغفار طالب الغفر ، فيكون معنى الآية : انهم يطلبون الفتح ، لكن هل قل انه من غير الله ؟ أو من الله بغيره ؟ لا شيء من ذلك ، فهو استدلال ساقط ، وهذه الآية مثل قوله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم) وقوله (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فعلى المستدل بها أن يبدل ماقلنا

الثاني — سلمنا انهم كانوا يستفتحون بشيء ويسألون الله بواسطته على طريق التوسل والتشفع ، لكن لانسلم أن ذلك الشيء هو الرسول أو مخلوق آخر ، إذ لا مانع أن يكون هو الكتاب الذي هو كلام الله ، فالمعنى انهم يتشفعون بكلامه ويتوسلون اليه به ، ولا راد لذلك ، لا من العقل ولا من النقل ، وحينئذ لاتدل الآية على التوسل باخلق

الثالث — سلمنا كونهم يستفتحون به عليه الصلاة والسلام ، لكن على أي معنى ؟ لعلمهم يقولون : ربنا افتح علينا ولنا بالرسول ، وهذا كما يقال : نصرت بالسيف ، وشبعت بالطعام ، ورويت بالماء ، وغلبت بالشجاع ، كما قال عليه الصلاة والسلام « نصرت بالرعب مسيرة شهر » وكما قال تعالى (أخرجنا به نبات كل شيء) ، (وأخرجنا به من كل اشمرات) ، (وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) والمراد أن هذه الاشياء آلة وسبب ، ويكون المعنى عليه : ابعث فينا رسولا ونبيك محمداً ليكون لنا النصر على الاعداء اذا اتبعناه وجاهدنا معه ، لان الرسل ومن اتبعهم الغالبون ، وليس المعنى انهم يسألون الله بذاته صلواته عليه

الرابع — سلمنا توسلهم بذاته ﷺ لكن شرع من قبلنا ليس شرعنا ، وليس كل ما جاز للأمم السابقة في شرائعهم جاز لنا . فشرعنا ناسخة لما قبلها ، فالسجود للخلق كان جائزاً في بعض الشرائع ، كما سجد ليوسف عليه السلام أبوه وأخوته ، وكما سجدت الملائكة لآدم

الخامس — سلمنا أن شريعة من قبلنا شريعة لنا ، لكن لانسلم أن هذا الاستفتاح مأخوذ من الشرائع الآتية ، ولعله من زيادات الاحبار والرهبان وبدعهم التي ابتدعوها ، وما كان كذلك لا يكون حجة باتفاق العلماء ، فقد أخبرنا القرآن الكريم عن بني إسرائيل أنهم قوم محرفون مغفون متبعون أهواءهم

السادس — تركنا كل ما سبق لنا من الاعتراضات — إكراماً للشيخ — فان له علينا أيادي كثيرة ، وقد تعلمنا من كلامه الجدل والابطال للكلام الباطل وان كان هو يستعمل هذا في ابطال الحق ، لكن ليخبرنا أن هذا الاستفتاح كان منهم بالرسول قبل ولادته وسابق خلقه ! ولم لا يكون في حياته قبل بعثه ؟ يعني أنهم كانوا يتوسلون به ويستفتحون في حال وجوده قبل بعثه لما رأوا فيه من سيما الصلاح والفضل والطهارة النادرة ، وقوله : (من قبل) — أي من قبل البعثه —

السابع — سلمنا ما تقدم ، وخففنا الوطء على الشيخ ، لكن بعد ذلك يخرج صفر اليمين مما يدور عليه ، ويحول حول اثباته ، وهو الاستغاثة بالأموات ، وقصاري الآيات حينئذ جواز التوسل بالخلق وسؤال الله بهم ، وهذا خطبه يسير ، واضداده لا يابون به كثيراً ، والذي يابون به كثيراً ويشددون في النكير على فاعليه ، هو دعوة الأموات

(الآيات الثلاثة)

قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بسنة من الله وفضل
وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) ومثلها (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات
بل أحياء ولكن لا تشعرون)

واستخراج دليله من الآية أن يقال: سؤال الأحياء جائز بالاتفاق، والأموات
أحياء، فينتج منه جواز طابهم والاستغاثة بهم، والجواب من وجوه:

(الوجه الأول) — أنها مؤولة ومحولة عن ظاهرها لأمور:

(١) الآيات والأحاديث المفيدة وقوع الموت بكل أحد كقوله تعالى (كل
نفس ذائقة الموت) — (كل من عليها فان) — (كل شيء هالك إلا وجهه) —
(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)
(ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) — (انك ميت وانهم ميتون)
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)
وقال عن يحيى عليه السلام (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا)
وقال عن عيسى عليه السلام (والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا)
وقال عن ابراهيم عليه السلام (والذي يميتني ثم يحييني)

وفي البخاري أن عمر لما مات الرسول ﷺ قال « من قال ان محمداً قد
مات ضربت عنقه بالسيف » فجاء ابو بكر الصديق — وكان غائبا — فصعد المنبر
ثم تلا (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم) الآية. ثم قال « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد
الله فإن الله حي لا يموت » قال عمر « فوالله اسكن الآية ما أنزلت إلا الساعة »
نسيها دهشاً وانفعاء !! — قال أنس: « لما مات الرسول ﷺ ارتدت العرب »
وقالت عائشة: « مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري » وقالت قال
رسول الله ﷺ « ما مات نبي إلا بعد أن يخبره الله ». وقال أنس: « مات

الرسول ودفعه مرهونة عنده يهودي « والخبار كلها في البخاري ومسلم، ومثلها كثير.
(٢) الحامل على تأويلها قوله (قتلوا)، فإن القتل هو الامانة. قل صاحب
القاموس: قتله وبه - عن ثعلب - قتلًا وفتحًا، أماته كقتله. فلو لم تؤول للزم التناقض
والتهافت. لان قتلوا معناه حل عليهم الموت، وقولنا: ليسوا أمواتا أي لم يحل
عليهم الموت، وهو التناقض، كقولك: ضرب زيد، وليس مضروبًا، وقتل،
وليس مقتولًا، وألبس، وليس لابسًا، وأخرج، وليس خارجًا، يجب التأويل
في ذلك كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)

(٣) الداعي لتحويلها عن ظاهرها المشاهدة والضرورة. وكم من آية وحديث
أولاً للمشاهدة والضرورة، وهما أولى ما تؤول به الاخبار السمعية، وعليه فيكون
معنى الحياة المثبتة لهم على نحو ما في قولهم: فلان حي ومات، إذا كان له ذكر
ومدحة شائعة، وان كان تحت الثرى من آلاف السنين. وهذا المعنى شائع جداً
قل المتنبّي:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ماقاته، وفضول العيش إشغال
وقال:

كفل الشاء له برد حياته لما انطوى، فكأنه منشور
وقال:

وأشرف من عيشهم موته وأنفع من وجدهم عدمه
وقال قطرب:

ردت صنائعهم اليه حياته فكأنه من نشرها منشور
وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

تعلم العلم لا تطالب له بدلا فالناس موتى وأهل العلم أحياء
وقال آخر:

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وقال آخر :

وإذا الكريم مضى وولى عمره كفل اثناء له بعمر ثاب
ولآخر :

وما مات من زان المحافل مدحه وغنى بذكره المقيمون والسفر
وقال صاحب القاموس في خطبته: راموا تخليد الذكر بالانعام على الاعلام،
« وأرادوا أن يعيشوا بعمر ثاب بعد مشاركة الحمام

ولعل منه قوله تعالى (الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخذه)
(وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) والحديث الصحيح « من أحب أن يزداد له
في رزقه وبنسأ في أجله فليصل رحمه »

لكن قد يقال لا يناسب هذا التأويل النهي عن أن يقال أنهم أموات ،
ولا يتفق مع قوله (ولكن لا تشعرون) فان هذا المعنى كل يشعر به ،

فيقال عن الاول : نهى عن القول أنهم أموات ا كباراً لقدحهم وحصاً على
الجهاد في سبيله والتفاني في مرضاته . وعن الثاني : ان الحياة التي لا يشعرون
بها ، هي الذكر الخالد ، والدحة المستمرة ، واللسان الصادق ، مما لم يكن الناس
يعلمون أن الشهداء ينالونه . أو ان اثناء الذي لا يشعرون به هو ثناء الملائكة ،
أو ثناء الاله ، أو ثناء جند من جنوده (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أو يكون
المراد من الحياة اجراء الاجر واثواب الاعمال التي كانوا يعملونها قبل الموت ،
وغيرهم ينقطع ثواب عمله بموته ، وربما فسر قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فلن
يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم) . وما رواه مسلم
في الصحيح عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « من قتل في سبيل الله
أمن عذاب القبر وأجري عليه عمله الذي كان يعمل في الدنيا حتى يبعث »

وربما فسر (أحياء) بأنهم سيحيون ، كقوله (إنك ميت وانهم ميتون) وقوله (كل من عليها فان) ، (كل شيء هالك إلا وجهه) أي سيكون ذلك وقوله (ان المجرمين في ضلال وسوء) وقال (إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

فان قيل: على هذين التأويلين، كيف يصح قوله (أحياء عند ربهم يرزقون) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) إلى آخر الآية . فان هذه أفعال مضارعة وهي لا تكون إلا للأحياء ؟

وقد يقال عن هذا الاشكال: يحتمل أن (يرزقون) وما بعده للاستقبال، أي سيكون ذلك، والفعل المضارع فيه خلاف، هل هو للحل فقط؟ أو للاستقبال فقط؟ وأولها معاً؟ كما يقال: ان الله يبعث الخلائق إذا شاء، وان رسولنا يقوم المقام المحمود، ويكون (فرحين) حالاً من ضمير (يرزقون) وهي حل مقدرة، والعامل فيها (يرزقون) وربما قيل في دفع الاشكال إن معنى (يرزقون) إنه يجري لهم الثواب والثناء العاطر، ولتأمل أن يقول: ان قوله أحياء عند ربهم، كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح «لخوف في الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» وان كان في الظاهر ليس كذلك

(الوجه الثاني) - غاية ما في الآية حكمها بالحياة للشهداء . واثبات الحياة للشيء لا يدل على جواز دعائه والتوسل به، فقد جاء اثبات الحياة للأرض ولم يدل على جواز دعوتها والتوسل بها . قال الله (وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج) وقال (ويحيي الأرض بعد موتها) فإذا كان كل من ثبتت له الحياة يدعى ويستغاث به ؟ فعليك أن تدعو الأرض والبهايم والشیاطين من كل ما ثبتت له الحياة

(الوجه الثالث) - لو كان اثبات الحياة للإنسان يقتضي إلحاق شئون الحياة

الاولى كلها وعوارضها بالحياة الاخرى لاقتضى ذلك جواز دعوة الكافرين الاموات. فقد جاء في الشرع اثبات الحياة لهم، وبالإجماع يصح سؤالهم ما يقدرون عليه في الحياة الدنيا وهم أحياء في بعض الحالات المباحة شرعاً، فينتج منه جواز التوسل والاستغاثة بابي جهل وأبي بن خلف، وغيرهما من رؤوس الطغيان، وما استلزم ذلك استحقاق ألا يلتفت اليه.

(الوجه الرابع) - يقال: إما أن تريد بالحياة مطلق الحياة، من غير أن تحكم عليها بأنها كحياتنا مستلزمة لجواز دعوة صاحبها، وإما أن تريد حياة كحياتنا أو أبلغ، مستلزمة لذلك.

إن أردت الاول، فن أن حكمت أن مثل هذه الحياة تستلزم ذلك؟ وإن أردت الثاني فباطل بالمشاهدة، وبما تقدم من القرآن والحديث. ولو فرضنا أنه لا دليل معنا على التفرقة بين الحياتين لكان المسوي بينهما هو المطالب بالدليل، فلا يلزم من الحكم على الأمرين بالأمر استواءهما فيه.

(الوجه الخامس) - هبنا سويناً بين الحياتين، وأن الاموات أحياء كحياتنا. ولكن من أين لكم أنهم يدعون ويتوسل بهم؟ أمن اثبات الحياة؟ أم من أمر آخر؟ فإن كان من الاول لزم أن يدعى البعيد الحي ويستغاث به ويطلب منه ما يطلب من القريب، فيقول من في المغرب إن في المشرق، وإذا وقع عليه مخوف، كأن عدا عليه أسد، أو هاجمه لص - : أغثني! وادركني، وهذا لا يقوله أجهل الجاهلين، ولا يرضاه ذو عقل ودين. ولو ناديت أبي أو أخي أو صديقي، في جزيرة العرب، وأنا في مصر - وكان من أصلح الصالحين وأفضل المتقين - لعُدني من سمعني مجنوناً أو سكران.

وروى مسلم في صحيحه عن مسروق قال: سألتنا عبد الله عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) قال: أما إننا

قد سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضرها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطاع اليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن سألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» وقد جاء في النسائي «إن أرواح الشهداء تطير على أغصان أشجار الجنة حيث شاءت» فإذا كانت هذه حياتهم، وبعدهم عنا في عالم آخر، فأنى يصح لنا دعوتهم؟ وأنى يسمعون لو دعوناهم؟ وإن دعوة الحور العين الآتية في الجنة هي أقرب من دعوة الشهداء!! وهل يدعو عاقل الحور ويتوسل بهم؟!

﴿ الآيات الرابعة ﴾

قوله تعالى في قصة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) والجواب من وجوه:

الاول — الآية بريئة من محل النزاع، فإنها استغاثته حي بحي، وهذا يجوزه خصومه، ولا خلاف فيه. وكان الشيخ يرضى من الأدلة بمطلق الموافقة في اللفظ على أي معنى كان!!

الثاني — ما الدليل أن فعل الرجل الاسرائيلي حجة؟! أمن انه طلب من موسى ولم ينكر عليه؟ فنقول: لعله أنكره ولم ينقل إلينا، أو لم ينكره إذ هو في حالة رهيبة، أو لأن الاسرائيلي مشرك، فلم ينكر عليه لانه لا يسمع كلام موسى حتى يؤمن به، ويجوز أن موسى لم يسمع استغاثته الاسرائيلي، والتعقيب بالغاء لا يدل على السماع، والغاء تكون للتعقيب من غير سببية

الثالث — سلمنا بطلان ما قلنا. لكن ذلك كان قبل أن يوحى اليه، وسكوت الانبياء قبل بعثتهم لا يدل على جواز المسكوت عنه.

الرابع — سلمنا ذلك لكن ليس هو في شريعتنا ، وكون شريعة غيرنا شريعة لنا فيه خلاف بين الاصوليين

الخامس — سلمنا ذلك . لكن ليس على اطلاقه ، بل بشرط أن لا يأتي في شريعتنا ما يبطله ، فإذا جاء فليس شريعة لنا بالاتفاق . روى الطبراني أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال « انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله » وقال تعالى (فلا تدع مع الله أحدا) ، (قل اني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً * قل اني لن يحيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً)

السادس — سلمنا عدم ذلك ، لكن الآية مخصصة ومقصورة على الحياة فحسب ، والدليل أنه لم يثبت عن الرسول ، ولا عن أحد من أصحابه ولا التابعين ، ولا الأئمة الراشدين ، أنهم توسلوا بميت . ومستحيل أن يكون ذلك جائزاً أو سنة أو واجباً ويتفقوا على تركه أو أن يكونوا فعلوه — أو كثير منهم — ولم ينقل اليئنا كبطلان قول من يقول : ان الصلاة أزيد من خمس ! ، والحج واجب في العمر أكثر من مرة ! وأنصبه الزكاة فوق ما قدر الشارع مما نعرفه ، وسائر الفروض كذلك ، أو يجوز ذلك ولكنه لم ينقل اليئنا ! ! .

﴿ الآية الخامسة ﴾

قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)
والجواب من وجوه :

الاول — أن يقال : بين هذه الآية وبين الدلالة على دعواه ما بين المشرق والمغرب ، فغايتها تعليق غفران ذنوبهم على مجيئهم اليه ﷺ ، واستغفارهم الله ، واستغفار الرسول لهم ، وانهم لميوا على ترك ذلك ، وليس فيها أنهم يطلبوه ولا أمروا أن يطلبوه ، ولا غرابة أن يكون ذلك حاصلًا لهم بذهابهم اليه فقط ، وانه ﷺ عليه

يطلب لهم ، بدون طلب منهم ، وكأن الشيخ فهم أن الاستغفار لا يكون إلا بسؤالهم من النبي ! . وهو غير صحيح

الثاني — نهايتها ترتيب وجدانهم لله تواباً رحماً على مجيئهم إليه ، وطلبهم المغفرة من الله وطلبه عليه الصلاة والسلام المغفرة لهم ، وهو لا يقتضي حصول المرتب عليه وهو الشرط ، إذ قد يعاقب الشيء على ما لا يمكن وقوعه ، وعلى ما لا يجوز ، كما إذا قال الشارع : إذا زنى المحصن فارجوه ، وإذا زنى البكر فاجلدوه ، وإذا سرق السارق ربع دينار فقطعوا يده . وكقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك) وقوله (قل إن كان لرحمن ولد فأنا أول العابدين) كما يقال : لو أقدرني الله لعلوت السماء ولنجوت من الموت ، وهذه كلها معالقة على غير جائز ، وعلى غير مباح . فعلى المستدل هنا أن يبين أن الشرط جائز وممكن .

الثالث — الآية معالقة ذلك على آتيانه ، واتيانه غير متأت بعد موته ، إذ لا يمكن إلا آتيان قبره ، ومن أتى القبر لا يقبل أنه أتى صاحب القبر . إلا على سبيل التسامح والتجاوز ، كما أن من ذهب إلى صديق له فوقف على داره ولم يدخل إليه ولم يخرج الصديق إليه لا يقال أنه أتاه ، وإنما يقال أتى داره . وأما قول العامة : أتيت الإمام الشافعي مثلاً والسيد الحسين وأمثالهما فهو تساهل في العبارة ، ألا تراهم يقولون صليت في السيد الحسين وفي الإمام الشافعي ، وإنما مقصدهم في مسجديهما وحواليهما إذ لا يمكن الصلاة في نفس الإمام ، وأيضاً آتيانه حقيقة لذاته مع روحه وبعد الموت روحه قد فارقت وهى في الجنة ، والمعرض يقول : الإنسان إنسان بالروح فالإنسان الذي هو الروح غير متأت آتيانه إذ هو في الرفيق الأعلى . ويقال : (رابعاً) هي واقعة معينة لاتفيد العموم بمعناها ولا لفظها ، وقعت في حياته ^{صلوات الله عليه} ، فمن أين أخذت التعميم في الحياة والمات ؟ مع أن لفظه لا يفيد ، ومعناها لا يريده . وأما كون الوقائع المعينة تكون عامة لغير صاحب الواقعة ، فمن أدلة أخرى دلت عليه ، ومن الاتحاد في العلة . ويقال :

(خامسا) هبها دالة على العموم في الحياة والمات، لكنها مخصصة ومقصورة على الحياة. ودليل التخصيص الاخبار الشرعية الدالة ان الاموات لا يسمعون ولا يجيبون قال تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) وقال (انك لا تسمع الموتى) وفي الحديث « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الخ » ولان الصحابة ومن بعدهم ما فهموا شمولها لحال الموت، ولذا لم يدعوه صلوات الله عليه ولم يأت اليها انهم دعوه بعد الموت، كما قد أتى اليها انهم سألوه الدعاء في حياته. ولان المفسرين لم يفهموا منها شمولها حال الموت. وللمشاهدة أننا دعونا وسألنا لانجاب (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) ويقال (سادسا) لو تركنا كل ما أنف لم تدل الآية على طلب الاستغفار منه والتشفع به إلا اذا ذهبنا عنده. أما اذا كنا نائين فلا ية لا تفيد ذا. ويقال : (سابعا) على فرض التسليم فان بعض العلماء يرون ان الانبياء أحياء دون غيرهم، ويمكن أن يقال هذا خاص بالانبياء لانهم أحياء فلا يدخل معهم غيرهم

(الآية السادسة)

قوله تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر)
لقد كادت تستك آذاننا، وتنصدع أفئدتنا من هذه الاستدلالات الزمنية.
لا أدري كيف يتجلجل الشيخ ويسف في ادراكه وشعوره؟ ولست أفهم، هل الشيخ يفكر برأسه أم برجله؟ وهل يستنبط بعقله أم بعكازه؟ فانه لو اضطر ممرور في حياته كلها فاستعمل قواه وتفكيره على أن يستخرج من هذه الآية دليلا على مشروعية دعوة الاموات والالتجاء اليهم وسؤالهم لما استطاع الى ذلك سبيلا
ان كل انسان يفهم انها لا تفيد ذلك ولا تشير اليه، اللهم إلا من تكلف تكلف الشيخ، وأوتي ماوتي الشيخ من ذوق تنبوعه أذواق جميع العلماء المساميين في فهم آيات الكتاب الحكيم، ويكون مع هذا عود الفهم المعكوس، حتى عاد عقله معكوساً كعين

الاحول يرى الواحد اثنين ، والمستقيم أعوج ، والاعوج مستقيماً ، وأنف المزكوم الذي لا يشتم للطيب طيباً ، فيا لله للعقول ، ويا للعلماء اللابسي لباسهم والمتسمين بسماتهم فنسألهم بالله الذي وهب العقل لمن شاء ، ومنح الرشاد من أراد - أن تسألوا فضيلة الشيخ كيف أدرك هذا الفهم وعلم ذلك العلم ؟ أهو يظن أن الخطابين أموات حتى فهم دلالتها على سؤال الاموات ، أم هو قد مات ولا يشعر انه قد مات ؟ وانا نرى ان القاري قد فهم بطلان دلالة الشيخ مما سلف من كلامنا على أدلته - أستغفر الله - بل فهم قبل أن يسمع ، وعلم قبل أن يعلم ، ويظهر ان هذا بناء من الشيخ على التسوية بين الحي والميت كما هو قوله ، وسيأتي بطلانه وان كان باطلا عند كل أحد ، ولكن الاعى يدل له على طلوع الشمس وان كانت فوق رأسه هذه أدلته من القرآن قد خرج منها صفر اليمين ، لم يرجع ولا يخفي حنين

الباب الثمانى

(فى نقض ما ادعاه من الادلة الحديثية)

وهي أضعف وأبعد من الادلة القرآنية ، كما ستراه
 الحديث الاول عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله انه قال «من خرج من بيته إلى الصلاة وقال: اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا ، فاني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، وخرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، فأسألك أن تعينني من النار ، وأن تغفر لي ذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت - أفبل الله عليه بوجهه ، واستغفر له سبعون الف ملك » رواه ابن ماجه . والجواب من وجوه

(الاول) أن الحديث ضعيف - قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء عطية - وهو العوفي - والفضيل بن مرزوق ، والفضل بن

الموفق . كلهم ضعفاء : لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده . هذا آخر كلام مجمع الزوائد . وفضيل بن مرزوق هذا الذي رواه من طريقه ابن خزيمة اختلف فيه علماء الحديث . فضعفه ابن حبان وابو حاتم الرازي والنسائي وآخرون ، وثقه الشافعي وابن معين وآخرون . وقد روى له مسلم ، وقد قال ابن حبان فيه : يروى عن عطية العوفي الموضوعات وهو في هذا الحديث عن عطية العوفي . قال الحاكم : ليس من شرط الصحيح . وقد عيب على مسلم اخراجه حديث الفضيل ، وما كان كذلك لا يكون حديثه حجة . وفي صناعة المحدثين ان الجرح مقدم على التعديل

(الجواب الثاني) سلمنا صحته ، لكنه لا توسل فيه ألبتة ، والباء في قوله « بحق السائلين وبحق ممشي » هي للتعدية ، فسأل متعدي بنفسه وبالباء ، والمعنى أسألك حق السائلين وحق ممشي وفي القاموس : سأله كذا وعن كذا وبكذا - بمعنى - سؤالاً وسألة ومسئلة وتسألأ وسألة ، ويحتمل ان الباء للتبعية كقوله (عينا يشرب بها عباد الله) وكما قال الشافعي وبعض العلماء - في قوله تعالى في آية الوضوء (وامسحوا برؤوسكم) والمعنى على هذا : أسألك من حق السائلين

(الجواب الثالث) لانسلم ان حق السائلين مخلوق ، إذ حقهم هو اجابة الله واعطاؤه سؤالهم ، وهما صفتان له تعالى ، فحق الخلق قد يكون صفة من صفات الله . قال تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقال (وإذا سألك عبادي غني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) ففيها ان اجابة الدعاء حق للسائل على الله وفي الصحيح قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : كنت رديف رسول الله ﷺ فقال « يا معاذ » قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله - ثلاث مرات - قال « أتدري ما حق الله على العباد ، وحق العباد على الله ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذبهم

إذا فعلوا ذلك، وحقهم عليه أنه لا يعذبهم بل يشبههم ويدخلهم الجنة» والاثابة وإدخال الجنة ليس مخلوقاً - وهو أجلى من تفسيره بالثواب المخلوق الذي يعطاه العباد لوجوه :
(الاول) ان السؤال بصفات الله متفق عليه ، والسؤال بالخلق مختلف فيه والحل على المتفق عليه أقرب إلى الصواب وأطيب في الالباب
(الثاني) التوسل بغير المخلوق افضل وأدعى للإجابة منه بالخلق ، والحل على الافضل افضل

(الثالث) المعبود في الكتاب والسنة وكلام الأئمة : سؤال الله بأسمائه الحسنى وبصفاته وبذاته كما سلف ، والحل على المعبود هو المعبود
(الرابع) لو حملناه على التوسل بالمعطى والموهوب دخل فيه التوسل بالنساء والاولاد والحيوانات والمجادات، وكل شيء وُهبه السائل، فيشمل المرأة المشركة والكلاب والقرود فهي مما يوهبه السائل ، وما حمل على هذا كان قبيحاً
(الخامس) لو كان توسلاً بالخلق لكان توسلاً بنفس السائل ، لان السائل افضل من حقه المخلوق

(الجواب الرابع) على الحديث : إذا ثبت انه توسل بالخلق لم يؤخذ منه إلا السؤال ، بالخلق لاسؤال الخلق، وبقية أنواع التوسل

﴿ الحديث الثاني ﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت انك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي - ادعني بحقه - فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » رواه الحاكم في

المستدرك وقال: صحيح الاسناد . وقد أخطأ وأحل . عليه أجوبة .

(الجواب الاول) ان الحديث ليس ثابتاً بل هو كذب . قال الامام الذهبي في تعليقه على مستدرك الحاكم في الجزء الثاني صفحة ٦١٥ طبع حيدرآباد : انه حديث موضوع ، ولقد نعى على الحاكم كثير من تصحيحه الموضوعات والضعيف والمنكر ، حتى اتهم بسوء العقيدة ، ورمي بالجهل المركب ، وقد وقع وقعت وزل زلات لا يطار غبارها ، حتى انه صحيح أحاديث يعلم كل انسان ببديهة العقل وان لم يطلع على شيء من الحديث ولا العلم انهم لم يخرج من في نبي ولا عاقل . قال الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥ : ٤٧٤ طبع السعادة) في ترجمة الحاكم أبي عبد الله رقم (٣٠٢٤) نقلاً عن أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الارموي النيسابوري قال : جمع الحاكم ابو عبد الله أحاديث زعم انها صحاح على شرط البخاري ومسلم يلزمهما اخراجها في صحيحهما فانكر عليهما أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه الى قوله . ولا صوبوه في فعله اه .

وقد قال فضيلة الشيخ الدجوي - محدث القطر المصري وعالم آخر الزمان - في رده على جملة الوهابيين : ان الذهبي أقر تصحيح الحاكم للحديث ، فانظر الى جهل الشيخ وتجهيله وضلاله وتضليله ، ونصرته الكذب بالكذب ، وترويعه الباطل بالباطل ، وكذلك المذاهب الباطلة مطاياها الكذب ، ودعائهم الغش ، أنا لا اقول انه مغالط ، بل غالط ، ولست أبرئه من المغالطة ولكنني أبرئها منه ، فالمغالطة عن علم ، ولا علم عند الشيخ . أحرار أنا وغيري في الحكم على هذا الرجل وتدليه في هاويات الباطل ، كيف يضل في مثل ذلك وهو مكتوب با كبر حرف واوضح خط ؟ وأنى زاغ بصره ؟ ولكن لا لوم عليه فهو فاقد البصر عادم النظر (ليس على الاعمى حرج) ولكن كان الواجب عليه - هداه الله - أن يستبصر إذا لم يبصر ، ويستعلم إذا لم يعلم ، فاما شفاء الجهل السؤال ، وقائد الاعمى البصير ، وخلق به ان يسمع قوله تعالى

﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾

وبعد فانا نقول لمولانا الشيخ أي الفريقين احق باللوم واقعد في الجهل واجدر؟
ما أنشدت فيه متبجحاً متمايداً من الزهو تمايل من مادت برأسه الخندريس :

جهل وما تدري بانك جاهل فمن لي بان تدري بانك لا تدري
يا ارسطو زمانه ، احشوا وسوء كيل ؟ أأعور وذا ناب ؟ الؤم ولوم ؟ وأعجب
العجب أن تكتب بعده باعنوان الكبير « التوسل وجهلة الوهابيين » وتشفعه
يقولك : انهم يقولون ما يعقل ولا يعقل ، وتثله بأشادك :

فرقة تدعي الحديث ولكن لا يكادون يفقهون حديثاً
حقاً انهم لا يفهمون الحديث إن قرئوا معك وأريدوا أن يباروك فيه :
وابن الابون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القسايس
أتى لهم أن يباروك ويماروك في تصحيح الموضوعات ؟ والتقول على رجال الحديث ؟
فان كنت لم تحجل من الناس وتحف من المقاد ألم ترهب الله وتحش عقابه ؟ وعقاب
سيدنا الحسين والسيدة زينب - على زعمك - !!

والله ان الملحددين والمارقين من الاديان كافة ، والفضائل جمعاء ، يتحرون
في نقلهم أكثر مما تحرى ، ويحجثدون في تأليفهم فوق ما تحجثد ، حذار الانتقاد ،
واتقاء سهام الحساد ونبال الاضداد ، ولكن يظهر أن الجلد قد شئن أدبهم
واحترق لحمه ، حتى أصبح لا يألم بمؤلم ولا يؤذى بمحرق

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام
ونحسب ان الذي جملة يقدم هذا الاقدام ويصول هذا الصيال في المواطن
التي لا يرومها أمثاله ولا يراها أنداده - ماتوهم من خلو الجو ، وذهاب الفرسان
من حواليه وما غره من سمات بعض الوجوه في وجهه وصدح مفضوطني الافواه
بمدحه ونور عمش العيون اليه - ألم يعلم ان الخلاء يأتي من الخلاء وان الفارس يذهب

ايعود ويكن لبرز ، ويفر ليكر ، ويمعد ليقر ، وان من الضحك بكاء
وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يبتسم
والسحاب يضحك ليعرق ، والسيف يبسم ليفلق ، والعيون ترنو حدقا وعجبا
وتنظر دهشاً وغضباً . ومن المدح ماهو هجاء ومن الشناء خدع وبلاء
وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أنته يد فراسة وفم
ولعلك سمعت الحكمة المشهورة والنصيحة الماثورة فالتمزت عجزها وصدرها
خلا لك الجوف فيضي واصفري ونقري ماشئت أن تقري
(ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب)
ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزاً

(الجواب الثاني والثالث والرابع) ماتقدم في حديث أبي سعيد وهو أن يراد
سؤال الحق لا بالحق ، أو المراد بالحق نصرته الله رسوله واعلاؤه على أعدائه ، وهو
صفة من صفاته . والرابع غايته سؤال الله بالخلق ، لا سؤال الخلق

﴿ الحديث الثالث ﴾

عن أنس بن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب
فقال « اللهم انا كئنا نتوسل اليك بنينا ، وانا نتوسل اليك بعم نينا فاسقنا : فيسقون »
رواه البخاري في صحيحه . ووجه الاستدلال به من وجهين :

(الاول) قوله : انا كئنا نتوسل بنينا

(والثاني) قوله : وانا نتوسل اليك بعم نينا . ففهم الشيخ وحزه ان عمر توسل

بالذات ، أي اقسم على الله بذوات الخلقين

والجواب على الاول وهو التوسل بالني صلوات الله عليه أن يقال انه توسل بدعائه :

في حال حياته والدليل عليه أمور

(الاول) ما ثبت في الاحاديث حين كان حياً أنهم كانوا يأتون اليه في الجذب فيذكرون له ذلك ويسألونه ، فيدعو الله لهم ويقول « اللهم اغثنا » في أحاديث كثيرة ، وما ورد قط أنهم توسلوا واستسقوا بذاته حياً . وهو موجود في صلاة الاستسقاء من كتب السنة

(الثاني) لو كان توسلاً بالذات لكان في الحياة والمات سواء وما كانوا يمدلون عن ذاته إلى غيرها

(الثالث) لو كان ذلك بالذات لورد ذلك عنه ﷺ بنبي من الانبياء ، او بالكنية مثلاً او بالعرش او بالسماء او بالجنة ، ولجاز ذلك لنا . وهذا معروف بطلانه بالاضطرار من الدين

(الرابع) أن يقال : ما معنى سؤال الله بالخلق ، وما فائدته ، وما وجه اقتضائه لأن يحجب الدعاء ؟ وهل معناه انه إذا قال : أسألك بفلان ، أي بخلقك له وإيجاده وتصويره التصوير البديع ؟ فإن كان ذلك ، فهو توسل بغير الخلق ، وأما أن يكون معناه أسألك به ، أي بسببه ، يعني انه هو الذي حماني على أن أسأله ، وشرع لي ذلك ، أو به أي بسببه ، والمراد أن تسأل له . وهذه المعاني كلها ليست صحيحة . ويقال : (ثانيا) المعروف في لغة العرب إذا قيل : توسلت بفلان ، او تشفعت به لا يفهم أحد إلا انك أخذته لك شفيعاً وطالباً . هذا المعروف في لغة العرب ، فيجب تنزيل الاخبار الشرعية عليها ، إذ قد جاءت الشريعة بلغة العرب ، لا بلغة الشيخ واخوانه من العامة والعجم

وأي انسان يفهم من قول القائل : توسلت بالوزير مثلاً إلى الملك أو اتخذته لي وسيلة ، إلا انك اتخذته لك شافعاً وطالباً ما تريد من الملك مثلاً ؟ وكما إذا قال القائل : توسلت بالسيف إلى ادانة خصمي ، وقهر الظالم فلا يفهم أحد إلا انك توسلت بعمله ، ولا يفهم أبداً انك طلبت بذاته . ويقال :

(ثالثاً) نهاية هذا الحديث انهم توسلوا بالنبي حياً ، وهو دائرين أن يكونوا توسلوا بذاته او بدعائه ، فاذا كان محتملاً ، فلا تثبت للشيخ منه الحجة حتى يقيم الدليل على انه توسل بذاته .

بقي على الشيخ أن يقول : ان ظاهر اللفظ السؤال بالذات ، فلا يعدل عن الظاهر إلا بدليل ظاهر

فبقول : لانسلم انه الظاهر ، وبأي دليل علمنا ان قول القائل : توسلت بفلان أي بذاته ؟ هذا يحتاج إلى اثبات من اللغة ، وأنى يصح ذلك مع ما قدمنا ؟ ومع أنه إذا قيل : أعجبني زيد ورأيت زيداً وضربت زيداً ، وزيد حسن لا يفهم أحد ما ان المراد انه أعجبه ورآه وضربه من كل وجه ؟ هذا معروف .

ويقال أيضاً : سلمنا انه كان سؤالاً بالذات لسكن أكن في حياة الذات إذ كانت متلبسة بالروح ، أم بعد تجردها منها ؟ إن كان الاول فلا يدل على التوسل بالاموات ، إذ يصح أن يقال : يصح التوسل بالذات حية ولا يصح بها ميتة ، لان اجتماعها بالروح صالحها بخلاف مفارقة الروح لها ، فانه يجعلها غير صالحة لان يسأل بها . اولاً انها في الحياة لا يخشى ضرر من السؤال بها ، وبعدها يخشى ، أو لان الدين فوق ، وهما مستويان ، وكما فرق الدين بين الاشياء المتماثلة خشية افتتان العباد واما ان كان الثاني وهو انه سؤال بالذات بعد مماتها فلا نسلمه ولا يدل عليه الخبر ولا يفيد النظر . وأما قياس مماتها على حياتها فقياس غير حي ولا مرضي .

وأما اللفظ الثاني وهو « انا نتوسل اليك بعم نبينا » فيمكن نقل اجوبة اللفظ الآخر اليه ، وانه كان توسل بدعائه ، ويدل عليه ان عمر كان إذا استسقى بالعباس وقال « وانا نتوسل اليك بعم نبينا » قال قم يا عباس فادع ، كما ذكر ذلك العلامة ابن حجر في فتح الباري بشرح البخاري

ويقال في اللفظين : يحتمل ان الباء فيهما للمصاحبة ، كما يقال : اشتريت الارض

بما فيها وعلمت الشعر بشواذه ، وبعت الدار بطريقها . والمعنى علمت ، وبعت هذا مع هذا . فعليه يكون معنى قوله « كنا نتوسل بنبيك ، وانا نتوسل بعم نبيك » أي معهما أي نتوسل ويتوسلون ، وهو التقرب اليه والسؤال بالرغبة ، وكون الباء للمصاحبة لا ينكر ، فانه مذكور في كتب النحو

ويقال بعد هذا كله : أقصى ما في هذا الحديث سؤال الله بالخلق لازيادة عليه فأن دعاء الاموات الذي يجوزه المعترض ؟

قال المعترض : بعد أن ذكر الحديث ، أما توسل عمر بالعباس دون الرسول فليكون ذلك سنة الاستسقاء ، وليكون العباس من ذوي الحاجة ، او لكون عمر أراد أن يبين للناس انه يجوز التوسل بغيره عليه الصلاة والسلام لفضله او قرابته ، أو خوفه على ضعفاء المسلمين وعوامهم إذا تأخر المطر بعد اتوسل ، او ليدلهم على ان التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل ، وإلا فعلي أفضل من العباس ، وكذا عمر اه وهذه وجوه يجب صغفها ولطمها ، وهي ليست من مبدعاته ، بل قلد فيها غيره وحكي ما هذى به سواه ، وإمامه فيها وفي أكثر ما قال - الشيخ حسن خربك فانه ينقل عباراته حرفياً ، وبقية ماجاء به - مما ليس في كلام خربك - مسروق من أمثال الشطي الدمشقي والشيخ السبكي ، مع خلط في النقل وقلة فهم للقصد ، فهو كثيراً ما ينقل العبارات بلفظها ، فان جاءت مغايرة فهي غلط قطعاً فهو لا ينفرد إلا بالخطأ !! فيقال ردّاً على هذه الوجوه :

(أما الوجه الاول) وهو قولك : لانه سنة الاستسقاء ، وانها لا تكون إلا بالاحياء فهل أخذته من فعل عمر والصحابه أم من دليل آخر ؟ فان كان انشأ فابرزه - وما أبعد - وكيف يشرع لنا الشارع أن نتوسل بالمفضول ندع الفاضل ؟ ويختار لنا الرجوع دون الرجوع ، في حالة الكرب والشدة ، وهي حالة الاستسقاء ؟

وان كان الاول فيقال : الاشكال باق ، وكيف اختار الصحابة التوسل بالمفضول؟ وما دفعت اشكالا ولا اُسِمعت جوابا ، فانا نقول : ما قصر عمر التوسل في صلاة الاستسقاء على الاحياء إلا لعلهم انه لا يجوز بالاموات . ويقال ثانيا : أين ما في الشريعة أن يكون في الاستسقاء شيء سنة فيه وليس سنة في غيره ولا جازاً ؟ ويقال ثالثا : لأي سبب اختير في صلاة الاستسقاء التوسل بالمرجوح ؟

(وأما الوجه الثاني) وهو ان العباس من ذوي الحاجة إلى المطر فوجه أسود مظلم ، وما دخل ذلك في العدول عن الرسول ﷺ كأن الشيخ يرى ان الجاه والمقام لا يكون إلا للمحتاجين الجائعين ، او ان الوسيلة لا تؤثر إلا إذا كانت فقيرة ، وان الرسول لا ينصح لامته ، ويجتهد في دعوته لها لانه غير محتاج ولا جائع كجوعهم (وأما الوجه الثالث) وهو ان عمر أراد أن يبين للناس جواز التوسل بغير الرسول . فيقال له : يا شيخ يا علامة ، هل كانت الصحابة او غيرهم سواء - العالم والجاهل والعاقل من غيرهم والمجنون يشك في جواز طلب الدعوة من الحي او التوسل بالذات المفضولة إذا جاز في الفاضلة ، انه حكم بلاتصور ؟ إن كان اصحاب رسول الله يحتاجون أن يدلل لهم عمر على جواز ذلك فانك حكمت بانهم أجهل الخلق . وكيف يستقيم لك هذا مع قولك ان جواز التوسل مر كوز في الفطر كلها حتى فطر الكفار ؟ وقولك ان الكتاب والسنة فائضتان بتلك المسئلة ؟ هل ترى أن الاصحاب لم يعلموا الكثير المتواتر وانك علمت أكثر منهم ؟

ويقال أيضاً : لو كان الغرض ما ذكرنا لكلم به عمر تسكلموا جاء به أيين وأخضر وأيضاً لو صح ما قيل لفعله مرة واحدة فكانت كافية ، وأيضاً لو استقام ذلك لقاله مع الفعل ليظهر تمام الظهور ، وأيضاً لفعلوه بغير العباس حيناً (وأما الوجه الرابع) وهو ان عمر خاف على ضعيف الاسلام الافتتان ان لم يجابوا بسرعة بإزال المطر فيقال :

(أولاً) هذا جرح باشراف القرون وأفضلها الذين قال فيهم الرسول ﷺ في الحديث الصحيح « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم - إلى آخره »
 (وثانياً) لو ساء ما قيل لنا أولى وأحرى ألا نتوسل بالرسول ونستشفع به خيفة ما خاف منه عمر، وما يخاف على من كان في زمن عمر من خيار الأمة ومتقيها وعلمائها، فأولى ثم أولى أن يخاف على الناس اليوم وفيهم الفسوق الكثير والجهل الكثير، والجرأة الكثيرة على قول الباطل، واتباع الهوى وعمى القلوب والبصائر ما لم يكن شيء منه عند أولئك السادة الذين يزعم الشيخ أن عمر خاف عليهم (وثالثاً) لو أن ما ذكرتم يصح لجاز لنا - أو وجب - أن نترك دعوة الله وسؤاله إذا خفنا ألا يحجب

(ورابعاً) كيف يظن عمر أنه إذا توسل بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يجابون مع أنه رأهم يتوسلون بالعباس فيجابون، وقد وقع متكرراً
 (خامساً) لو جاز هذا لجاء انهم كانوا يتركون التوسل به حياءً حذار ما قلتم (وأما الوجه الخامس) وهو أنه أراد أن يدل على صحة التوسل بالمفضل مع وجود الفاضل، فهو بعيد جداً، كيف يشكون في ذلك ويجهلون أنه وهو لا يخفى على انسان؟ وإيضاً: كان يقوله قولاً، ويقولوه ويفعلوه ولو مرة واحدة ولو ذهبنا إلى مثل هذه التجاوزات والتوهّمات لا نتقص الدين كله

❁ الحديث الرابع ❁

عن سهل بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادعوا الله أن يعافيني، فقال « إن شئت أخرت وهو خير لك، وإن شئت دعوت » فقال ادع، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء « اللهم أنى أسألك وأتوجه اليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد أنى قد توجهت بك إلى

ربي في حاجتي هذه لتقضى. اللهم فشفعه في « رواه ابن ماجه والترمذي والنسائي وغيرهم ، وصححه الترمذي وابو اسحاق وابن تيمية وآخرون .

وهذا - الحديث أحد سهم - لعمر الله - معه بل هو كل مامعه ، ولهذا جعله فاصلا بينه وبين خصومه إذا تركوا التعسف ولزموا الانصاف .

والاستدلال به لمدهام من ثلاثة أوجه :

(الاول) قوله : أسألك واتوجه اليك بمحمد ، قالوا هذا سؤال بالذات

(الثاني) قوله : يا محمد ، قالوا هذا دعاء له غائبا

(الثالث) قوله : أتوجه بك إلى ربي ، قالوا هذا كالاول توجه بالذات

(ونقول في الجواب : عن الاول والثالث) أن يقال : جائز ان الباء سببية

والمعنى أسألك واتوجه اليك بسبب محمد ، كما تقول جئت بامرك ولا مارك وبسبب امرك ، والباء تكون سببية اتفاقا - حقيقة فيها لا مجازا - كقوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (ذلك جزيناهم بما كفروا) والمراد على هذا : اني أسأل الله سؤالا كان رسول الله هو السبب فيه والدال عليه ، كما تقول : دخلت الجنة بمحمد رسول الله ﷺ واهتديت به ، أي بسببه ، وليس هو اقساما به ولا سؤالا به ، فلا يكون في الحديث دلالة على ما يقول الشيخ

(ويقال ثانيا) يصح جعل الباء للمصاحبة ، كما هو شأنها كما ذكره النحويون

كقوله تعالى (اهبط بسلام) أي مصاحبا بسلام . وقوله (ادخلوها بسلام آمنين) أي مصاحبين بسلاما . وقول الناس : اشتريت الدار بما فيها ، والسيف بقرابه وعلمت العلم بشواذه ونواذه ، وقلت الشر بمشتهاه ومكروهه . وأمثاله كثير وان قال هذا خلاف الظاهر المتبادر (قلنا) إذا كان صالحا في اللسان واضحا فيه وضوحا لا غبار عليه ، فوضوح هذا وخفاء ذلك لديك ناتج من اعتقادك ذا ورفضك غيره . والاعتقاد تأثير في النفوس قوي ، بل غالب إبطال الحقائق وردها ناشيء

من ألفة ضدها . ولهذا يقول الله تعالى : « كاية عن خصوم النبي ﷺ » (وقالوا مهيا
 قاتنا به من آية الله حرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فان ماغلب على نفوسهم من
 الاعتقاد الخبيث في الرسول ﷺ جعل على قلوبهم وبصائرهم غشاوة ، وعلى أسماعهم
 ختما ، فهم غير راجعين عن ضلالهم ، ولا مقلعين عن كفرهم ، حتى يرتفع هذا الختم
 وتزول هذه الغشاوة ، ابروا بعد ذلك الحق على وجهه الصحيح فيظهر لهم نوره
 والمعنى حينئذ أسألك مع محمد وأتوجه اليك مع محمد أي كلا ناسائل ومتوجه
 كما تقول : صليت مع محمد وصمت معه

(ويقال ثالثا) هو سؤال بالدعاء . والدليل عليه قوله في آخر الحديث « اللهم
 شفعه في » وفي أوله : ادع الله لي ، قال « ان شئت دعوت » وقد شاء ، لقوله : ادعه
 والشفاعة لا تكون إلا بالقول .

فان قيل : لو دعا لنقل الينا . فيقال : لعله دعا مرأ ، إذ هو أفضل قال الله
 عن زكريا (إذ نادى ربه نداء خفيا) وقال عن المؤمنين (ادعوا ربكم تضرعا
 وخفية انه لا يحب المعتدين)

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح — لما سمع أصحابه يجهرون
 بالدعاء — « اربعوا على أنفسكم ، فانكم لاندعون أصم ولا غائبا ، وانما تدعون
 سميعاً بصيراً أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »

ولعله ﷺ قد دعا وجهر ولكن أصحابه لم يسمعه ولا اشتغالهم ، أو لخروجهم ،
 أو لخروج الرسول ، أو لحصول جلبة ، أو سمعوه ونسيوه ، أو تركوا نقله اكتفاء
 بفهم السامع

(ويقال رابعاً) : المفهوم من قول العرب : سألت بكذا ، وأعطيت بفلان ،
 وتوسلت بالأمير أو الوزير — مثلاً — السؤال والتشفع بكلامه لا ببداته . والنصوص
 يذهب بها حيث تذهب اللغة . وأى عربي يفهم من قول القائل : نلت حاجتي من

الملك بوزيره الا ان المعنى : بكلامه مع الملك وشفاعته

(ويقال خامساً) : نحن وان سلمنا جواز التوسل بالذات حين تكون حية فلا

نسلمه بها ميتة ، ولا نلزم بينهما ، فقد يكون التوسل بالذات لما كانت متلبسة

بتكاليفها من صلاة وصيام وإيمان واسلام - فان لها حينئذ حكم يخالف حكمها إذا

تجردت من ذلك وغادرتها روحها

وأما اللفظ الثالث وهو قوله « يا محمد » وانه دعاء غائبا

فيقال أولا : ما الدليل المفيد انه دعاء غائبا ؟ لا مانع ان يكون دعاء حاضرا ،

والعله كان قريبا منه حيث يسمعه .

وأما قوله « اذهب فتوضأ وصل ركعتين إلى آخره » فليس فيه دليل انه

لدعوه غائبا ، إذ جائز ان قوله « اذهب » أي اذهب للتوضوء فقط

فان قلت انه لم يقل له : تعال ، والاطلاق يدل انه أطلق له أن يدعوه

قريبا او بعيدا . فنقول لعله علم منه انه سيأتي بعد وضوئه او بعد وضوئه وصلاته ،

لعله انه لا يدعوه غائبا ، او كان الرسول عليه الصلاة والسلام يريد أن يقترب منه

بحيث يسمعه ، او كانت الميضاة والمصلي الذي سيصلي فيه ويدعو قريبا منه ، ولعله

كان في المسجد وهم فيه

وأما قول سهل بن حنيف : فما تفرقنا حتى دخل علينا وليس به بأس ، فلا

يفيد ان الرسول ما كان خرج عنهم وقرب منه . ويحتمل أن قوله دخل علينا أنه

كان خارجا عن مكانهم وان كانوا وكان الرسول يسمعون كلامه ، كما انني أسمع

كلام جاري ومن عند بابي وان لم يكن داخلا ، ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام

عطي إذ ذاك من قوة السمع ما يسمع به ما نأى

ويقال أيضا : وقع ذلك في وقت الحياة ولا يصح قياس المات على الحياة إذ بينهما

تمايز وبون شاسع (ولا يستوي الاحياء والاموات إن الله يسمع من يشاء ، وما أنت

بسمع من في القبور) إذ الرسول ﷺ هو في الحياة قادر أن يدعو ويسمع ويسمع ، وأما ميتاً فلا

وأيضاً ، وإن لم يكن بينهما فرق - كما يزعم صاحبنا - لكن دعوة الميت يخشى ضررها وفسادها للعقيدة كما نشاهد ونسمع بخلاف الحي ، وأيضاً - وإن لم يثبت الضرر ولا خوفه - إلا أنه جائز أن يقال فرق الشارع بين الأئمة المتفقين فجعل هذا حلالاً وهذا حراماً ، وكما فرق بين المتفقات ؟

وأما الرواية : التي في آخرها « فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك فافعل » فهي عند ابن أبي خيثمة ، وإيسر في الترمذي ولا في السنن . وقد غلط صاحبنا - وما أكثر غلطه - فمزأها إلى الترمذي . ونحن ندع الاستغراب والانكار عليه في غلطه وخطأه إذ هي سنته وعادته

وأسرع مفعول فعلت تغييراً تكلف شيء في طباعك ضده ولا ينكر على الأعمى إذا عثر ، وقد قال الأزهري - الذي هو جديده المحمك وعذيقه المرجب - ما جاء على أصله لا يسأل عنه

والجواب عن هذه الرواية التي عند ابن أبي خيثمة من وجوه :

(الاول) المطالبة بصحتها ، وما كل ما روي ونسب إلى الرسول حجة ، حتى يحكم المحدثون أو بعضهم بصحته ، أو يخرج في الكتب الملزمة الصحة ، فكيف وهو في إبعاد كتاب وهو مسند ابن أبي خيثمة ، الذي قل ما يجري على اللسان ويخطر في الجنان للشيخ وأخوانه فضلاً عن أن يراه ويعرف ما فيه . ولو ادعى رؤيته فليذكر في أي مكتبة هو أو عند أي إنسان وفي أي بلد رآه ؟ وفي أي مكان من هذا المسند رأى فيه هذه الرواية ؟

(الثاني) الرواية معلولة بأعراض أهل السنن عن تخريجها ، مع إخراج أصل

الحديث ومعلولة بان فيها راويا تسكلموا فيه وضعف، وبان بعض المحدثين قال: الظاهر
انها مدرجة من بعض الرواة، ولانها ضد ما قال عليه السلام أولاً، إذ أنه في الاول اختار
له ترك الدعوة، وانه خير له، فكيف بعد ذلك بلحظة يقول له: في كل حاجة صغرت
أو كبرت ادعني أدع الله لك؟ أتراه نسخ الاول أو نسيه؟ ولانها فقيرة الى التأويل،
إذ ظاهر قوله «فمثل ذلك فافعل» أن يقول: يارب أتوسل اليك وأسألك بمحمد
نبي الرحمة ليشفي بصري ويزول ضري، وإن كانت الحاجة التي يطلبها غير
البصر، كأن يطلبه داراً أو ديناراً أو موتاً أو حياة، وهذا خلف من القول، ولانه
ما كان المعهود من الرسول ولا من الرسل أن يقولوا للناس: اسألونا نسأل الله لكم
كشف عاهاتكم بل كان عليه السلام يغضب من كثرة السؤال، ويرغب في الصبر
من جاء من أهل الاعتلال يسأله كشف دائه وينصح له أن يحتسب مرضه .
في صحيح البخاري: ان امرأة كانت تصرع فتتكشف، فأنته تسأله
يدعو الله لشفاؤها، فنصح لها بالبقاء على حالها، فقالت إذاً ادع الله ألا أتكشف
فدعاها . ولو كان يختار الدعوة لارباب الاسقام لم يبق مريض أو بقي ولكن
قليل لانهم إما أن يطلبوا ابراء سقمهم أو لا يطلبوه . الثاني لا يعقل، إذ كل
ذي عاهة ساع كل السعي لبرائها، والاول - وهو ما اذا طلبوه - فلما أن يجاب
في كل دعوته أو في أكثرها أو أقلها، أو لا يجاب في شيء . وعلى الاول لا يبقى
زمن يذكر، وعلى الثاني والثالث مع ذلك يؤديان الى ضرر كبير . وأما الرابع فانه
تغيير للناس عن رسولهم وتصغير لشأنه وإذهاب أعظمته وهيبته من النفوس، وهو قبيح
ونقول بعد هذا: ألا يكفي ضعفاً للرواية انها لم ترد في كتاب مشهور لا من
الصحيح ولا المسانيد ولا السنن ولا المستدركات ??

(الوجه الثالث) وان صحت الرواية فلا تشمل بعد الموت حتى نعلم انه عليه السلام
ما علم ان الرجل يموت قبله، او لا تكون له حاجة في حياته، إذ يمكن علمه ان الرجل

ماتت في حياته عليه السلام او لآتحدث له حاجة ، فلا يكون شاملا ما بعد الموت معنا
(الوجه الرابع) يمكن ارادة الماتلة في بعض الوجوه كما يـقـل كـفـ* الامير كـالـبحـر
ومثل الغمام ، وشبه الحمام - وكما نقول صاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوي
الراد على جهلة الوهابية - خابط عشواء ومثل حاطب الليل ، او اذا أردنا أن نعطيـه
منزلته في الحديث قلنا مثل ابن سعيد المصلوب ، وفي الفلسفة مثل الرئيس ابن سينا ،
(ولا تـرـاد المشابهة من كل وجه) وكما قال رجال الازهر في بلاغتهم : زيد كالاسد
(الوجه الخامس) وان بطل الآنف كاه ، لكن يجب تخصيصها بحال الحياة لامور :
(الاول) عدم فعل الصحابة والتابعين والأئمة مع توفر الداعي ، وكل ماورد
في ذلك فهو صحيح غير صريح او صريح غير صحيح

(الثاني) الاخبار المفيدة موته ﷺ والاموات لا يدعون ولا يدعون ولا
يسمعون ولا يجيبون كما سلف

(الثالث) مهما دعونه وسألناه لا يجيب دعوتنا ولا سؤلنا ، ولو كان يدعو
لاجاب كما في الحياة

(الرابع) روحه في الملاء الاعلى وهو حين أن كان موجوداً بين اظهرنا
لا يدعى غائباً نائباً ، فأنى يدعى بعد الموت ؟

(الخامس) في سؤاله ميتا فساد كبير مشاهد ومنقول

(السادس) لم ينقل عن الرسول ولا أحد من المسلمين العلماء كالصحابة
والتابعين والأئمة انهم توسلوا بنبى من الانبياء الاولين ولا بصالح بعد موته

وأما الرواية الثالثة : وهي ماروى البيهقي والحاكم في المستدرک عن ابي امامة
سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له ، وكان عثمان
لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته ، فلقي الرجل سهل بن حنيف فشكى اليه ذلك

فقال له سهل بن حنيف: انت الميضاة فتوضأ ، ثم انت المسجد وصل ركعتين ثم قل: اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد اني أتوجه بك إلى ربي ليقضي لي حاجتي، ثم اذكر حاجتك ، ثم رَوِّح حتى أروح معك . قال فانطلق الرجل فصنع ذلك، ثم أتى بعد عثمان بن عفان، فجاء البواب فأخذ بيده ، فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة وقال: انظر ما كانت لك حاجة ، فذكر حاجته فقضاها له . ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى سهل بن حنيف، فقال له جزاك الله خيراً، ما كان ينظر حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في ، فقال عثمان: ما كلمته ولكن سمعت رسول الله يقول - وجاءه رجل ضرير فشكا اليه ذهاب بصره - «أو تصبر؟» فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي . فقال « انت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري، اللهم فشفعه في وشفعني في نفسي » قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان يكن به ضر قط

قال كاتبنا ومحدثنا المعترض: رواها الترمذي بسند صحيح . وهل أقول انه خطأ وغلط ، وقد أكثر من هذه المقالة، فاخشى أن لا يصدقني أحد، ويتهموني بالتزوير عليه ، ولكن جاء الحديث الصحيح « قل الحق ولو كان مرأاً » فأقول انه غلط وجهل

سجية تلك فيهم غير محدثة ان الخلائق - فاعلم - شرها البدع

والجواب على هذه الرواية من وجوه :

(الاول) المطالبة بالصحة

(الثاني) فيها العلل السابقة في الرواية قبلها، وقد عرفت ان كنت رأيتهما وحذفتها

(الثالث) هذا فهم صحابي والحجة في روايته لا في فهمه . فان قلت: كيف

يستقيم لكم ذلك وأنتم ترون دعوة الاموات شركاً ، وهل ترون سهلاً أشرك ؟
فيقال (اولاً) انا في مقام إبطال اتوسل ونفي أدلة الكتاب ، أعم من كون

المبطل شركاً وكفراً أو بدعة محدثة هي على كل حال من شر الامور

(ويقال ثانياً) يمكن انه رأي رآه ورجع عنه حالا ، ولا منع أن يرى المسلم الرأي المؤدى إلى الكفر ثم يعود عنه . ففي الترمذي ومسنند احمد ان معاذ بن جبل سجد للرسول عليه السلام ونهاه عنه

ومعلوم عند المسلمين كافة أن السجود المخلوق شرك وكفر . وروى الترمذي وصححه ان الرسول وأصحابه مروا على قوم من المشركين لهم شجرة سدر دعوها ذات أنواط يتبركون بها ويعلقون بها أسلحتهم فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فغضب عليهم وقال « الله أكبر - انها السنن - قلتم والذي نفس محمد بيده كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » ولا شك ان طلب جعل اله غير الله شرك ، إذ لا يكون الا بعد اعتقاد جوازه وحسنه وفي الصحيح ان حاطب بن أبي بلتعة تجسس على الرسول للمشركين في غزوة الفتح وأرسل لهم خطاباً يخبرهم بحاله وينصح لهم ، ومثل هذا كفر صراح . وقد قال عمر رضي الله عنه عند هذا : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك ان الله اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقد جاء ان عمر بن الخطاب ماشك في اسلامه قط إلا في صلح الحديبية ، وقال : لقد عملت لذلك اعمالاً ، وقال - لما قبض النبي (ص) - من قال ان محمداً مات ضربت عنقه بالسيف . ومن قل اليوم هذه المقالة يضرب عنقه بسيف عمر وورد عن بعض الصحابة انهم كانوا يرون ان الحجر حلال ويحتجون بقوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) أوليس يكفر من قال هذا اليوم ؟

ويقال رابعاً : يمكن ان سهلا يرى ان ذلك خاص بالرسول، وانه كان يراه حياً دون غيره، كما هو قول طائفة من العلماء، فلا يكون عاماً، ولو لم يكن على هذا الحديث من الاجوبة ما سبق لوجب تأويله، وإن لم نعرف تعيين تأويله أو رده للدلالة العقلية والنقلية — ان الميت لا ينفع ولا يضر ولا يدعى ولا يلجأ اليه، ولا غرو أن يتعصب كاتبنا لهذا الحديث، إذ هو فيه ظنين متهم يرجو به أن يزال عماه، وان الظنين ترد شهادته لكن مالي لأراه رغب عن عماه؟ أو قد رغب عنه ولكن عماه أبي أن يرغب عنه. والله أعلم بذلك.

﴿ الحديث الخامس ﴾

عن بكر بن عبدالله المزني التابعي أن رسول الله ﷺ قال «تحدثون ويحدث لكم تعرض علي أعمالكم، فإن وجدت خيراً حمدت الله، وإن وجدت شراً استغفرت لكم» رواه القاضي اسماعيل بن اسحق في فضل الصلاة على الرسول ﷺ، وقال كاتبنا الحديث صحيح.

والجواب ان الحديث مرسل ليس صحيحاً ولا ثابتاً، إذ المرسل عند جمهور أهل التحقيق ليس حجة وما اخل محدثنا يعرف شيئاً من ذلك. وقد ضعف بعض المتأخرين هذا الخبر بطريق آخر، فقال انه معارض لما هو أصح منه وأثبت باتفاق أهل العلم والحديث وهو ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما ان الرسول عليه السلام قال «ليذادن أقوام عن حوضي يوم القيامة، فأقول يارب أصحابي أصحابي، فيقال انك ماتتري ما أحدثوا بعدك، انهم مازالوا مرتدين على أعقابهم. فأقول بعداً لهم وسحقاً، وأقول كما قل العبد الصالح (وكنيت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)» فقال: هذا الحديث يفيد انه لا يعلم أعمال امته وذلك يفيد علمه، ويمكن أن يقوى هذا الاخير. فوق اتفاق الشيوخين على صحته بقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أنجبتهم؟ قالوا لا علم لنا انك

أنت علام الغيوب) وعندي ان هذا التضعيف ضعيف باربعة امور :

(الاول) انه لا تعارض البتة، إذ حديث عرض الاعمال فيه انه يعلم نفس الاعمال وانها خير او شر وانها مذكوبة إلى أمته، ولا يلزم أن يعرف أصحاب العمل الصالح بالنعين والفساد كذلك . وحديث «لاندري ما أحدثوا بعدك» فيه انه يحكمهم آمن الصالحين او اطالحين ؟ ولا ينافي انه لا يعلم ان أمته جاءت بعمل صالح او طالح (الثاني) وقت الحادثتين مختلف، او يمكن أن يكون مختلفا، وحينئذ لا يتحقق التعارض، إذ يجوز انها تعرض عليه الاعمال في البرزخ قبل النشور . وبوم القيامة يوم الفزع الا كبر يذهل عنها (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) . وقال بعض المفسرين في آية المائدة (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ؟ قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب) انهم ينسون ما كانوا يعملون من تفاقم الهول

(الثالث) أن يقال : حديث «لاندري» خاص ما أحدثوا بعدك وحديث عرض الاعمال عام والخاص مع العام ليس تعارضا، وطريق الجمع بينهما معلوم (الرابع) يمكن أن يقال : خبر العرض على الاجمال وخبر «لاندري» على سبيل التفصيل، فهو يعلم اجمالا ولا يعلم تفصيلا، ونحن نعلم حال اهل الاسلام بالجملة ولا فعلمها بالتفصيل .

وأخذهم التوسل من هذا الحديث من عرض الاعمال عليه واستغفاره وحده الله، لانهم قالوا هذه من صفات الاحياء والاحياء يدعون

﴿ الجواب الثاني ﴾ قولكم لا تعرض الاعمال إلا على الحي ولا يستغفر ويحمد إلا الاحياء قول باطل . قال الله تعالى (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) وقال (وان من شيء الا

يسبح بحمده) وقال (النجم والشجر يسجدان) وقال (وله أسلم من في السموات
والارض) وهو كثير

فن قال : ألنزم ان الاشياء المذكورة حية . قيل - مع حالته - وهل تلزم أن
يستغاث بها ويتوسل اولا ؟ فان التزمت كبرت ، وان لم تلزم ناقضت وقيل :
ليكن حكم الموتى كذلك ، قل انهم احياء وأجرهم مجرى الاشياء المذكورة

ويقال ثانيا : من نباك انه لا تعرض الاعمال إلا على الاحياء ؟ ولا يحمد ويستغفر
غير الاحياء ؟ لا مانع أن يكون ذلك من الاموات . فالله على كل شيء قدير

ويقول ثالثا : سلمنا انها لا تعرض إلا على الاحياء ولا يستغفر ولا يحمد إلا هم
لكن الاحياء في كل وقت ، ام في وقت دون وقت ؟ الاول باطل . والثاني لا يغني
تقيراً ، فيحتمل انهم يحيون في وقت يتستى منهم ماسلف

ويقال رابعاً : قولكم لا تعرض الاعمال الا على الاحياء مقصدم حياة تصح معها
دعوة صاحبها او حياة أعم منها ؟ الاول مردود والثاني لا يكفي

ويقال خامساً : ليس كل حي يدعى ويسأل . فالارض حية بنص الكتاب .
ولا تجوز دعوتها . والكفار الاموات احياء في قبورهم بنص الكتاب والحديث
الصحيح ولا تجوز دعوتهم ، ولا تجوز دعوة الاحياء الغائبين ولا دعوة الملائكة . قال
صاحبنا : تصح دعوة الملائكة والاستعانة بهم وهو في أقصى مراتب البطلان لاموردة
(الاول) انه لم يفعله الرسول ولا أصحابه ولا احد من العلماء المقتدى بهم

ولا رسول من الرسل ، ومحال كل الاحالة أن يكون جائزاً حسناً ويتركه هؤلاء .
أما دليل انهم لم يفعلوه فلا أنه لم ينقل في الكتاب العزيز ، ولا في الحديث
الشريف مع ما فيهما من الادعية التي كان يدعو بها الانبياء والاولياء ولا أمراً بذلك
لا يصح أن يقال : لعلمهم فعلوه ولم ينقل ، اذ هذا تشكيك في الضروريات
وجلب ريب في الشرائع الدينية . إذ لقائل أن يقول - جرياً على هذه القاعدة -

لعل الصلوات الخمس زيد فيها أو هي أزيد من خمس، والصوم أكثر من شهر أو هو في غير رمضان، والحج اعله إلى المسجد الأقصى، أو اهل هذه الامور نسخت كلها، فاذا قيل له هذا مستحيل. قل: أعقلا؟ فلا بد أن نقول لا. وإذا قيل مستحيل عادة؟ قال وما وجه حالته؟ سنقول له: لانه لم ينقل الينا مع توفر الدواعي على نقله. فسيقول لنا عدم النقل لا يستلزم عدم الوجود فلا بد من الحصر والبكم، وان قيل له أجمع المسلمون على خلافه. قال (اولا) كون الاجماع حجة ظني وبعضهم لا يجعله حجة ويقول ثانيا: احتمال وجود الخلاف وان لم ينقل واقع، فاعلمهم اختلفوا، ولم نعلم إذ غاية معرفة الاجماع أن نرى أقوال العلماء الكثرين ولا نرى مخالفا، أو نرى من يحكي الاجماع وهو لا يفيد عدم الوجود

ويقول ثالثا: معرفتنا اجماع المسلمين في ترك دعوة الملائكة والتوسل بهم

بين من كل اجماع

ويقول رابعا: لعل الادلة على حجية الاجماع نسخت

والنهاية ان مثل هذا القول مفسد للاخبار والاديان

(الامر الثاني) الدال على بطلان دعوة الملائكة انك لا تعلم هل يسمعون دعوتك،

وإذا سمعوا هل يجيبون طلبتك؟ هذا لا تعلمه (ولا تقف ما ليس لك به علم) وهو

طاعة للشيطان الذي (يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

(الثالث) قال الله (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) والنهي الواقع على

النكرة عام. فعلى المحذور دعوة الملائكة اثبات تخصيص دعوتهم من هذا العموم

(الرابع) من قواعد صاحبنا الجبرية: ان الفعل كله لله، وليس لاحد فعل ما

ولا ينفع ولا يضر إلا الله والله يقول (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

فان فعلت فانك إذا من الظالمين) (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا

يضرنا ونزد على أعقابنا بعد اذ هداانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض

حيران) ودعوة غير الفاعل غير معقولة، ولا تخالف العقل إلا بدليل سمعي
(الخامس) كما أخبر الله أن الملائكة لا تنفع ولا تضر سواء أدعونا أم لم ندعهم
فدعوتنا إذن عبث

(السادس) هم في السماء وبيننا وبينها مسافة خمسمائة عام، فأنى يسمعوننا ؟
لم يعهد مثله إلا في الخالق سبحانه

(السابع) مهما دعونا هم لا يجيبون ولا يفعلون ألا يكفي دليل على أنهم لا يستلون
(الثامن) لو ساغت دعوتهم لساغت دعوة الجن والخور العين في الجنان
وليس بعيداً أن يجوز صاحبنا فإذا وصل إلى هذا الحد خوطب مخاطبة أخرى

❦ الحديث السادس ❦

عن أنس بن مالك (رض) قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم - أم علي
ابن أبي طالب - وكانت قد ربت النبي عليه السلام دخل عليها رسول الله ﷺ
فجلس عند رأسها ثم قال « رحمك الله يا أمي بعد أمي » فذكر ثناءه عليها ، ثم
كفنها ببردته وأمر بحفر قبرها . قال : فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج
ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ ، فاضطجع فيه ، ثم قال « الله الذي
تحبي ويعيت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع لها مدخلها - بحق
نبيك والأنبياء الذين من قبلك ، فانك أرحم الراحمين » قال صاحبنا رواه الطبراني
في الكبير والوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح . وروى ابن أبي شبة مثله
عن جابر ، وروى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس . ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس
وعلى هذا اجوبة :

(الاول) المطالبة بالصحة إما بالطرق العلمية على نهج أهل الحديث أو بالنقل
عن محدث أنه صححه . وأما قوله أنه صحيح فليس مقبولا ولأن الشيخ يعلم نفسه - كما
يعلم الناس - ليس من أهل التصحيح أو التضعيف ولا من أرباب هذا الشأن ولا من
ذا كربه ، وهل يعرف ترجمة رجل واحد من مشاهير رواة الحديث فضلا عن

أغلبهم ، فضلا عن معرفة انقطاع السند واتصاله ونكارتة وشذوذه وغرابته وما
لعله يكون فيه من علة خفية . حتى يكون ذا رأي في التصحيح والتضعيف ؟
فالحديث لا يكون صحيحاً إلا إذا كان رجاله أثباتاً من أول السند الى آخره .
وبأن يحدث التاريخ بانهم تلاقوا ، أو على الأقل تعاصروا ، وأن يسلم من
الشذوذ والعلّة الجلية والخفية ، كالنكارة والغرابة وهذه أمور فيها غموض وخفاء على
حذاق المحدثين فكيف بمن لا يكادون يفقهون حديثاً ؟

(الثاني) الحديث غير صحيح فان فيه روح بن صالح المصري وهو ضعيف .
(الثالث) على فرض تسليم صحته فالذي في هذا الحديث السؤال بحق الانبياء .
وهو محتمل كما قدمنا أن يكون غير مخلوق ، وانه صفة من صفاته تعالى وهو
نصرته الانبياء وارضائهم واعلاؤهم على اعدائهم أو حقهم هو الكتب المنزلة .
والسؤال بهذه الامور موضع اتفاق

(الرابع) لا يؤخذ منه غير سؤال اخلاق المخلوق ، ويبقى دعوة المخلوق وسائر
أنواع التوسل لا دليل عليها من بصير ولا أعمى

(الخامس) يحتمل ان قوله : بحق وما بعده متعلق بحال محذوفة من قوله :
مدخلها ، والمراد بحق الانبياء منزلاتهم ومسكنهم . والمعنى وسع مدخلها حال كونه
بمسكن الرسل ، ويحتمل انه متعلق بوسع ، وهو متضمن معنى اجعل

ثم نقول - بعد هذا : ان الفقهاء صرحوا بحرمة سؤال الله بحق احد من
خلقه . قال الشيخ ابوالحسن القدوري : الشيخ لا يسأل الله بحق أحد من خلقه فان
الله هو صاحب الحق على عباده

﴿ الحديث السابع ﴾

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان رسول الله وقف على
قليب بدر فقال « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ » ثم قال « انهم الآن ليسمعون

ما أقول» رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وعن أبي طلحة : ان الرسول ﷺ يوم بدر أمر بأربعة وعشرين صنديداً من صناديد قريش ، فقفوا في طوى من اطواء بدر ، وقام على الطوى فجعل يناديهم باسمائهم وأسماء آبائهم « أيسركم انكم أطمعتم الله ورسوله ؟ فاننا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » قال فقال عمر بن الخطاب : ما تكلم من اجساد لا ارواح لها ؟ فقال رسول الله « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » رواه البخاري ومسلم أيضاً وغيرهما . قال المعترض : انه نادى الاموات وسمعوه وهم كفار . فأجدر بالمسلمين بأن يدعوا ويسمعوا . والجواب على هذا من وجوه :

(الاول) جواب عائشة رضي الله عنها لما حدثت بهذا الحديث أنكرته وقالت : وهل ابن عمر ، انما قال رسول الله « انهم ليعلمون الآن ان ما أقول لهم حق » ثم تلت قوله تعالى (انك لاتسمع الموتى) رواه عنها البخاري ومسلم وغيرهما

(الثاني) جواب قتادة قد رواه عنه البخاري انه قال : احياهم الله حتى اسمعهم قوله ، توبيخاً وتصغيراً ونقمة ، وحسرة وندما . وبه قال كثير من العلماء

(الثالث) أن يقال لعل هذا من خرق العادة أو هو من خرق العادة لرسوله ﷺ معجزة له حيث أسمع من لا يسمعون ، ونادى من لا ينادون ، ولا يصح أن يقال خرق العادة خلاف الاصل لاصرين :

(الاول) لانسلم ان خرقه في عصر النبوة لنبيه خلاف الاصل ، بل هو الاصل فشان الرسول كله خوارق ، ومن ذا يقول ان المؤلف المهود أن لا يحصل لنبيه خارقة؟

(الامر الثاني) قول عمر : كيف تكلم اجساداً لا ارواح بها فاقره الرسول ﷺ على قوله لا ارواح لها وعلى انكاره ، ولا يعقل الشيء ولا يسمع إلا اذا كان له روح إلا ان مخرق العادة إلا ان يقال فهم الشيء وسماعه وخطابه ليس متوقفاً على الروح . فاذا قيل هذه المقالة قيل إذا يجوز لديك ان الجمادات تسمع منا وتفقه

فقد جاء ان النبي ﷺ خاطب بعضها وكله فجاء قوله « ان ذراع هذه الشاة يخبرني انه مسموم » لما دعت امرأة يهودية في غزوة خيبر وقدمت له شاة مسمومة والحديث في البخاري وروى مسلم قوله « اني لاعرف حجراً في مكة كان يسلم عليّ قبل البعثة » وفي البخاري ومسلم انه عليه السلام كان يخطب على جذع نخلة فلما صنع له المنبر وصعد عليه وترك الجذع جعل الجذع يحن حنيناً شديداً كحنين الطغول فنزل اليه الرسول وضمه إلى صدره وهدأه حتى سكت ، وورد في البخاري ومسلم وغيرها انه عليه السلام وقف على جبل أحد هو وابو بكر وعمر وعثمان فاهتز بهم أحد ، فضربه برجله قال « اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان » وفي النساء — وأصله في مسلم — انه عليه السلام أتاه رجل فقال ادع هذه الشجرة فان جاءت اليك آمنت بك ، فناداها فجاءت حتى وقفت أمامه ثم قال « ارجعي مكانك » فرجعت فاذا قال القائل : الاشياء المذكورة تسمع منا ويصح نداؤها وصل إلى حالة لا يخاطب معها إلا خطاب المجانين . ونحن صائرون لا محالة إلى أحد الاجوبة السابقة في الحديث لامور :

(الاول) الآيات الدالة ان الاموات لا يسمعون كقوله (انك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من في القبور) وقوله (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشركم ولا ينبؤك مثل خبير) ووقتئذ إما أن نؤول الآيات وإما أن نؤول الحديث أو نتركها متناقضين ، وتأويل الحديث أولى لوجوه :

(الاول) الآيات أقوى وأثبت ، وهي قطعية اللفظ ، بخلاف الحديث . والخروج عن ظاهر ما ليس قطعياً أولى منه عن ظاهر ما هو قطعي (الثاني) الآيات أكثر عدداً من الاحاديث ، وتأويل القليل أرجح من تأويل الكثير

(الثالث) القرآن أفصح، وهو معجز، بخلاف الحديث، وأخذ ظاهر الأقوى أقوى

(الرابع) الحديث طغت فيه عائشة بخلاف الآيات

(الخامس) ان الحديث لا عموم له فيمكن قصره على الواقعة المعينة، وأما الآيات فعامة. فإذا ذهبنا ذلك المذهب سلمنا من ارتكاب المجاز وإزالة الالفاظ

عن ظواهرها. وقد أجمع أهل البلاغة أنه لا يصر إلى المجاز إلا إذا امتنعت الحقيقة (السادس) الآية موافقة للمشاهدة والاستقراء من ان الاموات لا يحييون مناديتهم ولا يعطون سائلهم

(السابع) اذا قصرنا الحديث على الحادثة الخاصة كان فيه كرامة لرسوله واذا عممنا زالت تلك الكرامة، وصار هو وغيره في الامر شرعاً واحداً، وما فيه إكرام لرسوله فالمصير اليه أكرم

(الامراثاني) للمجيب، إلى أحد التأويلات قوله في الحديث الصحيح المروي في البخاري ومسلم أنه عليه السلام قال « يبلى ابن آدم كله إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق »

(الثالث) قوله في الحديث الذي رواه مسلم « اذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به » والسمع عمل.

(الرابع) إعراض المسلمين عن مناداة الاموات من مسلمين وكفار، فهو يدل على التخصيص.

وهنا تركنا اعتراضاتنا كلها، لكن من أين أخذت جواز التوسل والاستغاثة بالمقبورين، أمن المناادة وسماعهم إياها؟ لا يصح ذلك. وهل كل سامع يستغاث ويتوسل به؟ لا يمكن أن يقال هذه المقالة. إذ المقصود من الاستغاثة الاجابة والاستفادة،

ومن أين لنا ان كل سامع يجب ويغاث؟

ويقال أيضاً: من أين فهمت ان كل ميت يسمع ويفهم ما يقال له؟ أمن منطوق

هذا الحديث أم من مفهومه أو من دليل آخر ، من قياس أو غيره ؟
 أما الحديث فلا يفيد العموم لا منطوقاً ولا مفهوماً ، إذ هو حكاية حال وهي
 لا عموم لها . ولا دليل آخر على العموم فإن كان فالحجة فيه
 وأما إن كان من القياس فلا تقبله إلا كياس ، إذ للقياس شروط كثيرة وموانع
 وأحكام عويصة ، فهل جمع تلك الأمور ؟ وإن مما يشترط في القياس معرفة العلة إما
 بالنص أو الاستنباط ، فهل عرفت العلة ؟ كيف ذلك والقياس ينكره جم من العلماء
 إذا لم يخالف نصاً ؟ فإن كان فشكل الناس من القياس قد بان
 ويقال أيضاً : لو أخذت الحديث على ظاهره لجوزت دعوة الاموات الكفار
 والاستنجد بهم .

فان قلت : ان الحديث قال انهم لا يجيبون ، قلنا وهل قال في المؤمنين انهم
 يجيبون ؟ فعلى كل تقدير لا يمكن أن يأخذ من هذا الحديث عدو الوهابية شيئاً ، لابل
 قد يأخذ منه الوهابية حجراً يلقيونه به على الشيخ لو كان من الذين يفقهون القول على وجهه

﴿ الحديث الثامن ﴾

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « مامن أحد يسلم علي إلا رد الله
 علي روحه حتى أرد عليه السلام » رواه أحمد وأبو داود ، وقال شيخ الاسلام
 ابن تيمية اسناده جيد . وقال الشيخ تقي الدين السبكي صحيح . وقال ابن
 عبد الهادي المقدسي ، قال بعض العلماء على شرط مسلم
 قال المعترض : هذا الحديث يفيد انه حي إذ الحي من فيه الروح والحي تصح دعوته
 فيقال الجواب عليه من وجوه :

(الاول) ان الحديث فيه مقال من جهة السند فان فيه حميد بن زياد مولى
 بني هاشم ، روى عنه مسلم بن الحجاج وأبو داود والنسائي والترمذي ، قال في
 خلاصة التذهيب للشيخ الخزرجي : قال أحمد وابن معين - في رواية - ليس به

بأس، وضعفه ابن معين في رواية أخرى، وضعفه النسائي، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: قال أحمد ليس به بأس، وقال ابن معين ضعيف. وفي رواية ليس به بأس، وقال ابن عدي هو عندي صالح الحديث، وإنما أنكر عليه حديثان. ثم إن ابن عدي ذكره في موضع آخر فضعه، وقال ابن عبد الهادي: في أسناده مقال، وفي حميد بن زياد مولى بني هاشم هذا اختلاف. ثم ذكر الاختلاف فيه وقال بعده: ومثل هذا لا يصل إلى درجة الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: أكثر أحاديث الزيارة موضوعة

وأما تصحيح السبكي له فقد عرف من تعصبه وتصحيحه الموضوعات ما يدل أن بضاعته في هذا الفن كانت مزجاة فلا اعتماد على قوله. وأما ما نقله ابن عبد الهادي عن بعض المحدثين أنه على شرط مسلم فقد جاء به ابن عبد الهادي على أنه غير مرتضى عنده، وأما قول ابن تيمية أن أسناده جيد، فلفظ جيد في اصطلاح المحدثين ليست تصحيحاً بل قد يطلقونه على الحسن وعلى الضعيف الذي لم يكن ضعفه شديداً، أو لعل ابن تيمية لما رأى إباداً وقد سكنت عليه ظنه صالحاً، وكم في أبي داود مما لا يصلح، أو لما رأى أحمد بن حنبل احتج به ظن أنه يصح الاحتجاج به، وكم احتج أحمد بما لا يصح به الاحتجاج أو وهم، كيف والجرح مقدم على التعديل؟ أنى ومعنى الحديث فيه اشتباه من جهة رد الروح إليه، إذ يقتضي أنه يموت بعد التسليمات، ويحيى كذلك، وهذا لا يقوله إلا متعبد من عقله متكلف تكلف النصارى في الأقسام الثلاثة. ثم يقتضي أن الروح ترد عند كل تسليم، وقد تكون التسليمات متصلة فلا يتأتى الرد إلا برده

(الثاني) على تسليم ثبوته فليس هو في محل النزاع إذ ليس فيه توسل ولا استغاثة ولا مناداة بل فيه التسليم عليه، وطلب السلامة يتأتى ولو لمسا لا يعقل، وفيه رد السلام على المسلم ولا ينكره خصومه ولا يلزم من رد السلام والتسليم دعوة المسلم

عليه ، ومن زعم ذلك طواب بالدليل

(اثنالث) يفيد الخبر انه عليه السلام ميت فارقه روحه ، وانها لا ترجع اليه إلا للسلام فقط ، فاذا قل المعارض : آخذ منه انه حي ترد له روحه والحي لا شك في دعوته . قيل له أتريد انه ترد له روحه عند السلام فقط ويقدر على الرد فقط ، أم تريد انه ترد اليه روحه مطلقاً ، وانها عند كل سؤال تكون موجودة أم تريد ان الروح لا تفارقه أبداً ؟

إن أردت الاول فلا يفد شيئاً ، وإن أردت الثاني فطوب منك الدليل مع ان تقييد الرد بالسلام يبطله . وإن أردت اثنالث كان الخبر يكذبه لان قوله : ترد اليه روحه يعلم انها عنه ذاهبة وإن لم يبطله الحديث لم يثبت ، وصار الامر محتملاً . والقائل باحد الامرين مطلوب منه الدليل

(الرابع) كون الروح لا تفارقه لا يقتضي انه يسمع منا ، وانه لو سمع فهم ولو فهم أجاب ، ولو أجاب صح لنا طلبة إذ لا يلزم من ثبوت الاجابة صحة طلب المجاب اليه ، ولو أفاد انه حي لم يفد جواز دعوته كما قدمنا ، فان من قال كل حي يدعى مردود قوله حتى يقيم عليه الدليل ، وقد تقدم الكلام المبطل له

❦ الحديث التاسع ❦

حديث الزبارة المقابر الثابت في صحيح مسلم وغيره ، عن ابي هريرة وعائشة وغيرهما انه عليه السلام كان يقول - عند زيارة الاموات ويعلم أن يقال « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » ومثله قول المصلين في التشهد « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » قال الشيخ : هذا دعاء ومخاطبة للاموات ، فيصح دعاؤهم ،

وأنا لأدري كيف استفاد منه جواز دعاء الاموات وسؤالهم والتوسل بهم امن ضمير الخطاب ؟ فإذا يفهم من قول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويل الا انجل بصبح وما الاصبح منك بامثل
وقوله يخاطب الديار :

الاعم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وهذا وأمثاله مما لا يحصي من أقوال الشعراء والخطباء والعلماء والجهلاء في
مخاطبة الطلول والديار مما هو أشهر من يستشهد له ، فهل يفهم أستاذنا الاديب
الاريب الصائب بكل غريب وعجيب ، خليفة سيبويه على النحو ، وناثب
امريء القيس في الشعر ، وقلب ابن المقفع في النثر ، وجلد ابن منظور في اللغة ، وروح
افلاطون في الحكمة ، وفؤاد ارسطو في المنطق - هل يفهم ان هؤلاء الشعراء يتوسلون
ويستغيثون بالاحجار والاشجار والآثار والديار ويعتقدون انها تفهم منهم الحوار ،
وتقضي لهم الاوطار ؟ هل يفهم ان الجمادات في غابر الزمان لها فهم وجنان ، ولسان وبدان ؟
او يعتقد ان هؤلاء الشعراء لا يعقلون ولا يدرون ، وانهم يرون مالا يفهم فاهما ،
والجماد الذي لا يعي علما ؟ ليس بدعا من أستاذنا ان يراه ، ولكن ماذا يقول وكيف يحتال
في قول شعراء هذا العصر ، السالكين مسلك الاوابين في مخاطبة الربوع والكوكب
والافلاك ؟ كما قال أمير الشعراء شوقي بك مخاطباً الشمس :

قفي ياأخت يوشع حديثنا أحديث القرون الغابرين
وقصي من مصارعهم علينا ومن دولانهم ما تعلمينا
ثم قال :

زمان الغزو يافرعون ولي ودالت دولة المتجبرينا

أترأه يعتقد أن الشمس تسمع منه وتفهم وانها تجيبه ؟ ليس بعيداً عليه ان
يعتقد انهم قلدوا الشعراء الاوائل من غير تفكير . كما ان الشيخ يوجب ان يقلد كل
ما ينسب الى الشافعي وابن حنبل ومالك وابو حنيفة من غير تصور ولا تدبر
وهل هو صواب أو خطأ.

يأياها الشيخ، ان اللغة لا تمنع ان يخاطب غير الفاهم، فهي تخاطب من لا يفهم ولا يسمع، وتناديه لاعلى طريقة التوسل به والطلب منه والاستغاثة به، وذلك في كل لسان فأنت ترى الذي لا يعتقد وجود الارواح وانه لاشيء غير هذه الاشباح وان الروح عبارة عن عرض به يحصل الفهم والادراك، وهو يكفر بالآخرة وبالحياة الثانية - ترى من هذا دينه وعقيدته، يكلم الميت ويخاطبه مخاطبة الحاضر، بل يخاطب غير العاقلين ولا يقصدون من الخطاب ما تقصده

فمالك أنت أخذت دون العالمين من التسليم على الرسول والاموات واحضارهم في التسليم انهم يسمعون ويفهمون واستدللت به على جواز التوسل بهم؟ وقد ورد في آخر حديث التشهد ما يفيد ذلك فروى البخاري في آخر حديث ابن مسعود الذي في التشهد - بعد ان ذكر التشهد المعروف - قال وهو بين ظهرائنا. فلما قبض قلنا السلام يعني على النبي ﷺ هذا لفظ البخاري

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري وأخرجه ابو عوانة في صحيحه والسراج والجوزقي وابو نعيم الاصبهاني والبيهقي من طرق متعددة إلى ابي نعيم، شيخ البخاري فيه بلفظ فلما قبض قلنا السلام على النبي - بحذف لفظ يعني، وكذا رواه ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي نعيم

قال السبكي في شرح المنهاج - بعد ان ذكر هذه الرواية عن ابي عوانة وحده: فان صح هذا عن الصحابة دل على ان الخطاب في السلام بعد النبي غير واجب. فيقال السلام على النبي. قال الحافظ ابن حجر قد صح ذلك بلا ريب وقد وجدت له متابعاً قويا. قال عبد الرزاق اخبرنا ابن جريج اخبرنا عطاء ان الصحابة كانوا يقولون والنبي حي: السلام عليك أيها النبي، فلما مات قالوا: السلام على النبي وهذا اسناد صحيح

وروى سعيد بن منصور في سننه من طريق ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود

عن أبيه ان النبي علمهم التشهد فذكره فقال ابن عباس انما كننا نقول السلام عليك
أيها النبي إذ كان حياً . قال ابن مسعود هكذا علمنا وهكذا علمنا . قال ابن حجر
اسناد هذا ضعيف . فهذا كله يدل ان الصحابة يفهمون انه لا يسمع بعد الموت .
ولهذا غيروا الخطاب إلى الغيبة وإن كانوا ما غيروه فعلاً فيؤخذ انهم يعلمون ذلك
لكن لم يغيروا ، إبقاءً للأمور الواردة على حالها

ويقال أيضاً : من أي طريق أفاد هذا الخبر الوسيلة ؟ من طلب السلام للاموات ،
ام من لفظ الخطاب ؟ ام من الامرين ؟ ام من امر آخر ؟

اما الاول فلا يمكن إذ قول القائل السلام على هذا ، معناه يا الله سلمه وألق
عليه السلامة والنجاة من الآفات والشرور ، وهذا لا يستلزم أن يسمع او يدري
المدعوله بالاتفاق ، كما تقول يا رب احفظ بيتي من السراق . وإما من لفظ الخطاب
ليس أيضاً صواباً لأمور .

(الاول) غاية ذلك إقامة البعيد مقام القريب واحلال ضمير مكان ضمير
آخر لازيادة عليه

(الثاني) لا نسلم انا اقنا ضميراً بدل ضمير وأوقعنا كلمة مكان أخرى ، بل
كل ذلك في موضعه وعلى حاله ، أما في زيارة القبور وخطابها فهي حاضرة قريبة
لا اشكال فيه . وأما كونها تسمع او لا تسمع فاللفظ لم يتعرض له ، وأما خطاب
الرسول في الصلاة ، اما إذ كان حياً حاضراً فلا لبس فيه . وأما بعد أن ذهب
وانتقل إلى الرفيق الأعلى فانا أبقينا اللفظ على حاله حذر الاختلاف والاضطراب .
والالفاظ ينظر اليها من جهة وضعها الاول ، أو نقول ان الصحابة رجعوا عن الخطاب
كما سلف إلى الغيبة . وإذا بطل الاستشهاد بالخبر

(الثالث) ضمير الخطاب اما أن يكون في اللغة حقيقة في الغائب مجازاً في الحاضر ،
او بالعكس ، او مجازاً فيهما ، او حقيقة فيهما . وعلى هذه التقاسيم كلها لا ينفع

الخصم شيئاً . أما على القسم الاول فظاهر ، وأما على الثاني فقصاراه انا تجوزنا ووضعنا لفظاً مكان آخر ، والقرينة على التجوز غيبته عنا قطعاً ، إلا أن نقول انه في كل مكان كما يقول الحلوية في الاله : فحينئذ يجب صفع قائله على قفاه

وأما الثالث فغايته التزامنا التجوز فيهما معا

وأما الرابع ، وهو أن يكون حقيقة فيهما فكلاول لا اشكال فيه ،

وبعد هذا كله نسائل من زعم جواز الوسيلة استناداً إلى هذا الخبر ، كيف أخذها ؟ وبأي سبيل استنبطها ؟ لقم الدليل ، والا فلا سمع ولا طاعة ، وأضحى لدى كل عاقل مزجى البضاعة ، مخطئاً في الصناعة . وأما انه يهذي ويرسل الالفاظ ارسالا ، ويترك الادلة إهمالا ، ويقول بعده هذا كاف دليلا ، شاف عليلا ، وهو يسكت اضدادنا ويجهز على أعدائنا فهي جادة غير مرضية ولا راضية

﴿ الحديث العاشر ﴾

حدث الشفاعة الطويل الثابت في الكتب الصحيحة : البخاري ومسلم وجميع السنن . وقد قال بعض علماء الحديث : انه متواتر ، وفيه : أن الناس يذهبون إلى الانبياء واحداً بعد واحد ويطلبون منهم الشفاعة لدى ربهم أن يرزقهم من موقفهم الشديد ودمعهم الضحك ، وان الانبياء يمتنعون من الشفاعة ، وكل يحيل على غيره ويقول است لها اذهبوا الآخر حتى يصلوا إلى خاتمهم رسول الله ﷺ فيقول « أنا لها أنا لها » فيتقدم إلى ربه ويسجد ويشي عليه بمحامد وثناء يلهمه إياها لا يعرفها قبل تلك الساعة . ثم يقول له الله . ارفع رأسك واسأل تعطه ، واشفع تشفع . إلى آخر الحديث .

قد فرغ عجي ونزفه خلط الشيخ السابق .

والجواب عليه :

(الاول) ان هذا في حال الحياة بعد قيام العباد من موتهم (الثاني) ونحن

لانتازع في جواز التشفع بالاحياء سواء في الحياة الاولى والاخرى فهو بعيد عن موضع النزاع كل البعد ، اترأه يرى ان الحياة الاخرى موت او ان حكمها حكم الموت ؟ (الثاني) يقال هذا في الآخرة ولا يصح أن تلحق شؤون الآخرة بالأولى فان لكل أحكاما تغاير أحكام الاخرى ، فالاعمال كالإيمان والتوبة في الاخرى لا تقبل ولا تنفع صاحبها بل لا تستطاع لبعض الناس . قال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) وفي البخاري وغيره « ان المنافق إذا أراد أن يسجد صار ظهره طبقا واحداً فلا يقدر على السجود » وقياس الآخرة على الاولى من أفسد الاقيسة

(الثالث) ما في هذا الحديث سوى الشفاعة والاستشفاع ، وهل معنى الشفاعة هو معنى الوسيلة تماماً ؟ ان بينهما لفرقا

(الرابع) أن يقال : أثبت انهم يوم القيامة مكلفون بالاحكام فلا يمكن أن تستدل بفعلهم حتى تعلم تكليفهم ، ويقال : لعالم زالت عقولهم من اغتلام الهول (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) والجواب الاول وهو المعتمد

﴿ الحديث الحادي عشر ﴾

قال الشيخ أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن مالك الدار خازن عمر قال : اصاب الناس جدد في زمان عمر (رض) فجاء رجل قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا ، فاتاه رسول الله في المنام فقال : انت عمر فاقرئه السلام وخبره انهم مسقون ، وقل له عليك الكيس الكيس . فأتى الرجل عمر فأخبره ، فبكى عمر ثم قال : يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه . اهـ ثم قال الشيخ أو محدثنا : إسناده صحيح . والجواب عليه من وجوه

(الجواب الاول) المطالبة بالصحة، وقوله انه صحيح ليس مقبولا وقد سبرنا عليه الغلط ان لم نقل الكذب في الاشياء الظاهرة في عزو الاخبار. والمؤمن لا يلدغ من حرم مرتين - هذا للحيات - وأما صاحبنا فلا يلدغنا ولا مرة، ولا يهيم بلدغنا، وإن هم فقد هم بمهلك

كناطح صخرة يوما ليوهنها به فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
(الثاني) على فرض صحته لا دليل فيه ألبة. أما استسقاء الرجل فليس حجة، ولعله اخطأ. وما ندري، أهو صحابي أم تابعي، ولا نلتزم ان اتابعين معصومون من الخطأ ولا من الشرك. وأما إتيان الرسول هذا الرجل في المنام فلا نسلم انه جاءه، ومن لنا انه ليس شيطانا تمثل بصورة غير صورته الحقيقية، وقال له أنا الرسول تضليلا وإن قلنا انه الرسول وانه جاءه في النوم حقا فلا نسلم ان الرؤيا حكم شرعي، وإن سلمنا فليس فيها انه قال توسلوا بي ولا بغيري.

ومجيئه الرجل المستسقي فلا يفيد انه مصيب ولا انه جاءه لعمله. وأما إخباره، عمر فلا نسلم انه أخبره باستسقائه بالرسول، ولعله أخبره بالرؤيا فقط، أو ببعضها وهو قوله « قل له عليك الكيس الكيس » والفعل الماضي في الاثبات بلسان العرب بمنزلة الشك في الاثبات. فبما لا يعم قولنا حصل منا إخبار كذلك لا يعم قولنا أخبرنا، ولئن سلمنا إخباره عمر بالواقعة كلها فلا نسلم أن عمر أقره، إذ يحتمل أنه أنكره ولم يتقبل، وعدم العلم ليس علما بالعدم. ولعل بكاء عمر من إنكاره، ولئن سلمنا عدم إنكار عمر فلا نسلم تصويب عمر إذ يجوز انه أخذته الدهشة والفرع مما قال له ومن تذكره الرسول، ويجوز انه نهاه من قبل فلم يجد فتركه في الواقعة التي نحن فيها.

الحديث الثاني عشر

أحاديث عذاب القبر ونعيمه وذهاب الارواح ومجيئها وفهمها خطاب للملائكة وخطاب الله وسائر ما جاء من شؤون البرزخ

فيقال: غاية هذه الاخبار أن الارواح تشعر وتألم وتنعم من أشياء يلقاها الله عليها وملائكته . وما الملازمة بين هذا وبين دعائها فيجوز أن يسمعوها من الله وملائكته ويفهمون ويألمون وينعمون وليس الامر كذلك من غيرهم ، ويجوز أن يعوا منا ويقفوا ويسمعوا وانهم لا يحجبون ، وهل كل سامع وفهم يحجب؟ فن السقيم والمقعد والعاجز يسمعون كذلك وقد لا يحجبون ، وهل كل محجب تصح دعوته ؟ لا

ويقال أيضاً : أفادت النصوص أن الكفار كذلك ، فهل أخذ منه صحة الاستغاثه بهم ؟ فان التزمته فقد قلت ما يعلم فساد كل أحد ومالاتجده لك عليه موافقا . وإن قلت لا أجوز دعوة الكافر الميت ، قيل ما السبب في منعه ؟ أمن كونهم غير قادرين على الاجابة ؟ فان قلت هو كذلك قلنا وكذا قل في المؤمنين وان قلت السبب فيه هو كفرهم ، قلنا لو كان ذلك هو السبب لما جاز دعاؤهم أحياء إذ العلة لما نفعه موجوده في الحالين ويقال أيضاً على هذا يصح أن يكون هناك أسباب لا نفعها في منع دعوة موات المؤمنين مع وجود المقتضى

وإن قلت السبب في منع دعاء الكفار إرادة إهانتهم ، قيل لو كان ذلك هو المقتضى لم تجز دعوتهم أحياء . وان قلت السبب انه لم يؤذن فيه ، قلنا وهل أذن فيها للمؤمنين ؟ وإن قلت لم ينقل اليها دعوة أموات الكفار عن أحد من المسلمين ، قلنا ولم تنقل اليها دعوة أحد من موتى المسلمين .

وبقال أيضاً : ما الذي أفهمك من هذه الاخبار جواز التوسل ، أكونهم أحياء أم لأمر آخر ؟ فان كان للحياة فلندع إذن الكفار الاموات ، فهم أحياء بظاهر النصوص . وإن كان السبب غير الحياة قلنا : هو ثبوت أعمالهم إن كان ذلك أخذ منه التوسل ، والسؤال لكفار الاموات .

وان قلت السبب هو الصلاح والايمان قلنا : أولا بطل استدلالك بالحديث الذي معنا ، لانك استشهدت بدليل آخر

ويقال ثانيا : ماوجه اقتضاء الصلاح للتوسل بصاحبه ؟ إن قلت هو فعل المسلمين واجماع الامة على التوسل بهذا وترك ذاك ، قلنا : لا نسلم الاجماع ، بل لا نسلم أن أحداً من الصحابة أو التابعين أو عقلاء المسلمين وعلمائهم فعله . وإن قلت السبب أمر آخر ، قيل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . والذي يدل على أن هذه الاخبار لا تفيد التوسل انه لم يفهمه أحد من المسلمين المحققين مع قرائتهم هذه الاحاديث وفهمهم لمعناها

(الحديث الثالث عشر)

الاحاديث الواردة ان الصحابة كانوا يتبركون بآثاره عليه السلام وأثوابه وما يابشره . فيقال : ذلك تبرك ، وهذا توسل ، وعظيم ما بينهما من الفرقان ، إذ التوسل العامي كما سبق تحته أنواع ، من ذلك دعوة الاموات ، وسؤالهم ، والاقسام على الله بهم ، والحلف بهم ، ونذر النذور ، وتقريب القرابين ، وشد الرحال ، وقراءة الاوراد ، والقرآن لارواح الموتى ، والصلاة الى القبور ، والتوجه اليها في حين العبادة ، والصلاة واعتقاد قبول الدعوة لديها أكثر . فهل التبرك يؤدي هذه المعاني ؟

(الثاني) لو كان هناك تلازم بين التبرك والوسيلة لصح أن يدعى ما كانوا يتبركون به ، فيدعون مثلاً نعله وثوبه وعصاه وبصاقه ووضوءه والتراب الذي مس بدنه ، إذ كل هذه الاشياء كانوا يتبركون بها ، فيقال مثلاً يانعل اشقيني ، ويارداء اغثنني واشفع لي عند ربك . ويصح عليه أن تقرب الذبائح والقرب والنسك للعبادات التي مسها عليه السلام ، وتصور مثل هذا يكفي في بطلانه . والله ان القلم ليعاصي في كتابة هذا الكلام ، ولكن الضرورات تحل المحظورات (الثالث) التبرك هو طلب الكثرة ، فمعنى تبرك بهذا الشيء طلب الزيادة والنمو ، كما يقال تبرك ببیت كذا وبجارة كيت ، أي طلب أن يحصل له زيادة خير .

ويقال تبرك بالزوج فلانة وبالصديق فلان - وإن كنا مشركين - فما لهذا التوسل ؟
ويقال تبرك به ويراد انه استشفى به واستعفى كما يستشفى بالمستشفى وبالطبيب
فيراد ان الله جعل به شفاء كما جعله في العقاقير ، فان كان يلزم من الاستشفاء
بالرسول وبأثوابه وأدواته التوسل والدعوة لزم من الاستشفاء بالطبيب النصراني
والنطاسي اليهودي والآسي المجوسي أن يتوسل بهم ، وكذا أيضاً الاستشفاء
بالادوية . ووالله ما أفسد دين الانبياء ومناهج الرسل إلا مثل هذه الترهات ،
ثم لعل تبركهم بأدوات الرسول وأمتعته كان على سبيل الحب والاخلاص ،
أليس نهاية ما فيه انهم كانوا يضعونه على اجسادهم ، أليس الحبيب يصنع بمحبه ذلك
من حيوان وجماد ، وإن كان لا يقصد منه غير الوداد ، وإظهار الحب وشفاء
علة النفس ، فما لهذه الاشياء والاستغاثة لو كانوا يعقلون ؟

ثم بعد هذا كله قلنا نقول : ان هذا كان خاصاً بالرسول ﷺ

الحديث الرابع عشر

عن ابن عمر ان الرسول قال « من حج فزار قبري فكأنما زارني في حياتي »
وفي رواية « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني
(الجواب) مطالبة الاثبات ، فانه لم يثبت ان محدثاً ولا غيره صححه واخراج
الدارقطني له لا يدل على ثبوته . يعرف ذلك من له أدنى نظر في علم الحديث
فالدارقطني يروي الموضوعات باتفاق أهل الصنعة ، وهو لم يشترط الصحة كما هي
طريقة أغلب أهل الحديث ، والقليل من المحدثين الذي اشترطها كالبخاري ومسلم ،
ولهذا ترى الدارقطني تارة يحكم على الحديث الذي رواه بالوضع ، وطوراً بالضعف ،
وحيناً بالصحة ، ومرة بالحسن ، ووقتا يسكت ، ولو كان ما أخرجه كله صحيحاً لما
توقف الناس في الاخذ باحاديثه على النظر في سنده ، وأيضاً لما كان يحتاج إلى الحكم
على الحديث بصحة او ضعف ، وكان يكفيه روايته ، هذا لا يحتاج إلى اطناب ، ولكن

الناس في الارشاد مراتب ولهم مخاطبات

(الثاني) لا يخفى ان هذا الخبر كذب لم يقله رسول الله ولا ابن عمر ، فهو فاسد السند والمعنى ، وقد ضعفه ابو الحسن بن القطان والنووي ، وقال البيهقي منكر ، قال الحافظ ابو جعفر العقيلي ليس صحيحا ، قل ابن خزيمة في النفس منه شيء ، وتوقف فيه ، وقال العقيلي لا يصح في الباب شيء ، وضعفه الضياء المقدسي وابن تيمية ، وقد صححه - على ما يقول الشوكاني - عبد الحق وعابه عليه ابن القطان ، وصححه ابن السكن وتقي الدين السبكي نقل هذا عنهم الشوكاني . وفي سند الحديث رجلان ضعيفان ، وهما موسى بن هلال العبدي وحماد بن عمر العمري ، وهما بات أن يصح حديث يقول زيارته ميتا كزيارته حيا

ومن ذا يسلم ان الوقوف على القبر بلا رؤية له ولا سماع لكلامه كالوقوف عليه في حياته وسماع كلامه الهادي ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم . وكيف يثبت خبر يقول : زائر القبر نائل الشفاعة على علته

(الثالث) الحديث ليس في محل النزاع ، اذ هو في اثبات الزيارة ، ونحن لا نخالف في جوازها ، وإن اختلف في جوازها وكونها سنة ، وكان الشيخ لا يدري أن هناك زيارة بغير وسيلة ، فنحن نقول الزيارة سنة ولكن لا نقول بالوسيلة على المعنى المعروف ، فأين الخبر الذي نحن بصدده مما ننفيه ويثبت ؟ اللهم متعنا باسماعنا وبأبصارنا . هذا آخر أدلته الحديثية وهي كما رأيت لم يقم منها ولا حديثا واحدا لا صحيحا ولا ضعيفا ولا موضوعا .

الباب الثالث

في محو أدلة العقلية

وهي - والحق يقال - كافية له آية ، لو ادعى النبوة ، وفقت آيات الانبياء .
ولو اطلع عليها الرئيس ابن سينا والمعلم الثاني الفارابي - بعد ان ألفا ما ألفاء من
كتب الفلسفة والحكمة - لأتيا على ما ألفا حرقا وإبادة خجلا ، واستعاضاها عن
كل ما قيل وما يقال ، ولكن حيل بينهما وبين ما يشتهيان ، وخص الله بها أهل هذا
العصر المبصر ، إذ لا يليق به إلا مبصر مثله .

طفق الشيخ يسردها على العالم ، ولسان حاله يقول - وحق له - أن يقول :

ولو أن ما عندي من العلم والفضل يفرق في الآفاق ما كان من جهل

ويثنيه شامخ الأنف ، وخليق به أن يشمخ

واني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطع الأوائل

ويثلك بقوله - رافع الرأس - وأخلق به أن يرفع

إن أكن معجبا فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

ولكن على رغم ذلك كله فما فهمت ولا أظن أحدا فهم مما جاء به إلا الخلف

والسخف والبراءة من العقل والظرف . فاسمع حينئذ لي ما يريح غمة هذا الهذيان

ويفضح ما تحت بهرجة وزيفه من زور وبهتان

قال (الدليل الاول) ثبتت الاستغاثة بالاحياء ولا فرق بين الاحياء والاموات

وما ثبت لاحد المثليين ثبت للآخر فنتج منه جواز التوسل بالاموات اهـ

سمحانك يا حكيم ، سمحان من اختص من شاء بما شاء ، قسم العقول والذكاء

حكمة وصلت إلى التسوية بين الحي والميت ، عجيب وألف عجيب ، لا فليس

هناك عجيب منذ خرج هذا الحكيم ! وبناء على هذه الحكمة فالضار للميت بنوع من الضرر، كأن يقطع رجله أو يده، أو يفتق عينه أو يقطع سنه يقتص له من الفاعل إذ من صنع بالحي ذلك اقتص منه ولا فرق بينهما عند الاستاذ

ومما أجمع عليه الناس من الخطأ دفنهم موتاهم في التراب إذ هم كالأحياء والأحياء لا يجوز دفنهم، وتزوجهم امرأة الميت وتورثهم ماله إذ هو مثل الأحياء .
إني لو وقفت على ميت أمامي فوق ظهر الأرض قبل بطنها وسألته قضاء حاجة لعدني كل راء مجنوناً إلا أن يكون هو مجنوناً ، ولو قلت ذلك لحي قادر لما أنكره منكراً ، ولو قلت لإنسان عاقل كان أو معتوها ، عالماً أو جهولاً : يا شبیه الميت أو ياميت لامتلاً غضباً . وأنا نرى الميت يهان ويوطأ وهو لا يتحرك ولا يدفع عن نفسه ، أترأه رضي لها الهوان ، أليس الله يأمر كل إنسان أن يسعى إلى الخير ، ويبعد عن الشر ، فهل الموتى ضيعوا أمر الله ؟ وإذا كان الموتى مكلفون بأحكام الشريعة ، فما لنا لانراهم يعملون ؟ أما سمعنا الله يقول (وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) ويقول (انك لاتسمع الموتى) أما الأحياء فقال (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع)

إن هذه المقالة مصادمة للقرآن صريحاً ، فالقرآن يقول (لا يستويان) وهي تقول هما سواء . كل إنسان يعلم علماً ضرورياً إن الميت لا يساوي الحي والله اني لأراهم بنفسى وبوقتي أن أشغلهم بابطال هذه الحجة ، وأحاشي القارى عن أن أخاله يفتقر إلى تبيانى ، فهي من الأشياء الضرورية الأولية ، ولو احتاج الفرق بين الحي والميت إلى دليل لكان نفس الدليل أعظم احتياجاً ، وعليه لا يثبت أمر . ويقول الحديث الصحيح « إذا مات ابن آدم انقطع عمله » هل الحي كذلك ؟

قبالله هل رأيتم - وما أكثر ما رأيتم - انسانا قال هذه المقالة؟ وكأنما أنزل الله (وما يستوي الاحياء ولا الاموات) دحضاً لها . وإن لم يكن في عصر إنزال القرآن أحد يقول مثلها ، فيا لها من هوة سقط الشيخ فيها ، وما أعظمها عثرة ، ولو كان غيره سقط فيها لمات أسفاً على ما فرط في جنب العلم

(الدليل الثاني) قال متع الله اخوانه بعلمه الباهر - الفعل كله لله والعبد لا يفعل له ألبتة ، سواء في ذلك الحي والميت ، فإذاً الطلب من الاحياء والاموات على وتيرة واحدة فأنت في الحالتين سألت العبد ما لا يقدر عليه . اهـ

(وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) هذه هي الحكمة الاولى الا أن الشيخ للباقة ومهارته كساها ثوبا أخفاها عن الاعين حتى ظننتها جديدة ، وما هي إلا القديمة العقيمة . قرر ان الله هو الذي يوجد الايمان والصلاح ، كالصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر أعمال الطاعة ، ويجزي عليها ، ويوجد الكفر والزيف ، والزنا والسرقه وسائر أعمال العصيان ، ويعاقب عليها ، وانه تعالى طالب عباده أن يفعلوا فعله ، ويعملوا عمله ، وفيه من الطعن على الاله ونسبة الظلم اليه ، وابطال الاوامر والنواهي والشرع ما لا يخفى ، وبمثله يستطيع الطاعنون على الاديان أن يطعنوا ، وبأمثال هذه الآراء خرج الناس من دين الله أفواجا ، وانها لهادمة جميع الاديان السماوية والقوانين الوضعية

والجواب عليها من وجوه :

(الاول) قوله إن العبد ليس فاعلا ، إما أن يكون دل عليه العقل ، او القرآن او الحديث ، او الاجماع ، او المشاهدة ، او الضرورة ، او شيء غيرها ؟ ولا شيء . اما العقل فانه لا يفهم ان العبد ليس فاعلا ، وانه كالريشة تقليبها الارواح أى صابت ، بل انقل يعلم انه لا يحسن عقاب العبد ولا ثوابه ولا أمره ولا نهيه ولا شكره إلا إذا كان فاعلا قادراً على الفعل والترك ، ولهذا لا يلوم الحجر الهاوي من أعلى إلى

اسفل إذا ضر ، ولا يشكره إذا نفع ، ولا يذم الريشة إذا ذهبت مع الزوابع ، ولا المرتعش على ارتعاشه ، ولا الملقى من محل عال على هويته ، ولكن يلوم الحي الذي ليس مضطراً وبذمه ويصحح عليه العقاب والثواب وعليه عقول الناس كافة ومعاملتهم ، والعقل يرى ان العقاب على ترك ما لا يقدر عليه عين السفة والظلم ، وهو يحسن عقاب العاصي والظالم ، ويحكم بان من يأمر العاجز من أجل الجلاء ، فكيف نتوهم انه يرى ان لا فعل للعبد ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

واما القرآن فلمعر الاله انه من اوله إلى آخره لينادي بهدم هذه المقالة ، فهو ينسب الافعال إلى العباد نسبة لا تحتل التأويل ، ويحكم انهم الفاعلون (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) (أو ما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) (والله عليهم بما يصنعون) (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله) وهو في القرآن كثير

وأما الحديث فكالقرآن يقول « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » « أطيب ما أكلتم من كسبكم » « أطيب ما أكل الرجل من عمل يده وإن داود كان يأكل من عمل يده » « اكفوا من العمل ما تطيقون ان الله لا يمل حتى تملوا »

وأما الاجماع فما أبعد ، فالسلف قاطبة يرون العبد فاعلاً حقيقة لا يشذمنهم واحد ، وهذا مذكور في كتاب خلق أفعال العباد للبخاري وغيره ، وكيف يدعي الاجماع في هذا الباب مع قول المعتزلة . العبد خالق أفعال نفسه

واما المشاهدة فشاهدة بضده واما الضرورة فقد ادعاها المعتزلة في قولهم :

ان العبد خالق لافعاله ، وأي ضرورة تقول العبد لافعل له ؟

واما ان كان شيئا آخر فعليه أن يكشفه لنا لننظره ، أنقبله أم نرده ، مع علمنا ان لا شيء

(الثاني) قولك العبد ليس فاعلا ، مخالف لظاهر القرآن ، والحديث ، واطلاقات

المسلمين والكافرين . فهي ناطقة باسناد الفعل والعمل والصنع والكسب الى العباد بل وباسناد الخلق قال تعالى (وتخلقون افكا) (اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير) وقال (تبارك الله احسن الخالقين) فاثبت خالقين غيره ، وأما إطلاق الناس ونسبتهم ذلك إلى العباد فلا ينكر ، حتى المعترض يسلم به بل ويطلقه ، فإذا ثبت ذلك فخالفته لهذا الإطلاق والنسبة اما أن تكون لدليل او لا لدليل

الدليل اما أن يكون من القرآن او الحديث او الاجماع او المشاهدة او الضرورة أما غير دليل فردود . واما الدليل فان الاشياء المذكورة قد سلف انها لا تفيد شيئا فعاد كلامه مخالفا لظاهر القرآن والحديث والاجماع لغیر مقتض ، وخالف كلام أشياخه أيضا ، والكاتب التي تدرس في الازهر ، فلا ندري كيف نمشى كلامه ؟ قال في العقائد النسفية : وللعباد أفعال اختيارية يشاؤون بها ويعاقبون عليها . قال في حواشيا : اعلم ان المؤثر في فعل العبد اما قدرة الله فقط بلا قدرة من العبد أصلا وهو مذهب الجبرية ، أو بلا تأثير لقدرته وهو مذهب الاشعرية ، او قدرة العبد فقط بلا إيجاب واضطرار وهو مذهب المعتزلة ، او بالايجاب وامتناع التخلف وهو مذهب الفلاسفة - والمروي عن امام الحرمين - او مجموع القسدرتين على أن يؤثر في أصل الفعل ، وهو مذهب الاستاذ ، او على أن تؤثر قدرة العبد في وصفه بان يجعله موصوفا بمثل كونه طاعة او معصية ، وهو مذهب القاضي ابي بكر الباقلاني ثم قال في الحاشية : المقصود ان للعبد فعلا ينسب إلى قدرته سواء كان جزء المؤثر

كما هو مذهب الاستاذ - أو مداراً محضاً ، كما هو مذهب الاشعري ، ويجب أن يعلم ان جميع أفعال الحيوانات على هذا التفصيل من المذاهب ، إلا أن بعض الأدلة لا يجري إلا في المكلف ، فلذلك خصوا العباد بالذكر اه باللفظ

وقال في كتاب المسيرة - المقرر تدريسه في الازهر : الاصل الاول . العلم بانه تعالى لا خالق سواه لكل حادث جوهر او عرض ، كحركة كل شعرة وكل قدرة ، وفعل اضطراري ، كحركة المرتعش والنبض ، او اختياري ، كافعال الحيوانات المقصودة لهم - ثم قال - اعلم اننا لما ذكرنا ان ما اورده من العقلات التي ظنوا احوالها استناد شيء من الافعال الاختيارية إلى العباد لم تسلم لم يبق عندنا في حكم الفعل مانع عقلي من ذلك ، فانه لو عرف الله العاقل افعال الخير والشر ، ثم خلق له قدرة أمكنه من الفعل بها وترك ، ثم كلفه باتيان الخير ووعدته على الاتيان به الثواب ، وترك الشر وأوعده عليه بناء على ذلك الاقدار ، لم يوجب ذلك نقصاً في الالهية ، إذ غاية ما فيه انه أقدره على بعض مقدراته ، كما اعلنا بعض معلوماته تفضلاً منه واحساناً ، وان كان قد يرى فرق بين الخلق والعلم لكن لا يقدح كما ذكرنا ، إذ كان سبحانه غير ملجأ إلى ذلك ولا مقهور عليه ، بل فعله سبحانه باختياره في قليل لانسبة له بمقدراته ، لحكمة صحة التكليف واتجاه الامر والنهي ، مع انه لا تنقص نسبته اليه بالايجاد ، لان إيجاد المكلف لها انما هو بتمكين الله إياه منها ، واقداره عليها ، غير أن السمع ورد بما يقتضي نسبة الكل اليه بالايجاد وقطعها عن العباد ، فنفى الجبر المحض وتصحيح التكليف ، ووجب التخصيص وهو لا يتوقف على نسبة جميع أفعال العباد اليهم بالايجاد ، بل يكفي لنفيه أن يقال : جميع ما يتوقف عليه أفعال الجوارح من الحركات وكذا التروك التي هي أفعال النفس من الميل والداعية والاختيار بخلاق الله تعالى لاثاثير لقدرة العبد فيه . وانما محل قدرته عزمه عقيب خلق الله هذه الامور في باطنه عزما مصمما بلا تردد ، وتوجهه توجهاً

صادقاً للفعل طالباً إياه ، فإذا أوجد العبد ذلك العزم خالق الله له الفعل ، فيكون منسوباً إليه من حيث هو حركة ، لأنه تعالى المنفرد بترتيب المسببات على أسبابها ، وإلى العبد من حيث هو زنى ونحوه ، وإنما يخلق الله هذه الأمور في القلب ليظهر من المكلف ما سبق في علمه بظهوره منه من مخالفة أو طاعة . وليس للعلم خاصية التأثير ليكون مجبوراً لما عساه يتضح من بعد ، ولا خلق هذه الأشياء بوجوب اضطراره إلى الفعل ، لأنه أقدره فيما يختاره ويميل إليه عن داعية على العزم ، مثل فعله وتركه ، إذ من المستمر ترك الإنسان لما يحبه ويختاره ، وفعل شيء وهو يكرهه لخوف من ذلك العزم الكائن بقدرة العبد المخلوقة لله . صح تكليفه وثوابه وعقابه وذمه ومدحه وانتفى بطلان التكليف والجبر المحض ، وكفى بالتخصيص لتصحيح التكليف هذا الأمر الواحد ، وأعني به العزم المصمم . وما سواه مما لا يخص من الأفعال الجزئية والنزوك كلها مخلوقة له تعالى ، متأثرة عن قدرته ابتداءً بلا واسطة القدرة الحادثة المتأثرة عن قدرته وإن أعلن . ومع ذلك فقلما يكون حسن هذا العزم بلا توفيق من الله تعالى ، بل لا يقع إلا بتوفيق منه تفضلاً ، فإن الشيطان مع الشهوة الغالبة وهوى النفس موانع كشبه القواسر لقوة استيلائها فلا يغلب إلا بمعونة التوفيق . وليس لأحد على الله أن يوقفه - إلى آخر ما قال صاحب المسامرة ، وكلام الشارح كذلك .

وقال في العقائد العضدية : ولا خالق سواه . قال شارحه الشيخ الجلال الدواني : جوهرًا كان أو عرضاً للدالة العقلية والنقلية ، كقوله (لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه) ، (هل من خالق غير الله)

قال : قال إمام الحرمين في الإرشاد : اتفق أئمة السلف - قبل ظهور البدع والأهواء - على أن الخالق هو الله وحده ولا خالق سواه ، وأن الخواص كلها حادثة بقدرة الله من غير فرق بين ما يتعلق به قدرة العبد وما لم يتعلق به . وقال حجة

الاسلام الغزالي : لما بطل الجبر المحض بالضرورة فان بدهة العقل حاكمة بالفرق بين حركة المرتعش وحركة الخنثار ، وبطل كون العبد خالقا لافعال نفسه بالادلة السمعية التي ذكرناها والعقلية المذكورة في الكتب المبسوطة الكلامية ووجب أن نعتقد انها مقدرة بقدرة الله اختراعا ، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق به عنده بالاكتمال ، فحركة العبد باعتبار نسبتها إلى قدرته تسمى كسبا له ونسبتها إلى قدرة الله خلقا فهي خلق الرب ، ووصف العبد وكسبه وقدرته خلق الرب ووصف العبد ، وليست كسبا له ، وأكثر المعتزلة على أنها حاصلة بقدرة العبد وحدها . وقال الاستاذ ابو اسحاق : على أنها واقعة بمجموع القدرتين على أن تعلقهما جميعا باصل الفعل ، والقاضي أيضا على أنها بمجموع القدرتين لكن قدرة الله تتعلق باصل الفعل ، وقدرة العبد بكونها معصية أو طاعة

وقال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - عند قول الغزالي : وأكثر المعتزلة على أنها حاصلة بقدرة العبد وحدها - أقول : هذا الذي ذكره حجة الاسلام هو قول الاشعري ورأي كثير من أصحابنا

فهذا الكلام الطويل عن علماء أهل السنة عند الشيخ يعرفنا أن الشيخ خالف من كلام أهل السنة الذين دائما ينددون باتباعهم ، وتضلil من خالف شيئا من آرائهم ، فكل هؤلاء قرر - كما سمعت - أن للعبد فعلا وقدرة

(الثالث) أن يقال : هب أن العبد لا فعل له ولكن لا نسلم أنه ليس له كسب كما تقوله الاشعرية والماتريدية وبهذا الكسب يخالف الميت

(الرابع) سلمنا أن لا كسب للإنسان لكن له صلاة وصيام وحج ، وقيام وعود ، وذهاب ومجيء ، وأخذ وعطاء ، وسمع وفهم واجابة ، وغيره مما نشاهد ، وبه خالف الحنابلة

(الخامس) سلمنا فقدان تلك الاشياء ولكن نقول : انها واقعة بذاته ، وبه فارق الميت .

(السادس) سلمنا انها لم تقع فيه ولم تحدث بذاته ، ولكن لا يلزم من هذا عدم التفرقة بين الحي والميت ، وما المانع من أن تكون هناك فوارق ، وعدم علمها لا يدل على عدمها

(السابع) سلمنا انه لا فرق بين الحي والميت ، ولكن لا يلزم من ذلك جواز ان يعامل معاملة الحي ولا مانع أن يفرق بين المتماثلات ، فكم فرق الشرع بينها ولا سيما عند الذين لا يقولون بالحسن والقبح العقليين ، والقياس لا يصلح هنا ، لان العلة ليست معروفة فان سؤال العباد وطلبهم الاشياء التي لا يقدرון عليها وايست فعلا لهم - لا تعرف علتة بل هو محض تكليف

(الثامن) سلمنا صحة القياس ولكنه معارض بالدلة النقلية كقوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفك ولا يضررك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وقوله (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

(التاسع) هب انه لا دليل يضمنه من القرآن ، لكن ما حصل وشاهدناه من دعوة الناس الموتى نجم منه اضرار كثيرة ، وفواحش شنيعة ، فانا اذا جوزنا للعامة وأشباه العامة أن يدعوا الاموات ويسألوهم - وهم لا يشاهدونهم - اعتقدوا ان لهم تأثيراً في الكون ، كما هو حاصل اليوم عند أغلبهم ، وان كانوا لا يشعرون ، او يشعرون ويكبرون وهذا بخلاف الاحياء

(العاشر) سلمنا نفي وقوع الضرر لكن يجوز أن يكون هناك ضرر ينجم اذا أجزنا دعوة الاموات

(الحادي عشر) هبنا نفينا ماسبق ، لكن غاية ما في ذلك ان الميت كالحي البعيد ومن يجوز دعوة البعيد؟

﴿ الدليل الثالث ﴾

من أدلة الشيخ، قول الناس: أرواني الشراب وأشبعني الطعام وأمثله . وكان
الشيخ حين ظفر بهذا الاحتجاج الركيك قد ظفر بحكمة لقمان، ولولا الاحتياج إلى
نقله لما نقلناه إبقاء على العلماء ، ولكن

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن
والجواب عليه أن يقال :

هذا خارج عن محل النزاع ، إذ هو إخبار ، والذي معنا انشاء وهو طلب
الفعل من الموتى، فهل هو لا يفرق بين البابين ؟ إن كان كذلك جاز أن يطلب من
الماء والغذاء ، فيقول يأنيل أروني ، ويألم أشبعني - بخضوع وضراعة أمامه
(الثاني) قولك أرواني الشراب الخ . إما أن يكون صدقا أو ليس كذلك ،
فإن كان الاول بطل هذا الكلام جملة ، لأن خصومه يرون أن الاموات لا يفعلون
ما يطلب منهم ، وهو السر في جعلهم دعاءهم شركا ، والشيخ لم يقدريلا أنهم يقدررون ،
بل هو يقول الاحياء لا يقدررون فضلا عن الاموات .

وإن كان الثاني ، وأن الشرب والأكل لم يفعلا ذلك فهذا الاسناد اليه
والنسبة له إما أن تكون كذبا محضاً أو ليس كذلك ، بل مجازاً نصبت له القرينة
المانعة ، إن كان الاول كان احتجاجا على الباطل بالباطل وهو باطل ، وإن كان
الثاني - أي انه مجاز جعلت له قرينة مانعة وأضيف الفعل اليه على سبيل التسبب -
فيقال إما أن يكون المجاز مطرداً في كل ما وجدت فيه القرينة والعلاقة ، أو ليس كذلك .
إن كان الاول لزم افساد الشرائع والنظم والاحكام وصح بناء على هذا أننا لسمعنا مسلما
يسب الله تعالى لم نكفره ولم ننكر عليه ووجب أن نعتقد انه مجاز بالحذف وأنه يعني
بسبه سب عباده الاشرار مثلاً . وكذا لو قال عيسى ابن الله ، اعتقدنا انه يقصد
انه ابن أمته أو هو رءوف به كرامة الاب بابنه ، وكذا لو كفر بالله وأنبيائه

وأفعاله أو قال انه غير موجود ، ولا عادل ، ولا كريم - لأننا له في ذلك كله وذهبتنا
بكلامه إلى المجاز الملعون . وكذلك من قذف المحصنات المؤمنات قلنا انه مجاز
فان قال الشيخ نجاربه ونعاقبه دفعا للاختلال وحفظا للنظام ، قلنا كذلك في
مسئلتنا ، وإن قال : المجاز جائز إلا في موهم الكفر والشرك . قيل قد سلمت
ورجعت إلى قولنا ، وإن كان اثني وان المجاز سماعي كان الاحتجاج ساقطاً لفائدة
فيه ، فعلى كل تقدير الاستدلال بالطعام والماء ليس له طعم ولا عليه ماء

(الثالث) ينكر بعض علماء العربية المجاز مرة ، ويجعل هذه الامور حقيقة ، فعليه
يكون الماء والطعام مروياً ومشبعاً حقيقة ، ويكون الاستدلال به حينئذ لا معنى له
حتى يثبت ان الاموات فاعلون ما يطلب منهم حقيقة

(الرابع) إن سلمنا ثبوت المجاز لأنسلم ان الاسناد في الامثلة المذكورة مجاز ، بل هو حقيقة
(الخامس) إن سلمنا ان المجاز قياس - حتى في العقائد - وان الامثلة المذكورة
مجاز لأنسلم صحة التجوز في دعوة الاموات لامور :

(اولاً) انه لا علاقة فيها ولا ارتباط

(ثانياً) إن كان فيها علاقة إلا انها ملغاة غير منظور اليها ، ولهذا منع
التجوز بها ، والذين قالوا بالمجاز شرطوا فيه أن لا يمنع منه مانع لغوي أو شرعي . والمانع
اللغوي هو أن تكون العرب حجرتة وترك استعماله وإلا فهي لا تقول هذا
ممنوع مثلاً عندنا وذلك ليس ممنوعاً . والذي معنا منعت العرب التجوز فيه لانها
لم تستعمله ، وكذلك منعه الشرع فانه لم يستعمله بل نهى عنه كل النهي وقال :
(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال (ومن أضل ممن يدعو من
دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون *) واذا حشر
الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

ومعلوم ان الميت لا يستجيب لداعيه . وقد جعل الله داعيه أضل الخلق وقال

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)
 وقال (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
 ولو سمعوا ما استجابوا لكم وبوم القيامة يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير)
 والضمير في الآية للعقلاء ، فلا يصح أن يقال انه يقصد الحجارة والجماد فقط ، إذ هذا
 لا يصح لامرين :

(الاول) ان الضمائر التي هنا كلها للعقلاء ، وزاده توضيحاً بقوله (يكفرون بشرككم)

(الثاني) ان لفظ « الذين » من أدوات العموم فلا يصح التخصيص
 (السادس) ان التجوز في دعاء الاموات يحدث عقائد فاسدة ويضل الخلق
 وليس كذلك نسبة الارواء والاشباح للطعام والشراب ، فما علمنا ان قوماً عبدوا
 الماء والأكل أو اعتقدوا لها التأثير الربوبية . وأما في الانسان فقل فيه ماشئت
 فمنهم من اعتقد فيه انه الرب الأعلى والآله الاكبر ككفرعون ، ومنهم من قيل
 انه ابن الله كعزير والمسيح ، ومنهم من عبد وسجد له كاللات وود ، ويغوث
 ويعوق ونسر ، فانهم رجال صالحون كما قاله ابن عباس وهو مروي عنه في البخاري ،
 فالتسوية بين هذين من اقبح التسوية .

(السابع) بعد كل تنازل عما سبق كله نقول : إن نسبة الافعال الى الامور
 الآتية إما أن تكون قد دل الدليل على جوازها أو لم يدل . فان كان الثاني صار
 كلام الشيخ لغواً ، فانه احتجاج بما لم يكن . وإن كان الاول فاما أن يكون
 هناك دليل على صحة دعاء الاموات أو لا دليل ، فان كان الاول صارت الحجة
 بالدليل وصار هذا الكلام حشواً . وإن لم يدل الدليل فمن أين ألحقت هذا بهذا ؟
 ليس عندك إلا القياس وهو فاسد هنا كل الفساد

فصل

ثم ان الشيخ استجمع جهده وعصر فكره حتى جاء بما ظنه قاضيا على كل خصم ، وهو كما ستري لا يصح أن يكتب ، فضلا عن أن يعجب ، وعن أن يظن أن انه يقهر خصما .

قال - رحمه الله - بعد حشو وسب وهجو لا حاجة الى ذكره خوفا من تقرّر السامع - هؤلاء إن كانوا يمتنعون التوسل والاستغاثة ويجعلونهما شركا من حيث انهما توسل واستغاثة . فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذن شرك ، واستغاثة الرجل بمن يعينه في بعض شؤونه شرك ، واستغاثة الملك بالجيش لدى الحروب شرك ، واستغاثة الجيش بالملك فيما يصلح أمره شرك ، بل نقول يلزمهم على هذا ان يقرض ان طلب المعونة من ارباب الحرف والصنائع التي لا غنى للناس عنها شرك ، وطلب المريض للطبيب شرك . بل يلزم بناء على تلك السكليات التي تقتضيها الحثثيات ان استغاثة الرجل الاسرائيلي بسيدنا موسى عليه السلام وإجابته إياه كما قال (فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فمضى عليه) شرك ، الى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلا عن فاضل . اهـ

هذا قسم من أقسامه وفرض من فروضه ، التي ألزم بها أعداءه وزعم انه لا انفكك لهم منها إلا أن يأتوه طائعين ، وهي فروض كلها باطلة وتقسيمات زمنية يستطيع إبطالها الصغير منا فضلا عن الكبير ، فضلا عن العالم النحرير . فانظر كيف يذهب هذا القسم وتلاش هذه الخزعبلات والسفاسف كأن لم تكن .

فأقول: نعم نختار هذا القسم ونقول: جعلنا التوسل والاستغاثة حراما وشركا من انهما استغاثة بغير الله الذي لا يغني عن الاطلاق الا هو ، ويبيده الغوث والغياث والمستغاث به والمستغيث ، والذي يقول الشيخ انه لا فاعل غيره ، وانما الخالق محل

للافعال، أجل نقول التوسل والاستغاثة شرك إذا كانا بغير الخالق لكل شيء،
 الضرر النافع الذي لا يصدر أمر إلا بأذنه ومشيتته وخلقه وإيجاده وتسيبته، إذ الشرك
 معناه التشريك، وهو جمع اثنين فأكثر في أمر من الأمور كتشريك اثنين بعبادة،
 كلوا سجد للصنم أو لاي مخلوق والله تعالى أو لغيره كان شركاً، ولا فرق في العقل
 بين أن يدعى مخلوق غير قادر على ما يطلب منه مع الذل والخضوع، وبين أن يسجد
 له ويركع، ويصام ويتذبح، لا فرق بينهما ألبتة، فإن العبادة في اللغة هي الذل
 والخضوع والطاعة، ولهذا تقول العرب: طريق معبد وناقة معبدة. أي مذلل
 ومذلة، ومن ذلك سمي المملوك عبداً لهذا المعنى، والعاشق عبداً لمعشوقه أي
 مذللاً. ولهذا ترى العشاق كثيراً ما يقولون لمعشوقهم: أنا عبدك، وياسيدي،
 ويامولاي، ويامالك أُمري، وتسمى الطاعة عبادة. وفي كتب اللغة: كل مذلل يقال
 له معبد، وأطلقوا على الوالد أنه معبد أي مذل

وروى الترمذي - وصححه - واحمد بن حنبل أن الرسول عليه الصلاة والسلام
 قال « الدعاء هو العبادة » وفي رواية « الدعاء مخ العبادة » ثم تلا قوله (وقال
 ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)
 قال العلماء: العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال،
 فمن دعا الله أو استغاث به، أو صلى أو حج أو صام، أو ذبح، أو نذر، أو
 خضع لله - فقد عبد الله. هذا مما لا ريب فيه

وأجمع المسلمون أن العبادة لا تكون إلا لله، فمن أدخل معه غيره في شيء من
 العبادة فقد بطل عمله وأشرك (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (أمر ألا تعبدوا إلا
 إياه * ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (فاعبد الله مخلصاً له الدين،
 ألا الله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)
 (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

حنفاء وقيموا الصلاة وبؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة

ولفظ الدين قريب في المؤدى من العبادة ، ففي القاموس : الذل والخضوع والطاعة والقهر والغلب والاستعلاء ، والسلطان والملك يقال لهذا كله دين ، والتوحيد وكل ما يعبد الله به دين ، وكذا الاكراه والحكم والمعصية والورع والمطر والملة والحال والقضاء ، ويقال دنته خدمته واحسنت اليه وملكته ، والعبد يسمى مدينا لانه مذل ، والديان القاضي ، ومنه سمي الدين ديناً ، اذ به يذل صاحبه ويهون ، ومنه قالت العرب ، كما تدين تدان . قال الفند الزماني :

ولم يبق سوى العدو ان دناهم كما دانوا
وقال الآخر :

ودان له شرق البلاد وغربها ودان له سهل الرقاب وصعبها
ولا شك ان الاستغاثة بالخلق والالتجاء داخلان في مادة عبد ، ودان ، وهما مقصوران على الله . وقال تعالى (اتخذوا احابارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وسمع عدي بن حاتم الطائي رسول الله يقرأ الآية ، وكان عدي قد تنصر في الجاهلية ، فقال يارسول الله انا لم تتخذهم اربابا من دون الله ، ولم نعبدهم قال رسول الله ﷺ « أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونهم ؟ ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه » قال قلت بلى قال « تلك عبادتهم » رواه احمد والترمذي وكثير من المفسرين

فجعل الطاعة في التحليل والتحريم عبادة لانه متضمن للذل والخضوع ، ويفيد ان العبادة والشرك يكونان فيما دون اعتقاد الشركة في الخلق والايجاد . قال تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون) نزلت لما حرم الاسلام كل

الميتة ، وكان أهل الجاهلية يأكلون الميتة . فقال للشركون المسلمين : أنا كلون ما ذبح محمد وأصحابه ولا تأكلون ما ذبح الله ، وكان هذه الشبه الشيطانية حلت من قلوب الضعفاء من المسلمين محلا ، فنزلت تهديداً وانهم أن أطاعوهم فقد أشركوا ، وإن لم يعتقدوا مع الله خالفاً . وقال (أم لهم شر كما شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال (فلا ، وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقال (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال أيضاً (فأولئك هم الظالمون) (فأولئك هم الفاسقون) وقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين * وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفى قلوبهم مرض ؟ أم ارتابوا أم يخفون أن يحيف الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)

فإذا جعل الله عصيان الرسول وعدم الرضا بما حكم به شركاً وكفراً ، وإن لم يعتقد العاصي لله شريكاً فأجدر بأن تكون الضراعة والاستغاثة بالموتى شركاً ، لا غرابة فيه لا من العقل ولا من النقل . وإذا كان بعض الفقهاء يقولون في كتاب الردة : أن المسلم يكفر بالامر الحقيق حتى قال بعضهم أن تصغير المسجد والمصحف بأن يقول مسيحد ومصيحف ، وتصغير كل شعيرة دينية كفر ، والفاعل مرتد . فكيف يستبعد أن يكون الاستنجاد بالخالق المستنزم الذل والاستكانة لهم مع الله كفراً ؟ وفي الحديث الذي رواه النسائي أن رجلاً قال لرسول الله : ما شاء الله وشئت فقال له « أ جعلتني لله نداً ؟ قل ما شاء الله ثم شئت »

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه أنه عليه السلام قال

« من حلف بغير الله فقد أشرك » وفي البخاري ومسلم انه عليه السلام قال « من حلف باللات فليقل لا إله إلا الله » قال بعض العلماء انه كفر ، ولا إله الا الله ترجمه إلى الايمان ، والحديث الذي قبله يدل عليه

وروى مسلم انه عليه السلام قال « اثنان في الناس هما شرك : الطعن في الانساب ، والنياحة على الميت » وروى الحاكم وصححه والامام احمد انه عليه السلام قال « من جاء كاهنا او عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » وفي مسلم « من أتى عرافا لم تقبل له صلاة أربعين يوما » وفي البخاري ومسلم قال عليه السلام « لا ترغبوا عن آبائكم فان الرغبة عن الآباء كفر ، أو من رغب فقد كفر » وفي صحيح مسلم قال عليه الصلاة والسلام « اذا أبق العبد من مواليه لم تقبل له صلاة — وفي رواية فقد أشرك » . وفي البخاري انه عليه السلام صلى بالناس العجبر ثم التفت اليهم فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم البارحة ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « قال أصبح من عبادى كافر بي مؤمن بالكوكب ، ومؤمن بي كافر بالكوكب ، من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب . ومن قال مطرنا برحمة الله فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب » . وفي الحديث الذي رواه الترمذى ان الرسول ﷺ قال « ان الرقى والتمايم والتوالة شرك » وفي الحديث قال ﷺ « الشرك في أمي أخفى من ديب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء »

وجاء في تفسير قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) عن بعض السلف — ان من ذلك أن يقول ماشاء الله وشئت ، وقولك لولا فلان لهدكت ، ولولاه لحيت ، ولولا البط في الدار لا تأنا للصوص . وفي البخاري ومسلم قال ﷺ « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » وقال « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وهذا كله يفيد ان

الكفر أنواع كثيرة، غير اعتقاد الخالق لغير الله، وإن الشيء القليل قد يخرج العبد من الاسلام من حيث لا يدري، فلا يهول إذا قيل إن الاستغاث بالخلق شرك وقد أجمع المسلمون إن الاستغاث بالله وسؤاله عبادة، وحقيقة الشيء لا تتغير باختلاف النسبة فإذا صرفت لغير الله كانت له عبادة كما هي لله عبادة إذا صرفت له بقي علينا الاعتراض الذي أورده والالزام الذي خاله مسكتنا معجزاً.

والجواب عليه إن نقول:

(الاول) أن يقال هذه الصور والامثال التي أتيت بها وعارضت بما أن تكون دل الدليل على أنها ليست شركاً أو لم يدل، فإن كان الثاني فلا يصح أن تعترض بما لم يصح، وإن كان الاول بأن دل الدليل على جوازها وأنها ليست شركاً بلى حسنة مطلوبة مجمع على حلها وحسنها، فالخرج لنا أن نقول: هذه الاشياء المذكورة ليست شركاً وإن كان مثيلها شركاً لأن الشرك ما جعله الله شركاً والايان ما جعله الله ايماناً والعقل لا يحسن ولا يقبح. فلو أباح السجود لعبد من العباد لكان صحيحاً مطلوباً، كيف لا ومذهب أهل السنة الذين يعدهم المعتض أهل الحق:-

إن القبيح ما قبحه الشرع والحسن ما حسنه الشرع ولا حكم للعقل مع الشرع مطلقاً وهو خلاف قول المعتزلة. فالدين قال لنا لا نعبدوا إلا الله وأفادنا أن الدعاء والاستغاث عبادة، وقلنا كل استغاث وعبادة يتعتم قصرها على الله. واستثنى لنا أموراً من ذلك هي في الحقيقة ليست من قبيل ما حرم إلا بفرض المجادلين بالباطل —

فقلنا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)

ألا ترى كيف كان السجود جائزاً في شريعة يعقوب وأبنائه لغير الله كما سجد يعقوب وأبناؤه ليوسف وكما سجد الملائكة لآدم، وقد جئنا الشيخ بما لم يحسب ولم يخطر له على بال، وكأني به قد أسقط في يده وعض على أرمه وسقط

على وجهه وفيه ولكن لا بأس (فربما صحت الاجساد بالعلل)

وربما كان مكروه النفوس الى محبوبها سبباً ما مثله سبب

ولعل الله ان يجعل ذلك سبباً لهداية الشيخ فيكون من المؤمنين الموحدين المفلحين

(ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد أن يضله يجعل صدره

ضيقاً حرجاً كأنما يصعد من السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)

*

**

ننتقل الى تقسيمه الثاني ، قال بعد القسم الاول :

هذا كله إن كانوا يقولون انها ممنوعة من حيث انها استغاثت بغير الله كما

فرضنا ، فان قالوا ان الاستغاثه والتوسل بالاموات شرك دون الاحياء ، قلنا لهم

لا معنى لهذا بعد أن سلمتم ان الاستغاثه بغير الله من الاحياء ليست شركاً وبعد

ماورد في القرآن ووقع عليه الاجماع في كل زمان ومكان ، ولا معنى لكوت

طلب الفعل من غير الله شركاً تارة وغير شرك تارة أخرى فان فيه نسبة الفعل

لغير الله على كل حال اهـ

نعم نقول: الاستغاثه بالاموات شرك دون الاحياء اذا كانت الاستغاثه بالاحياء

فيما يقدر عليهم . كالأمثله التي ساقها الشيخ ، مما جرت سنة الله تعالى به . أما

الاستغاثه بهم فيما لا يقدر عليهم ، وما لم تجر به العاده كان يكونوا بعيدين

لا يسمعون ولا يباشرون المعونه بأنفسهم أو بسبب من الاسباب الظاهره . فهي

كالاستغاثه بالاموات شرك . وقد ثبت بطلان ذلك من الدين والعقل

وأما قوله : لا معنى لهذا بعد أن سلمتم انها في الاحياء ليست شركاً - فقول

عاطل من الدليل لا يقبله عاقل ، وما برهانه على انه لا معنى له ؟ أهو قوله لا معنى له ؟

مأملنا حتى الآن ان مثل هذا برهان . وكل احد قادر على مثل قوله ، فلو كانت

الامور تبطل بمثله لم يبق حق ، بل كان قوله هذا باطلاً - قبل كل باطل . لانه

يمكنني ان أقول كما قال: لا معنى لهذا ولا وجه له فيكون قوله باطلاً وما مقالته هذه إلا كقالة من رأى من يدعو كافراً ميتاً ويستغيث به فقال له كيف تستغيث به وهو ميت ؟ فقال المستغيث: أليس قد كان وقت حياته يجوز الاستغاثة به ؟ فقال الناهي نعم ، فقال المستغيث: لا معنى لكلامك إذاً ونهيك بعد أن جوزت الاستغاثة به حياً . فهذا الشال كقول المعترض تماماً (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)

وكن قل لخدم له - قد مات : ناوطني غذائي مثلاً ، فقال سامعه: أنطلبه ميتاً ؟ فقال أليس حينما كان حياً كنت اطلبه ؟ فقال نعم . فقال لا معنى إذاً لانكارك ؟ هذا مؤدى كلامك أيها الشيخ العقلي الكبير ، ونسألك سؤالاً عاك تفيق من غفلتك ، ونثوب إلى رشدك- هل يجوز أن تذهب إلى شيخ الازهر الحلي القائم عليه الآن وتقول له : طالب الحكومة باقامة كذا من امور الدين وبإبطال كيت من الفواحش ؟ لاشك أنك قائل بجوازه ، وأقول بعده : هل يجوز مثله أن تذهب إلى شيخ الازهر السالف المتوفى ، كالشيخ أبي الفضل الجيزاوي ، أو الشيخ حسونة النواوي أو الشرقاوي مثلاً وتقول له كما قلت للشيخ الحلي ؟ أن يطالب الحكومة باقامة الدين وإبعاد الكفر ؟

فان قلت يجوز ذلك مع الشيخ المتوفى ، فقد ساعدت على نفسك خصمك ، وقلت مالا يقال ، وان قلت لا يجوز ، قلتُ لا معنى لقولك بعد ما جوزت ذلك مع الحلي

*
* *

وأما قولك : وبعد ماورد في القرآن- فقول من أبطل الباطلات وأفسدها ، فأية آية قلت : استغيثوا بالأموات واستجدوا بالهالكين ؟ أي قوله تعالى (وما انت بمسمع من في القبور) أم قوله (انك لاتسمع الموتى) أم قوله (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) أم قوله (ان الذين تدعون من دون الله عباد

أمثالكم فادعهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين * ألهم أرجلهم بشون بها ؟ أم
 لهم أيديهم يطشون بها ؟ أم لهم أعينهم يبصرون بها ؟ أم لهم آذانهم يسمعون بها ؟ أم
 قوله (ولا تدع من دون الله مالا ينفك ولا يضررك فإن فعلت فانك إذاً من الظالمين)
 أم آية نسخت أو نسيت لم يعلم بها غير الاستاذ ؟ فلرجاء منه إثباتها ، أم عند
 الشيخ قرآن غير ما عند المسلمين فليظهره للناس لينتفعوا بما فيه ؟ أم هو التحريف
 والتبديل ، وتحميل الآية بالهوى والعصبية ما لم يحملها الله ولم يعرفه السلف المتقون ؟
 أم هو على نحو ما قال الله تعالى (قويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون
 هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، قويل لهم مما كتبت بأيديهم وقويل لهم مما
 يكسبون) أم القلم طاش ونبا ، وضل الفكر وكبا . والهدى هدى الله

*
 * *

وأما قوله : وبعد ما وقع عليه الاجماع في كل زمان ومكان . فقول يعوذ منه
 كل زمان ومكان ويضحك منه كل زمان ومكان ، ويبطله كل زمان ومكان .
 وياليت شعر الشيخ أكان الصحابة يدعون الاموات في كل زمان ومكان ؟ وهل
 كان التابعون يدعون الاموات في كل زمان ومكان ؟ وهل كان الذين من بعدهم
 الى يومنا هذا يدعون الاموات في كل زمان ومكان ؟ وحتى في بيت ومكان شيخ
 الاسلام ابن تيمية وابن عبد الهادي وفي بلاد الحجاز ونجد في كل زمان ومكان ؟
 لا ندري كيف يكتب الشيخ وكيف يتشجع على الخطأ شجاعه لا يتشجعها عنتره
 في الهيجاء ، ويرسل الالفاظ رسالا غير ناظر الى أعقابها ولا صدورها ولا مبال
 بنديتها ونتائجها ، ولست أدري هل كان مسيلة اليامة وغنسى ثقيف يخاطران
 بالاقوال مخاطرة كاتبنا هذا ؟ فنسأله بالله الذي عظم الصدق ، وبجل الامانة ، وحذر
 الكذب ، أن يأتينا بدليل ان عصرنا من الأعصر البعيدة او القريبة اجمع على ذلك
 فضلا عن كل العصور ، وأيم الله أن الشيخ الدجوي يعلم ان إبصاره الشمس رآد

الضحى وشباب النهار ، ورؤيته الهلال في عنفوان تمه ، وكال بدوره لأقرب
اليه من إثبات ذلك ، وأنه لن يستطيع الى ذلك سبيلا

وأما قوله لا معنى لكون طلب الفعل من غير الله تارة شركا وتارة غير شرك
فان فيه نسبة الفعل على كل حال لغير الله اه
(وبعد) فاسمع ما يقول لك ابو الطيب :

وكم عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

فياحكيeman الزمان وياسواد بصر العرفان ، من قال قبلك هذه المقالة ؟ والحكم
على الشيء تارة بالشرك وتارة بالايمان وأوانا بالحل وحيناً بالحرمة ؟ وكيف لا تدرك
أن الفعل يحسن حيناً ويقبح آخر ، ويحمد في شخص ويذم في آخر ؟ ان هذه
المقالة جارية على اغلب الاشياء ، وأي عقل عندك او نقل يبطلها ؟ واني اسألك
اموراً والجواب عنها فأقول :

هل تعقل ان طلب الفعل من غير الله تارة يكون حراماً وأخرى حلالاً ؟ بل
ويكون واجباً ، فان عقلت ذلك ، فمالك لم تعقل ان يكون تارة شركا وطوراً غير
شرك ؟ وان لم تعقل ان الطلب من غير الله يحل ويحرم ، ويحسن ويقبح خالفت
الاولين والآخرين ومذهبك وكتابك ، أليس طلب المال إن كان عند الانسان
مايكفيه حراماً ، وطلبه فقيراً مضطراً حيناً يجب وحيناً يستحب ، وطلب العلوم
لا يكون حراماً بل طلب العلوم حيناً يكون حراماً وحيناً مستحباً او واجباً ، وطلب
المرء من اهله قضاء الحاجة جائز ، وقد يستحب ويجب ومن غيرهم حرام ، وسؤال
الرسول عليه السلام لو كان حياً ان يخدمك كأن يسقيك مثلاً او يقدم لك الغذاء
منكر بل قد يكون كفراً ، وسؤالك ذلك ممن هو اصغر منك لا باس به اذا لم يكن

كارها ، بل سؤالك تلك الاشياء اذا كنت قادراً على الاتيان بها بنفسك حرام ،
وجائز اذا كنت مريضاً عاجزاً . وطلب العون من الكفار عند كثير من العلماء
حرام لقوله في الحديث الصحيح « إنا لا نستعين بمشرك » وهو بالمسلم جائز او
واجب . واستشارة الاعداء في غير الحروب حرام لاتصح ، وهي من المسلم جائزة
او واجبة ، وأن طلب عدوك ان يتولى رآسة دينك والسيطرة عليه حرام قطعاً ،
ولكنهما من المؤمنين مطلوبة وغير ذلك ، وهذا امر ظاهر لا يفتقر الى التمثيل ولكن
لكل مقام مقال ، ولكل انسان خطاب

واقول ايضا : ماذا ترى ؟ هل يصح ان آتي الولي الصالح الحي او الميت وأقول
له : أعد ابني واخي الى الحياة بعد ان ماتا ، واقول له زدني في طولي او عرضي
مثلاً ، او صير زوجي لا تلد الا الذكور ؟ هل يجوز ذلك او يحرم او يستحب
أم يكون شركاً ومروقاً من جميع الاديان والعقول ؟

فان قلت يجوز فلن تجد موافقاً ، وان قلت انه كفر ومروق فقد بطل
إنكارك ، وسقط مقالك ، وان قلت انه حرام قلنا : مامعنى ذلك وما سره ؟ كما
قلت انت ان طلب بعض الافعال من الخلق حسن واجب حيناً ، وكذا لو قلت
ذلك مكروه ، وهذه مخاطبة كخطبتك

وبقال ايضا : كيف ترى لو نادى مسلم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
وامثالهم من المعبودين ، فطلب بعض شؤونه وحاجاته منهم ؟ فان قلت ذلك شرك او
حرام بطل إنكارك ، وان قلت جائز ولا بأس به خرجت من زمرة المسلمين
والعقلاء ، وخوطبت مخاطبة الآخرين

وأما قوله لان في الكل نسبة الفعل الى غير الله على كل حال . فهو تعليل عليل
لا يدفع وارداً ولا يورد مدفعاً ، وهو مبني على مقدمات في أقصى السقوط . وعمدتها ان

الافعال نسبتها الى العباد واحدة و اضافتها إلى الخلق متساوية ، وقد سبق فسادة .
وان آخر الادوار مع الاستاذ ان نطالبه الدليل في ان نسبة الافعال الى
غير الخالق تعالى سواء ، ولن نجد دليلا . اننا لو قلنا السماء من خلق رسول الله
كننا ضالين كاذبين وهو ردة باجماع العلماء ، ولو قلنا هداانا رسول الله وأبان لنا
الطريق الواضحة كننا صادقين مصدقين ، ولو قلنا نزل جبريل بالكتاب كننا
صادقين ، ولو قلنا خلق جبريل محمداً رسول الله ﷺ كننا ضالين باتفاق المسلمين
بل كافرين ، بل مجانين . فاني يصح بعد ذلك تعليله بان في الامرين إضافة الفعل
إلى العبيد ؟ وكيف يصالح ان يكون هذا دافعا للحكم على ان بعض الافعال نسبتها
لغير الله شرك وبعضها ليس شركا ، كما يكون بعضها حراما وبعضها حلالا؟؟!

ان نتائج كلام هذا الشيخ تقضي على الدين وعلى الدنيا مرة بل تقضي على العقول ،
وانا نوجه له سؤالا واعتراضا لا يخلص منه مادام على مقدماته : ماحكمك على مسلم
يسب الله ورسوله ؟ تحكم عليه بالكفر اول ماتسمع ، أم تتوقف حتى تسأله عن
قصده ، ام لا تكفره مطلقا ؟ فان قلت أكفره حين أسمعه من غير توقف ، بطل
أصلك الذي جوزت لاجله الشرك وهو القرينة التي بها اتصال ويخول وتسوغ للناس من
اجلها ان يضيفوا أفعال الله الى العباد ، حتى اذا قيل لك ذلك قلت متبجحا ثاني
الجيد : هذا مسلم وكلامه هذا مجاز عظيمك على حد قولنا : أنبت الربيع البقل ، وجرى
الوادي ، لا أجرى الله وادي كلامك ولا أبقت أرضه . وإن قلت أتوقف في
الحكم عليه إلى ان أسأله عما يريد فقول باطل من وجوه :

(الاول) انه لا يمكن ان تحكم عليه اذا بالكفر والردة لانا اذا فرضنا انه
قال عند سؤاله عن غرضه : أريد ظاهر العبارة ، جوزنا ان قوله اريد ظاهر العبارة
أيضا مجاز ، وأنه لم يرد ظاهرها على قولك أنبت الربيع البقل ، وجرى الوادي ،
وهكذا يتسلسل القول فلا يمكن معرفة مقصده

(الثاني) لو كان الامر كما ذكرت لكان من قذف المحصنات لايقام عليه الحد لو قال بعد قذفه لم أرد حقيقة الكلام ، بل انما أردت المجاز ، بل يلزم ألايقام عليه حد القذف حتى تسأله عن مراده ، وكذا الشهود في كل شيء ، بل لو شهد الانسان على نفسه لانسأت آخر بشيء كما لو أقرب بما او غيره لا يحكم به ، ولا يؤخذ بظاهر كلامه . ولا يخفى ما فيه

(الثالث) انه خلاف قول العلماء فانه لم يقل به أحد ، بل قالوا في باب الردة من قال كذا وكذا او كذا حكما عليه بالكفر من غير توقف ولا تجويز

(الرابع) هذا خلاف المعلوم من الاسلام والاديان والعقول بالضرورة (الخامس) وهو خلاف ما توارد عن المسلمين كافة ان من يسمع من ينطق بالكفر يحكم عليه بالكفر من غير تفصيل ولا تجويز مجاز ، وإن قلت لأحكم على ذلك الرجل بشيء فقد عرف بطلانه بالضرورة .

نقول للشيخ بعد هذا : أظهر افضلية العلامة الفيلسوف ان هذا الحصن البقلي الذي كنت تتقى به وتعتصم ، وتدفع من ورائه في إعجاز القرآن وصدوره ونووي اليه معك المشركين السائين لله والمحقرين لرسوله وشرعه ، — مقام على الماء او الهواء لا يأوى اليه إلا من فقد الذكاء ؟ !

ثم قال - رحمه الله - وإن قالوا انا لانعتقد التأثير الذاتي من الاحياء الذين نطلب منهم المعونة ؟ قلنا يجب اذاً ان تجعلوا مناط المنع هو التأثير الذاتي لغير الله لا فرق بين الاحياء والاموات ، فان وجد ذلك كان شرّاً وإلا فلا ، سواء كانت الدعوة لحي او ميت ، وإن كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التي تفهم من ظواهر الالفاظ وجب ان يكون ذلك كله شرّاً ، حتى طلب الرجل من أخيه ان يعينه في الحمل على دابته او بناء داره ، الى غير ذلك كما أوضحناه في الفرض الاول اه كلامه

أما قوله : وإن قالوا لا نعتقد التأثير الذاتي - فظاهره أن التأثير ينقسم إلى ذاتي وغير ذاتي ، وأن الذي ينكره الشيخ هو التأثير الذاتي وما اظنه يدري الفرق بين التأثير الذاتي وغير الذاتي فهي عبارات تحتاج إلى رسول من عند الله يفسرها ، ولكننا نحمل كلامه على مذهبه ، وإن كان متناقضاً ومتحارباً لا يمكن إيقاع السلم بين أوله وآخره وهو يرى أن العباد لا فعل لهم ألبتة والفعل لله وحده ، ويثبت لهم الكسب الذي يقوله الأشعري والشيخ يقوله ولا يدريه ، ومحال أن يقدر على معرفته وإثباته إلا أن يقول العبد : ما جاء كالريشة في الريح ، أو يقول بقول المعتزلة ؟ فنقول مقصده بالذات هو مذهب المعتزلة ، وهو اعتقاد أن العبد خالق لأفعاله ، مقابل مذهب الأشعري القائل بالكسب فقط ، وعبارته قد يفهمها من لم يقرأ كلامه ويسبر مرامه — أنه يريد بالذاتي قول الفلاسفة وهو أن العبد مؤثر بالطبيعة ، والظاهر أنه لا يريد هذا وهو قاصر الكلام ، مختلف التقسيم لم يتكلم على ما إذا اعتقد أصحابه بالتأثير الذاتي المقصود أنه هنا والتأثير الذاتي على رأي الفلاسفة . ولم يأت بدليل على أن اعتقاد الفلاسفة باطل ، ولو قال له أعداؤه الذين رد عليهم : نرى التأثير الذاتي ، هل يستطيع إفساده ؟ فكلامه غير نافع ولا كاف في الإبطال حتى ولو أبطل الأقسام المذكورة كلها لأن هنا قسماً لم يبطله

وقوله : فإذا يجب أن تجعلوا مناط المنع هو اعتقاد التأثير الذاتي ، فإن وجد ذلك منع وكان شرّاً وإلا فلا ؟ سواء كان المطلوب حياً أو ميتاً الخ . تفريع لا يعقل ، وإلزام لا يقبل ، إذ يقال سلمنا أنه لا تأثير للعباد ذاتي ، فكيف يلزم منه أن نعتقد أن السبب المانع من التوسل والاستغاثة هو اعتقاد التأثير الذاتي ؟ هذا منطق غريب ! فما المانع من قولنا لا تأثير ذاتي ، ولكن نمنع التوسل بالخلق والاستغاثة بهم لأسباب أخرى ؟ فهل لديك ما يبطل قولنا : العباد لا فعل لهم ولا عمل وهم مجبورون وإن شئت كاسبون ، ولكننا مع هذا نمنع التوسل ونبطله ؟

إما لأجل العبارات الظاهرة الفساد والشرك المسموعة من المتوسل أو من اتجاهه إلى المخلوق الاتجاه القلبي المدلول عليه باللسان ، فلاجل ذلك احكم هذا الحكم ، أو نقول جميل الله ذلك شركا وهذا غير شرك فتبعتها ، أو نقول هنالك دواع أخرى دعت إلى المنع غير اعتقاد التأثير الذاتي

وأما قوله : سواء فيه الاحياء والاموات فقد سبق بطلانه

وقوله : فان وجد ذلك الاعتقاد كان شركا وإلا فلا ؟ يفيد أمرين :

(الاول) ان اعتقاد التأثير لغير الله شرك وكفر ، فن قال ان العبد يخلق أفعاله كان لدى الشيخ ككفرأ مشركا ، فالمعتزلة عنده اذا كفار لاحظ لهم في الاسلام وهي مقالة شيعة أوجبت ان يكفر أغلب الامة الاسلامية وغول العلماء من المعتزلة الذين لهم في نصرة الاسلام المواقف المشهورة ، والايادي المشكورة . بل كثير من أهل السنة يقول بخلق العباد أفعالهم كابي بكر الباقلاني وامام الحرمين وغيرهما كما سبق فهذا الشيخ الدجوي قد كفرهم وهو يشعر او لا يشعر ، فالعياذ بالله من الجرأة والهجوم من غير تبين .

ثم هو مع ذلك لم يأت بدليل واحد على ابطال مذهب القائلين بذلك ، ومع هذا وذاك أغلب أهل السنة المحققين لا يكفرون المعتزلة ، ومنهم من لا يكفر أحداً من أهل القبلة كالشيخ فخر الدين الرازي وأبي الحسن الاشعري والغزالي وأمثالهم من الفحول فصاحبنا هذا لا أهل السنة اتبع ولا الفلاسفة وافق ، بل صار اماما بنفسه مجتهداً إلا ان اجتهاده جاء بالجهد ، أو على الاصح اجتهاد مقلوب

الامر الثاني ان يكون على هذا القول من لم يعتقد التأثير الذاتي لغير الله لا يكفر مطلقا ويكون في أمان من الشرك ، ولو وطىء المصحف برجله او نسب الظلم إلى ربه ، مادام لا يعتقد التأثير لغير الله ، وكذا لو أنكر الصلوات الخمس والصيام والحج وجميع الشرائع مادام مفرداً الله بالخلق

ثم قل المعترض : وإن قالوا اننا ننسب تلك الافعال والتأثيرات إلى غير الله من الاحياء معتقدين ان الخلق والايجاد لا يكون إلا الله تعالى ، وان الحق ان العبد ليس له إلا الكسب لا غير ، قلنا لهم كذلك من يطلب من الاموات او يتوسل بهم ، والقرينة فيهما واحدة ، وهو إيمانه بان الله بيده ملكوت السموات والارض واليه يرجع الامر كله ، وان ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه لا خالق غيره ، ولا موجد سواه . اهـ

الجواب : هبنا قلنا كما تقول : ان العباد الاحياء ليسوا فاعلين ، والفعل كاه الله ، وليس لهم إلا الكسب الذي ليس له حاصل ، ولكن هذا لا يفيد في جواز دعوة الاموات لامور :

(الاول) انا لانسلم أن للاموات كسباً ، بل هم (أموات غير أحياء وما يشعرون أياهم يبعثون) « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »

(الثاني) جعل الله هذا شركاً وحرماً ، وهذا جائزاً وحلالاً ، فجعل دعوة الاموات شركاً ، ودعوة الاحياء جائزة وحسنة ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (الثالث) دعوة المخلوق جميعها خلاف الاصل وخارجة عن المعقول لديك لان العباد لا فعل لهم مطلقاً ، وليست لهم قدرة ، ولا تقديم ولا تأخير ، والفعل كاه الله ، ودعوة من هذه حاله ليست معقولة إذا كان الامر كما ذكرت ، فلا تخرج عن المعقول إلا بدليل . أما الاحياء فالادلة على دعوتهم متفق عليها . وأما الاموات فنحن وأنتم فيها مختلفون . فلا نوافق عليه إلا بدليل

(الرابع) إذا سلمنا التسوية بين الفريقين في الكسب ، وان كلا ليس له فعل ، لانسلم المساواة بينهم في الدعوة ، لان في دعوة الاموات ضرراً وفساداً يدركه العقلاء ، وان لم تدركه أنت بخلاف الاحياء ، فعليك اثبات نفي الضرر الدنيوي والديني

(الخامس) أن دعوة الميت فيها فساد وخطر على العقيدة دون الحي، ويفيد ذلك أمور:

(الاول) ان الناس إذا زاد اعتقادهم في الحي وغلوا فيه نهام الحي عن ذلك وزجرهم بخلاف الميت إذ لا يستطيع نهيمهم، مثال ذلك ان معاذ بن جبل لما سجد للرسول عليه الصلاة والسلام حيا نهى وقال «لا ينبغي السجود لغير الله، ولو كنت أمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» ومنه ان جوار كن يعنين والرسول يسمع فقات واحدة «وفينا نبي يعلم ما في غد» فقال له عليه السلام «قولي كما كنت تقوين ولا تقولي هكذا» ومنها أن رجلاً قال له عليه السلام: ماشاء الله وشئت، فقال «أجعتني لله ندأ؟» ومنه أن وفداً جاءوا اليه عليه السلام فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا فقال «إنما أنا عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله بها» وقال في رواية «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان» وجاءه رجل فقال: إنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فأنكر عليه كل الانكار وقال «شأن الله أكبر من ذلك، انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه» وكانوا يأتون الرسول عليه السلام ويسألونه عن الساعة ظناً انه يعلم الساعة فكان يرشدهم انه لا يعلمها إلا الله، انظر إلى النصارى هل عبدوا المسيح إلا بعد موته واعتقدوا فيه العقيدة الشنعاء؟ ولو كان حيا عندهم لنهاهم وزجرهم، وأظهرهم ما يحل اعتقادهم فيه، وكذلك اليهود في قولهم عزيز ابن الله، وكذلك قوم نوح ما عبدوا وداً ويعقوب ونسراً إلا بعد موتهم في البخاري وغيره عن ابن عباس (رض) انهم رجال صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا صوروا صورهم، وعكفوا على قبورهم، ثم عبدوهم، وكذلك معبودو العرب كاللات وغيرها، ما عبدوا إلا بعد ان ماتوا، وبين أيدينا ووراءنا وعن شمالكنا وأيماننا من هذا الجنس كثير. وقد اشار اليه الحديث الصحيح «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا

يارسول الله اليهود والنصارى قال «فن القوم الاله»

(الثاني) ان الميث غائب مع نسبة العجائب اليه والنوادر الغريبة له ، فيتوهم العامي - بل والعالم الذي ليس له من العلم إلا ذلك اللباس الواسع وضخامة العمامة ، ولكن عقله وعلمه لا يزيدان عن العمامة لا قليلا ولا كثيرا ، بل ربما كان اقل عقلا وعلماً فكثير من هؤلاء يعتقدون ان الميث له سلطة غيبية وقوة جبارة فوق قوة الانسان ، لانه ما علم غائبا إلا ذا قوة وجبروت ، كلاله والملائكة والجن والشياطين . والناس مصابون بالقياس كما قاس صاحبنا الميث على الحي ، والحي مشاهدته تضعف الافتتان به ، اذ يشاهد انه ياكل ويشرب ويجوع ويعرى ويبرد ويضحي وتصيبه العوارض الانسانية ، وهذه كلها تضعف الاعتقاد به ويمنع ان يغلو فيه ، ولهذا نهى الاسلام عن البناء على القبور والكتابة عليها ورفعها ، وأمر بهدمها حذار الغلو فيها ، ونهى عن زيارتها في اول الامر لما كان في الجاهلية من الفتنة الشريكة بها ، وعن تصوير الصالحين وغيرهم ونهى عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، وعن الصلاة الى القبور وتجاهها خوفا من كل ذلك

ولما رأى عمر الناس يذهبون يصلون عند شجرة كان بايع عندها رسول الله ﷺ امر بقطعها وقال : انما هلك من قبلكم بمثل هذا . وأنت تشاهد الناس في كل صقع يفعلون في ارباب القبور والمقامات ما لا يفعلون معشار في اعظم الاحياء ، ولا يفعلونه بهؤلاء الاموات لو كانوا احياء من النذور والقرابين والالتيان اليهم من مكان متعب بعيد ، والخضوع والخشوع بين ايديهم اعظم من الخضوع بين يدي الله في الصلاة ، والخوف منهم والاقسام بهم ورجائهم ، واعتقاد ان الصلاة مضاعفة لديهم مقبولة ، فهل وجد حي اعتقد فيه الناس كما يعتقدون في الامام الشافعي في مصر أو السيد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة واحمد البدوي وغيرهم ، وكاعتقاد اهل بغداد في عبد القادر الجيلاني وغيرهم وفي كل صقع وبلد

وقد سمعت من الثقات في بغداد ان رجلا من علماء الهند ذهب الى بغداد
 فرأى عند قبر الشيخ الجبلي رجلا دخل القبر مدعنا متمسكنا ، وسجد على
 عتبة القبر مستقبلا الشيخ الجبلي ، فاشتد غضب الهندي وأخذته الغيرة التوحيدية
 فوطيء عنق الرجل وكاد يجره ، فاشتد غضبه الى رئيس السدنة وكان عالما ، فأعجب
 بفعل الهندي وناجاه سرا ، ان ما فعلت هو الحق والهدى ، وهو مادعاليه الاسلام ،
 والذي فعله هذا عند القبر مخالف للدين ، ولكن منصبتنا قضى علينا بالسكوت
 على ما ترى ، وكنت أيضا مارا منذ ستة أعوام ببغداد فدخلت مسجد الشيخ
 عبد القادر بعد صلاة الفجر ، فسمعت رجلا في صحن الجامع بعيدا عن المقام
 يخاطب الشيخ بالهجة شديدة وغضب محترم يقول : له كيف ما حيتني من السارق ،
 كيف تركت اللص يعدو علي ، وكان ذلك الرجل المسكين نائما في الجامع
 فسرقت نقوده ، فطفق يخاطبه وينكر عليه ، إذ لم يحفظه من السارقين . كأنه
 على كل شيء قدير ، ولعله ما نام هناك إلا احترازا لما وقع فيه ، ولو كان الشيخ
 حيا ما كان قادرا أن يدفع عن نفسه الجناة ، ولا كان عالما بهم بل خائفا من
 سطوتهم ، فالرسل عليهم السلام قتلوا وجرحوا ، وأخرجوا من ديارهم ، فما
 استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم ، وما دهي هذا المسكين إلا ما يراه ويسمعه من
 تهافت الناس على المقام ، ودعائهم إياه حضورا وغيبا ، ولو كان الشيخ عبد القادر
 حيا ما كان هذا الرجل يطالبه حتى ولو كان نائما معه ويجواره ، وأغلب المسلمين
 اليوم اذا دعاهم خطب ، واستقبلهم كرب ، كأن يهيج بهم بحر ، أو يعدو عليهم
 عاد من حيوان أو انسان في بر أو بحر تجدهم يلحفون بدعوة الاموات
 والانتقام اليهم ، ولا إخال الشيخ وغيره من المكابرين بالباطل أو النصفين يجهل
 ما يحصل عند قبر الامام الشافعي رضي الله عنه من كتابة الرقاع والشكايات اليه
 وكذلك ما يحصل عنده يوم الكنسة من التبرك بالعمامة الموضوعة على التابوت الخشب

صالح عمره
 ١٨ سنة

التي هي قاش صنمه افرنجي وانقضى الزمن الطويل وهي على ذلك الحشب لم تمس
جسم الامام الشافعي اصلا . هل يقول لنا الشيخ واخوانه ان الشافعي رضي الله عنه
لو كان حياً يقرهم على فعل هذا ؟ وانه كان يحاربهم بالسيف ويقطع تلك الرؤوس
الفاسدة المفسدة الضالة المضالة التي لا تفقه ولا تعي والتي تغر الجبهة وتنزل بهم الى
مكان من الشرك سحيق ؟ i

(الثالث) ان الميت اذا أقيم على قبره قبة رفيعة وبناء عال . يؤثر في النفوس
الضعيفة تأثيراً عظيماً والناس مغرورون مفتونون بالمظاهر والجمال ، فاذ جاء الجاهل
وأغلب الناس جهال ، ورأى هذا المقام الفخم المزوق بالزينة الباهرة ، والسرير
المضاء ، والاولوية المنشورة ورأى الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم رجالا
ونساء ، ما بين صادر ووارد ، عظمت فتنته ، وزاغت عقيدته في اندفون ، وهذا
لا ينكره إلا من لم يعرف من الحياة شيئاً كصاحبنا

(الرابع) ان الناس من العامة وأشباههم يظنون ان الولي بموته أخرجت روحه
من السجن الضيق وهو الجسم وحلت من قيوده فأخذت تذهب كيف شاءت ،
وتتصرف فيما أرادت ، وتفعل ما أحببت ، وكانت في البدن ضعيفة مهينة بسبب
علائقه وعوائقه وشهواته ، فلما خلصت منه صارت قوية فعالة ذات تأثير عظيم ،
وجولان في فسيح الكون . والشيخ كرر هذا المعنى في مواضع من كلامه ، ثم
ناقض وتناقض ، وضارب وتضارب وسيأتي ، وقال انه لا يعقل ان يعتقد الناس
في الميت أعظم مما يعتقدونه في الحي ، وهو يدل وايم الله انه لم يعرف من نفوس
الناس ولا انفسهم شيئاً أوعلى الاصح يعلم ويماري فيما يعلم للعصبية والهوى وعدم
الاستنارة بصحيح ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والائمة المهتدون وبأن
الذي يكتبه ليس علماً ثابتاً بل خطرات متموجة متشاكسة

(الخامس) أنهم يرون ان الصالح ذهب لدى ربه في الملوكوت الاعلى في مصاحبة

الملائكة والانبياء اذا مات وأنه هناك في عالم أعلى وأظهر من علمنا ، فمن ذلك
تقسوه عقيدة الناس في الاموات ، إذ يعتقدون أنه حصل له من القوة والفعل
ما لم يكن له حيا

(السادس) ان الاموات بعيدون عنا إما في الجنة وإما في النار ، لاندرى
أيسمعون ام لا يسمعون تساهلا ، وإلا فنحن جازمون أنهم لا يسمعون بخلاف
الاحياء القريبين ونهايتهم ان يكونوا كالاحياء النائيين ، ومن ذا يجوز دعوتهم
ما لم تكن هناك آلات تحمل الاصوات

(السابع) ان نسبة الانسان وطلبه من الاحياء واسناده الاشياء إلى الذين
قامت بهم وظهرت على أيديهم وجعلنا ذلك مجازاً غير حقيقة والقرينة هي الايمان
الذي نعرفه من الشخص المنادى له مبرر وهو مارآه من المظاهر والاعمال البارزة
على يد الحي فهي سبب يحمل على المجاز وعلى اسناده ذلك الى غير الخلق ، وأما
في الاموات فلا مبرر ، ولا مقتضى لهذه النسبة فيكون مضيقها متها في
عقيدته ، مخوفا عليه منها

(الثامن) ان الطالب للحي الفاعل - وإن شئت قلت الكاسب - يرى أنه اذا
طلبه وسأله ان يفعل له فعل الله ذلك على زعمكم ، بخلاف الميت فإنه لو ناداه ودعاه
ولجأ اليه الدهر كله لما أجاب له صوتا ، ولا قضى له سؤالا ، ولا علم له حالا ، وما
علم ثاوي في التراب دفين ؟

أليس ذلك يكفي فارقا بين دعوة الحي والميت ؟

*

* *

وأما قوله : والقرينة واحدة وهي الايمان بالله وبان كل شيء بيده وهو خلقه ومصنوعه
فهذا تسليم ان ظاهره باطل وكذب ، وليس موافقا للواقع ، إذ لا يحتاج
إلى القرينة إلا ما كان كذلك . واذا كان الامر كذلك وان هذه العبارات ليس

ظاهرة حقا ولا إيمانا ، فلا نفعل ما ليس ظاهره صدقا ولا هدى ، ونشكل على القرينة التي تزعم ، حتى توافينا بالبرهان على جوازه ، فنحن نحكم ان الآتى بما ظاهره كفر كافر كشأن الاسلام في حكمه بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، ضبطا للاحكام . أما دعوة الاحياء القادرين بما عندهم من أسباب على الاجابة فتأبته لا نزاع بيننا فيها فأصبح مقالنا خاذلا له ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

وانا نسأله سؤالا يبطل هذه القرينة التي أصارها للكفر مطية ، والمجاز الذي هنك به سياج التوحيد ، وهم بمعوله حصن لا إله إلا الله ، فنقول : هل كلام المسلم يؤول كله ويحمل على المجاز جميعه اذا ما جاء ظاهره كفرا ، بغير شرط ولا قيد ؟ ام هناك تفصيل وقيد دام لا يؤول له مطلقا ، بل يؤخذ بظاهر كلامه ؟ إن كان الاول لزم عليه ان لا نؤخذ مسلما ولا نكفره ، مهما اتى بعبارات الردة والكفر . ولا شك ان هذا لا يرضاه أحد ، وإن كان اثني قلنا فصل هذا التفصيل ، ولن تستطيع اليه سبيلا ، بل تقع في الدهش والحيرة ، وترتدي الكسوف والخسوف ، وإن قلت بالثالث - وان الكلام يحمل على ظاهره ان كفرا كفرا ، وإن ايمانا فإيمان - بطل قولك في المجاز وخرجت منه فقيرا حسيرا ، فملى الاقسام كلها بطل اتسكاؤك على المجاز وهلكت مطيتك فيه

قال المعارض : وإن كان سر المنع عندهم هو ان الميت لا يقدر على شيء ، مما طلب منه ، فنقول لهم : (أولا) لا يلزم من ذلك ان يكون الطلب شركا بل عبثا فقط ، والاستغاثة بالاحياء أقرب الى الشرك منها بالاموات ، لانها أقرب الى اعتقاد تأثيرهم في الاعطاء والمنع ، بمقتضى العيان والحس ، لولا نور الايمان وساطع البرهان (ثانيا) ثم نقول لهم : ما معنى قواكم ان الميت لا يقدر على شيء ، وما سره ، وما

باطنه عندهم ؟ إن كان ذلك لكونكم تعتقدون ان الميت صار تراباً ، فما أضلكم في دينكم واجهلكم بما ورد عن نبيكم ، بل عن ربكم - من ثبوت حياة الارواح ، وبقائها بعد مفارقة الاجسام ، ومناداة النبي لها يوم بدر بقوله « يا عمرو بن هشام ، ويا عتبة ابن ربيعة ، ويا فلان ابن فلان : انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » فقيل له ماذلك ؟ فقال « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » ومن ذلك تسليمه على القبور ومناداته لها بقوله « السلام عليكم يا أهل الديار » الى غير ذلك من الادلة الكثيرة التي جاء بها الاسلام وأثبتتها الفلسفة قديماً وحديثاً اه كلامه

أما قوله : لا يلزم ان يكون ذلك شركاً ، فقول مجرد عن الدليل . فليس مسموعاً ولا مبلوعاً ، والنافي مطالب بالدليل كالمثبت ، ولو كان النافي لا يطالب بالدليل لكان ابطال كلام المعارض كله بلفظ واحد وهو قولنا كلامه لا يصح ، وما قلته وستقوله لا يصح ، ولا شك في فساد هذا ، ولا سيما في مثل الذي معنا ، فان معناه انكم في قولكم شرك كاذبون وهو اثبات محض والبينة على المدعي

بقي ان يقال : اذا أثبت انه دار الامر بين كونه شركاً وكونه غير شرك . فيقال أضدادك ساقوا أدلة كثيرة على انه شرك ، وكلامنا الآن معك في ابطال ما جئت به فحسب

وأعجب من ذلك قوله عبثاً فقط ، فقصره على كونه عبثاً لا تدخله الحرمة والكراهة . مع ان من العبث ما هو شرك ومحرم ومكروه ولكن الشيخ يلقى الالفاظ جزافاً وقوله : والاستغاث بالاحياء أقرب الى اعتقاد الشرك من الاموات الخ كلام مردود ، أبطلناه قبل هذا ، بل الاستغاث بالاموات أقرب الى الشرك فان الواقع والمحسوس في كل وقت ان الشرك بالاموات أكثر وقوعاً منه بالاحياء ولهذا لما غلت طائفة في علي بن ابي طالب حين كان حياً أخرج لهم ناراً وألقاهم فيها ، فقطع دابرهم واستأصل شأفتهم ، ولو فعلوه به بعد موته لما كان كذلك كحال

الشيعة ومقلديهم الآن معه من الغلو فيه حتى ان بعضهم يعتقده هو الرسول حقيقة ، وان جبريل غلط في الرسالة فاوحاها الى محمد ، وبعضهم يعتقده إلهاً وأنه في السحاب يرسل المطر والارزاق وغير ذلك

نم قوله : بمقتضى المشاهدة والحس الخ . كلام من لا يزن قوله ولا ينظر سابقه ولا لاحقه . فان المشاهدة والحس اذا قضيا بان الاحياء مؤثرون وموجدون للافعال لم تصح مخالفتها . ووجب اعتقاد ذلك ، وانهم مؤثرون حقيقة ، إذ المشاهدة أقوى دليل فاذا كذبنا المشاهدة كذبنا كل حجة . فانا لم نؤمن بالله وبالا انبياء إلا بالمشاهدة للآيات والمعجزات والمعترض لا يقر للاحياء بالفعل فضلا عن انهم موجدون خالقون . وهذا أبلى الخذلان ، وشأن من لم يسر على البرهان ولا على قوانين القرآن ومن لم يكن جم البديهة مبصراً هوت رجله أنى تولى وأقبلا وأما قوله : ونقول لهم مامعنى قولكم ان الميت لا يقدر على شيء ، وما سره وباطنه ؟ فأقول للاستاذ اسمع يجيبك أبو الطيب عنا :

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار إلى دليل
اذا كنت لاتعرف معنى قولنا ان الاموات لا يقدر على شيء ولا تدري سره ولا باطنه ، وهو باوضح عبارة ، بلغة أهل العالية ولسان أهل نجد ، فكيف تنصب نفسك وتؤودها بما لاتستطيع :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
كيف تنصب لقارعة الابطال ، وتدعو إلى منازلة الرجال ، وهذه حالك ؟ وهبنا أبنا لك معناها فنفس الابانة تطلب إبانة إلى غير نهاية ، ونكون كالزارعين في الارض السبخة ، الراقين على الماء والهواء

ولعلك عملت بحكمة القائل ليس ثم مستحيل ، وأبغض : لا أقدر ولا أطيق . وقوله : إن كان ذلك لكونكم تعتقدون ان الميت صار تراباً فما أضلكم في

دينكم ، وأجهلكم بما ورد عن نبيكم - بل عن ربكم - من ثبوت حياة الارواح وبقائها بعد مفارقة الاجسام

ان كان يجهلنا لاعتقادنا أنهم صاروا ترابا فتجهيله هو الجهل . فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يبلى ابن آدم الا عجب الذنب ، ومنه يبعث ويركب الخلق » فهو نص صريح أن الانسان كله يبلى الا ما ذكر ، والرسول والانبياء والاولياء داخلون فيه ويقويه (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما ألهكم اله واحد) فهي تفيد مساواة الرسول للناس في كل شيء الا ما دل الدليل على استثنائه وهو الايماء اليه بالشرع

والاحاديث الواردة أن الانبياء لاتأكلهم الارض ، كمثل الحديث الذي رواه النسائي واحمد انه قال « اذا كان يوم الجمعة فكثروا علي من الصلاة ، فان صلاتكم معروضة علي » قالوا وكيف تعرض عليك وقد أرميت ؟ فقال « ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » فهو حديث ضعيف ، نقل عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه انه حديث منكر ، وضعفه ابوبكر بن العربي ، وفي اسناده رجل ضعيف جداً وقد صحح الحاكم الحديث ، ولكن الحاكم لا يعتمد على تصحيحه لتساهله ، ولا سيما وقد خالف الحاكم في تصحيحه هذا شيخ الجرح والتعديل أبو حاتم الرازي ، ومما يدل أن الاجسام تعود ترابا . قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) وكنا أولا ترابا ، فنحن إذن نرجع ترابا بنص الآية الكريمة ويقويه قوله أيضا (والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون) فهي تفيد أننا بعد الموت نكون ترابا لان قوله (كذلك) ان كان حالا من نائب فاعل تخرجون ، وكانت الاشارة راجعة الى البلد الميت - فدلالة الآية ظاهرة ، ويكون معناها تخرجون يوم القيامة كالبلدة اليابسة ، أي كتراب الارض الميتة ، وان جعلنا (كذلك) صفة لمصدر محذوف ، والاشارة راجعة الى الاحياء

للارض واخراج نباتها، أي تخرجون إخراجاً كهذا الإخراج - فواضحة أيضاً في المطلوب، إذ لا يكون إخراجنا كالخراج النبات من الارض إلا إذا كنا تراباً وأعظم دليل على ذلك المشاهدة والاستقراء، وما وجد - انسان على كثرة ما يحفر الناس في الارض وينبشون - غير بال، إلا ما كان من الحكايات الخرافية. فكيف نعد بعد هذا جهلاً وضالاً، إذا اعتقدنا أن الاموات يعودون تراباً كسيرتهم الاولى؟ مع أن الحديث الذي سبق مع ضعفه لا يفيد أنهم لا يبلون، إذ قوله «حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء» لا يلزم منه الا يبلوا إذ يصح أن يقال بلوا وما أكلتهم الارض وان كان يجهلنا ويضللنا لانا أخذنا من كون العباد بعد الموت رمياً وتراباً، أنهم لا يقدرّون على شيء، وان الصواب أنهم يقدرّون على قضاء ما يسألون واجابة ما يطلب منهم، وإن كانوا تراباً، فقول أعاذنا الله منه، فهل يطمع انسان أن يجيبه من صار رمياً قد أكلته الديدان وصار عظماً نخرة؟

يفندون، وهم أدنى إلى الغند ويرشدون، وهم أنأى عن الرشد

أرجو عاقل من صار تراباً حياء أو علاء أو شفاء؟

نم مع هذا فكلامه ناقص فكيف أخذ من اعتقادنا عدم قدرة الاموات - أن السبب فيه أنهم عادوا رمياً، وهذا غير لازم، فان اسباب لعدم القدرة كثيرة فيجوز أنهم باقون على حالهم، وبأبدانهم الصحيحة السليمة، ولكن الله نزع قدرتهم كما ينزعها من بعض الاحياء.

وأما قوله: بما ثبت من حياة الارواح وبقائها بعد مفارقة الاجسام، فتفرع على ما قبله ليس حلوّاً، فهل يلزم من حياة الارواح وبقائها أن تكون قادرة مجيبة؟ لا يلزم، ولكن أين الفهم؟

بأرض ما انتهت رأيت فيها فليس يفوتها إلا العقول

وأما ما ذكره من مناداة الرسول ﷺ الكفار وسلامه على القبور، والادلة

التي زعمها . فقد سبق الجواب عنها في أدلته الحديثة . وأما ما قال من ان الفلسفة
قديمًا وحديثًا تثبت حياة الارواح وبقاءها بعد مفارقة الاشباح ، فالجواب :

أولا هذا لا يرد علينا ، فانا قائلون ببقاء الارواح بعد مفارقة الاجساد حتى
للفساق والفجار ، وليست من ميزات الابرار

ونقول ثانيا حكمك على فلسفة القديم والحديث بذلك حكم باطل لا تدرىه ،
وما أخالك تعلم منه سوى ما يعلم عامة الناس ، من أن اوربا أثبتت كذا ونفت كذا
مما يشاركك في علمه كل قاريء للصحف والمجلات ، وقولهم انها أثبتت وجود
الارواح بالتنويم المغناطيسي وهو ما ذكر على صفحات الجرائد والمجلات . وهي
مسئلة يكفر بها كثير من الاوربيين إلى الآن ، ولا يصدقون إلا بالماديات المحسوسات
فاذا كان أهل العلم وأرباب الصنعة على اختلاف فيها واضطراب فكيف ترد على
خصومك بقول أحد الطرفين ، وأنت لست من أهل الترجيح في هذه العلوم
الجديدة ، ولا بلغت درجة الاجتهاد ، ولم تبلغها في الشرع الاسلامي الذي قضيت
عمرك فيه ، بل ولا في آلاته من نحو وصرف وبلاغة وأصول ؟ فكيف يصح لك
أن تسلك طريق التحقيق في علم الارواح ، فان آيت إلا أن تكون في صف علماء
الفلسفة والارواح كما أردت أن تكون في سمط علماء الدين ، فانا نخطبك مخاطبة
الفيلسوف الحكيم ، ونطالبك الدليل بالنظريات المقنعة المسكتة ، كشأن العلماء

وأما قولك أثبت العلم كذا ونفى كذا ، فمهمل يجب أن يكون مهما

ثم اني أرشدك إلى فائدة عظيمة لعلك ماسمعت بها ولا حملت ، هي ان أهل
الشرق لا فتناهم باهل الغرب وذهابهم في الاعجاب بهم كل مذهب ، واعتقادهم
انهم يثبتون ماشاءوا اثباته - ويبطلون ماشاءوا ابطاله ، وان أمرهم إذا أرادوا
شيئا أن يقولوا له كن فيكون - لم تكن هذه العقيدة في نفوسهم ، وسببها مارأوه
من القوة والاختراع والمستحدثات الغريبة التي ما حدث التاريخ بمثلها ، لهذا كله

صار الشرقيون إذا سمعوا أمراً عن الغربيين ولو على سبيل الفرض والتخمين ، جعلوه يقيناً ، بل من الضروريات التي من أنكرها أو شك فيها يعدونه ليس من جملة الانسان ، فان كان الشرقي المعجب بها مسلماً متديناً أو يظهر بالاسلام طفق يلوي القرآن ليا ، وبحرفه عن موضعه ، زاعماً أن ذلك من محاسن الاسلام ومن حسنات القرآن ، وأخذ يفخر ويتبجح في أن الفضل في المسئلة للشرقيين المساهين وان دينهم جاء بها من زمن بعيد ، وربما كانت النظرية جهلاً مخالفة للحس والشاهدة ، وأمثل هذا كثير ، حتى لقد خشينا لو قل أهل الغرب او بعضهم الواحد اثنان والاثنان واحد ، والزوج فرد والفرد زوج أن ينقادوا له ويقاقلوه عليه دينهم وقومهم . وهذا بلاء قديم مصاب به كل ضعيف أمام قوي . فالنتيجة عن هذا أن تعلم انه ليس كل ما كتب عن الغرب ونسب اليهم صحيحاً

وأما حكم الشيخ على الفلسفة القديمة فان أراد بها فلسفة الملتزمين الى الاديان كفلسفة ابن سينا والفارابي والغزالي والرازي والامدي ، فقله تكرر لافائدة فيه غير التعب ، لان قوله الثابت في الكتاب والسنة هو هذا ، فان هؤلاء أثبتوها أخذاً من القرآن والسنة وصارت ألفاظاً جوفاء . وإن أراد فلسفة غير الملمين وانهم أقاموا الادلة على وجود الروح بعد مفارقة الجسم بالطرق العقلية ، فادعاء . وأي كتاب رآه الشيخ لاحد من فلاسفة اليونان ، أو غيرهم ، أثبت له هذا ؟ كيف وكثير من الفلاسفة ينفي وجود الروح بالمرّة حتى في وقت الحياة ، ويقولون الروح عرض من الاعراض اذا فارقت الجسم مات ، ولا تقوم بذاتها كدأب الاعراض ، وميدان الدعاوى واسع لا يفقر منها أحد

والدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أولادها أديعاء

قال المعارض : ولنتصر هنا على هذا السؤال : أيعتقدون ان الشهداء أحياء

عند ربهم كما نطق القرآن بذلك ام لا ؟ فان لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم لانهم

كذبوا القرآن، حيث يقول (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء
ولكن لا تشعرون) (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند
ربهم يرزقون) وإن اعتقدوا ذلك فنقول لهم ان الانبياء وكثيراً من صالحى
المسلمين الذين ليسوا بشهداء - كأكابر الصحابة - أفضل من الشهداء بلا شك ولا
ريبة ، فاذا ثبتت الحياة للشهداء فثبتها لمن هو أفضل منهم أولى ، على ان حياة
الانبياء مصرح بها في الاحاديث الصحيحة ، وقد رأى النبي ﷺ موسى يصلي
فوق الكشيب الاحمر وراجعهم مراراً عندما فرضت الصلاة خمسين في كل يوم وليلة
حتى صارت خمساً كما قابل آدم و ابراهيم وغيرهما من الانبياء . فهذا كله يثبت حياة
الارواح وانه لا شك فيها

فاذاً نقول : ثبتت حياة الارواح بالدلة القطعية التي قد ذكرنا بعضها فلا
يسعنا بعد اثبات الحياة إلا اثبات خصائصها ، فان اثبات المزموم يوجب ثبوت اللازم
كما ان نفي اللازم يوجب نفي المزموم كما هو معروف اه كلامه .

والجواب : نحن نختار حياة الشهداء على معنى آخر لاعلى ما تتبعته أنت . وهبنا
قلنا بالثاني وانهم ليسوا أحياء ، تأولوا منا للآية لشبه قامت عندنا ، فماذا يكون ؟
فأما قولك انكم تكفرون لانكم كذبتم القرآن ؟ فاما ان تريد انا نكفر اذا
منا بلفظ الآية ولكن أولناها وصرفناها عن الظاهر لدليل قام لدينا - اننا نكون
مكذبين للقرآن ، وإما ان تريد بكوننا مكذبين للقرآن ما اذا كذبنا لفظ الآية
وقلنا ليست من القرآن ، فان كنت تريد الاول فقول جائر لا يوافقك عليه عالم ،
ولا يرضاه فاضل . إذ لو كان كذلك لكان كل من أول آية لشبهة عرضت له
ودليل قام لديه كافراً مكذباً للقرآن ، مارقا من الاسلام . ولا يخفى ما في هذا
من الغلو ، وهو يقضي على الامة كلها بالكفران ، إذ قل أن يوجد عالم إلا قد أول
آيات عن ظاهرها لمعارضات حصلت في نفسه ، فهل يرى الكاتب ان هؤلاء

مكذبون للقرآن ، فان سوات له نفسه ذلك لزمه تكفير الصحابة أو كثير منهم ، لانهم قد أولوا كثيراً من القرآن . فان قال المؤول لا يكفر إلا اذا كان التأويل كاذباً في الواقع . قلنا أولاً هذا مستلزم لتكفير أغلب الامة اذ قد علمنا انه لا يسلم عالم من ان يكون قد أول آية بخلاف المراد

ونقول ثانياً : من أين جئت بهذه القاعدة ؟ أمن العقل أم من الشرع ؟ لاشي من ذلك

ونقول ثالثاً : من انباك ان هذا التأويل الذي معنا مخالف للواقع المراد منها ؟ ونحن قد تسكنا على الآية فيما سبق من أدلته القرآنية وقد أولها كثير من العلماء وإن قال من التأويل ما هو كفر ومنه ما ليس بكفر . قلنا اذا يجوز ان الذي معنا من الذي لا يكفر صاحبه . وأنت تقول ان العلماء قالوا ان الشك لا يزول باليقين ، وان المسلم يؤول له من سبعين وجهاً - ولعلك ترانا غير مسلمين

وإن قلت بانثاني أي لانكون مكذبين للقرآن الا اذا كذبنا اللفظ . وأما التأويل فلا يجعلنا مكذبين لم يفدك شيئاً ، ويكون تشقيق الكلام مشقة ثم قولك لا كلام لنا معهم اذا نفوا الحياة - كلام ساقط ، وهل الكافر يستقط الكلام معه ولا تجب مجادلته بالقي هي أحسن ؟ وما علمت قبل اليوم ولا علم غيري ان الكافر لا يدعى الى الاسلام ويجادل . وما زال السامعون الاولون والآخرين يدعون أهل الضلال إلى الهدى ، والرسول ماجأت الا بادية الكفار بالدعوة . فما لهذا الفيلسوف المبجل يتعثر تعثر الاعى في أرض قد ألبست شوكة . ولهذا الرأي أخذ الملحدون على المسلمين الطرق وتسلطوا عليهم ، إذ هم يصلون ولا يصل عليهم ، وقد آمنهم الشيخ وجراًهم عليه

وأما قوله وان اعتقدوا ذلك . فنقول لهم ان الانبياء وكثيراً من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداء أفضل من الشهداء كأكابر الصحابة بلا شك ولا

ريب ، فاذا ثبتت الحياة للشهداء ، فثبوتها لمن هو أفضل أولى .

أقول كلامه مركب من مقدمتين :

(الأولى) ان هناك أفضل من الشهداء (الثانية) أن كل ما ثبت للمفضول
وجب أن يثبت للفاضل .

المقدمة الاولى صحيحة لاشك فيها . وأما الثانية فباعتبار لاشك في بطلانها ،
وما قال أحد قبل الشيخ ان كل ما كان للمفضول تحتم كونه للفاضل ، بل قالوا ان
المزية لا تقتضي التفضيل . أي قد توجد الخصلة الحميدة في المفضول دون الفاضل ، وهذا
معروف أسنا نرى أن رسول الله ﷺ هو أفضل المخلوقات وأفضل من جميع الرسل ؟
وقد أثبتنا لكثير من الرسل من المعجزات ما لم تثبته له ، فقد ولد عيسى بن مريم
من غير أب وكان حمله على خلاف عادة النساء ، وكان يخاطب الناس في المهد
ويبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى ، ويخق من الطين كهيئة الطير فينفخ
فيه فيكون طيرا باذن الله ، ورفع الله اليه ، والراجح عند أكثر العلماء انه لم يموت ،
وينزل في آخر الزمان يحكم بين الناس بالقسط ويهبه الله أمورا عظيمة ، وهي كلها
لم تثبت لرسول الله . اما الاغلب فبالاتفاق ، وكذلك موسى وهبه الله العصا ، واليد ،
والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات ، وخلق له
البحر وانجس الصخر ماء ، وأغرق فرعون وقومه ، وأعطاه التوراة وكتبها له بيده ،
وأعطى صالحا الناقة ، وأنجى ابراهيم من النار ومن كيد أعدائه ، وسخر لسلیمان
الريح والشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب وتمثيل ، ولأن داود الحديد
وسخر له الجبال والطير يسبحن معه . والله يختص برحمته من يشاء . والله ذو الفضل
العظيم (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) بل ثبت للملائكة ما ليس
للانبياء ، والانبياء عند أهل السنة أفضل ، فجعل الملائكة أغنياء عن الاكل والشرب
والنكاح ، وقد قيل انهم لا يموتون مادامت الدنيا ، وهم أجساد لطيفة لا يحجبها

حاجب ، ولا يمنعها مانع ، تتصور كيف شاءت ، لها من القوة ما لم يكن غيرها ،
تصعد وتنزل من السماء إلى الارض ومن الارض إلى السماء في أقرب وقت ،
بل حصل لبعض بني آدم من الكرامات ما لم يحصل لكثير من الانبياء ، كاصحاب
السكف في نومتهم العجيبة الطويلة ، وبقائهم كذلك بغير موت ولا تغير ، وكذا
ما حصل لمريم عليها السلام ، والذي جاء سليمان بعرش بلقيس ، وكذا من أماته
الله مائة عام ثم يشهـ الى آخر الحكاية المحكية في القرآن ، وما ثبت لجريج الراهب
الذي كلم الغلام في المهدي وكان جريج راهبا صالحا آتهم بالزنا بامرأة بغي ، فجاءت
بولد ، فسألوها : ابن من هذا ؟ قالت لجريج ، فذهبوا اليه وهدموا صومعته فقال
جريج : علي بالطفل فجيء به فقال له من أبوك يا غلام ؟ فقال فلان الراعي . أنطقه
الله اكراما لعبده جريج . والحكاية في البخاري وغيره

ومن ذلك ما كان في الصحابة رضي الله عنهم فمنه ان عمر بن الخطاب خاطب
سارية وهو في بلاد فارس يجاهد في سبيل الله وعمر فوق منبر (المدينة) فنادى
عمر سارية وقد ضيق عليه العدو ، وكاد أن ينهزم ، وصاح يا سارية الجبل ، وقد
كشف الله لعمر على بعد المسافة ، فرآه وسمع سارية الخطاب ولا يدري من أين
جاء فلجأ سارية الى الجبل واتقى به العدو فانتصر ، بل الصحابة رضوان الله عليهم
يوجد في المفضول منهم ما لا يوجد في الفاضل باتفاق المسلمين ، فمثلا عمر يوجد
فيه من المزايا ما ليس في أبي بكر وابو بكر أفضل منه ، وفي عثمان ما ليس في عمر
وعمر أفضل منه ، وفي علي ما ليس في عثمان وهلم جرا ، بل يوجد في صغار الصحابة
ما ليس في كبارهم ، وهذا موجود في كتب السنة واضح ، فكيف يقول ان ما ثبت
للمفضول يثبت للفاضل ، انها غفلة لا تحتمل من غيره . وأما منه فتحتمل وأكبر
منها ، وهبه فاته ما في كتب السنة ، فهل فاته ما يرى في الناس أمامه من العلماء
والجهلاء ، ففي العالم الصغير من المزايا الحسان ما ليس في العالم الكبير ، بل قد يوجد

في العامي خلق أفضل من خلق العالم كأن لا يتأكل العامي بدينه ويشتري به ثمنا قليلا
أليس فضيلة مولانا المعترض هو أعلم الناس اليوم على الإطلاق وأقدهم في
الفلسفة ، وأبعدهم غوراً في الحكمة ، وفي بله الناس من هو أعرف منه بالألوان
وبالقمييح والحسن ، وأعلم منه بالاسود والابيض وبالطويل والقصير ، وتبين
الليل من النهار والشمس من القمر ، والقمر من الهلال ، ولا يمنع هذا من أن
يكون الاستاذ في الفلسفة والعلوم الروحانية مثلاً هو الامام المقدم والحكيم المعظم
وأما ما ذكره من صلاة موسى فوق الكتيب الاحمر وملاقة النبي ﷺ ابراهيم
الى آخره فقد جمع بين الغلط في اللفظ والشطط في المعنى ، ولا نزال نتقلب في
غلطه ، ونكسر أقلامنا في خطاه ، فإنا كان موسى يصلي فوق الكتيب الاحمر بل
كان في قبره عند الكتيب الاحمر ، ولكن لولوعه بالرد على أعدائه لا يحفظ فيأتي
بالألفاظ التي يظهر أنها أقرب إلى مذهبه وإن كانت كذبا . فلحديث في مسلم وفي
غيره ، وليس فيه هذا اللفظ الذي يقوله

وقوله: ان هذا كاه يفيد حياة الارواح

يشير إلى حديث الاسراء والمعراج ليلة أسري به ﷺ من المسجد الحرام إلى
المسجد الأقصى ، وعرج به من المسجد الأقصى إلى الله تعالى فوق سبع سمواته ،
وقربه منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، وفرض عليه الصلاة خمسين في اليوم
والليلة ، فمر على موسى وهو في السماء فسأله : كم فرض الله على أمتك ؟ فأخبره
فأشار عليه أن يرجع ويسأل ربه التخفيف عن أمته ، وفعل حتى صارت في اليوم
والليلة خمسا . وفي القصة أنه ﷺ رأى أموراً غريبة ، وهي كما قال الله آيات
كبرى ، فرأى الانبياء والجنة والارواح محيطة بآدم الكافرات والمؤمنات
والفاسقات والصالحات وخاطب الانبياء وخاطبوه ، وحياهم وحيوه وسألهم وسألوه
وأجابهم وأجابوه ورآهم ورأوه ، وصلى بهم بيت المقدس . كل هذه الامور في

الصحيح ، واحتجاج المعترض بها على حياة الارواح بعد مفارقة الابدان حياة دائمة مطلقة لا يتم له إلا بامور :

(الاول) أن يقيم الدليل على أن تلك الامور لا تقع إلا من الاحياء ، فانه لا مانع أن تكون من غير الاحياء ، فقد ثبت في القرآن والحديث ان كل شيء يسبح ويسجد ويسلم ويتكلم من الجمادات والحيوانات ، وما استلزم ذلك ان يكون شيء منها حيا حياة الانسان المكاف للمأمور المنهي ، ولكن تسبيحها ونحوه على معنى آخر يعلمه الله ، فان كان يريد بالحياة هذا المعنى الذي يعلمه الله فالخلاف لفظي

(الثاني) ان الله أحياءهم له في تلك الليلة لحكمة يعلمها ، وغاية يقصدها ، وليلة الاسراء والمعراج ليلة الخوارق والمعجائب لا يقاس عليها ، فله أن يفعل ما شاء (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) والذي يقويه انه رآهم في السماء ، والارض ، وفي بيت المقدس وموسى في قبره ، فكيف يكون موسى في ثلاث مواضع ، وبقية الانبياء في مواضعين ؟ وكيف خرجوا من قبورهم وصعدوا إلى السماء ونزل عيسى إلى الارض ؟ وكيف رأى الناس في السماء وهم في القبور ؟ - والقول بالتعدد والتنقل غفلة وحمق لا يروج إلا على بله النصارى وعمي اليهود ومن قلدتهم واتبع منهم

(الثالث) يحتمل انهم مثلوا التمثيلا ، وخیلوا أمامه تخيلا ، كما خيلت له الجنة والنار في عرض الحائط وهو قائم يصلي بالناس صلاة الكسوف ، ورأى فيها أناسا يعذبون وينعمون ، ويقرب القول بالتخييل والتمثيل وجودهم في أماكن متعددة إذ التخييل يصح التعدد فيه

(الرابع) يجوز انها أمور منامية رآها في نومه ، وقد قال به بعض المتقدمين والمتأخرين من السلف والخلف ، وليس بعيدا من الاخبار الواردة ، وقد جاء في بعض روايات البخاري في آخر الحديث قال صلى الله عليه وسلم « فانتبهت » وهذا يفيد انه رأى ذلك وهو نائم ، وفي رواية في أوله « جاءت الملائكة وأنا بين النائم واليقظان »

فاذا أبطل الشيخ الدجوي الامور الاربعة تم احتجاجة : من قصة الاسراء
والمعراج ان الارواح حية حياة مطلقة ، ولست اريد إبطال حياة الارواح ولكن
اريد ابطال دليل المعترض ، ولا يلزم من إبطال الدليل بطلان الدعوى
وقوله : وإذا ثبتت الحياة ثبتت خصائصها الخ

الظاهر انه يريد بالخصائص الخصائص التي يفي عليها دينه من دعائها وإجابتها
داعيها الاخصائص حياة الشهداء التي فسرّها النبي ﷺ انها في حواصل طير خضر
على أشجار الجنة، كما هو مذهب ودين عقلاء المسلمين سلفا وخلفا. فيقال: هبنا سلمنا
لك حياة الارواح على ما ذكرت، ولكن قولك من خصائص الحياة: الاستغاثة والدعاء
لأربابها. إما ان تريد ان كل حياة كذلك- حتى حياة الاموات الروحية- أو تريد
الحياة الدنيوية المخصوصة ؟ إن أردت الاول فلا نسلم ان ذلك من خصائصها فهي
كلية عارية من البرهان

ويقال أيضاً: نحن علمنا تلك الخصائص للحي، إذا كانت روحه في جسمه، وما
علمناها في الروح الحية وفي الروح اذا كانت مفارقة البدن
وان أردت الثاني فلا ينفعك شيئاً

قال المعترض : واي مانع عقلا من الاستغاثة بها ولاستمداد منها كما يستعين

الرجل بالملائكة في قضاء حوائجه أو كما يستعين الرجل بالرجل
* وأنت بالروح لا بالجسم انسان *

وتصرفات الارواح على نحو تصرفات الملائكة لا يحتاج الى مماسة ولا آلة
فليست على نحو ما تعرفون من قوانين التصرفات عندنا، فانها من عالم آخر
(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) وماذا يفهمون من تصرفات
الملائكة أو الجن في هذا العالم اه كلاه

نقول: والله حسبن إن لم يمنع العقل من دعوة الاموات والاستغاثة بهم فليس ثم عقل. ان العقل يمنع ذلك ويراه أقبح القبائح إلا عقل علامتنا الدجوى طبعاً فإذا كان عقله يحسن دعوتهم فلا يصح لغيره أن يقبل عقله، ولأله ان يلزمه الناس. ومقاتله كمقاتلة من قال: أي مانع من السجود للاصنام والذبح لها كما يذبح للاحياء وقول القائل: أي مانع عقلاً من الصلاة والصوم لهم وما قوله بأبعد من قول القائل: ما المانع من الزنا واثبات الفواحش، ولا سيما إذا كانت بالرضا من الفريقين. ولعمرك الله إن دعوة الشمس والكواكب والافلاك الرائجة الغادية التي لا تتغير ولا تزول، والتي ثبتت لها أشياخه الفلاسفة من التأثير في العالم التأثير العجيب. ولهذا سمي منها السعد والنحس - دعوتها أقرب في القول من دعوة الاموات الضعفاء المصابين إذا كانوا أحياء بالاعايات والاستقام والموت، والتي تداس تحت الاقدام، وبطؤها الكرام والثناء ولعل الشيخ يصحح دعوة الشمس والقمر والنجوم، والسماء والارض. فيعيد لنا دين قوم ابراهيم وأبيه آزر، ولا غرو أن يعتقد ما اعتقته أبو نبي ويقال: هب العقل لا يقبح ذلك ولكن ديننا مشيد على الوحي لآلى الاهواء فكلم من محرم في الشرع لا بدرك له العقل معنى.

وأما استشهاده بدعوة الملائكة فأبعد وأزمن. وقد ساف ان دعوة الملائكة لا تجوز بحال، وان بطلانها معروف بالضرورة من الاسلام. وقوله كما تستعين بالرجل - هو قياس من أفسد الاقيسة وقد سبق بطلانه وقوله * وأنت بالروح لا بالجسم انسان *

هو بعض شئ لم يعرف مراد قائله، فهو فهم ان الشاعر يجوز دعوة الاموات وان الروح بعد مفارقة البدن متصرفه في الكون، وهذا لم يخطر على بال القائل ولكن اذا كان الشيخ بلباقته يحرف القرآن والحديث فلا غرو اذا حرف قول الناس وقوله: وتصرفات الارواح كتصرفات الملائكة لا تحتاج إلى آلة ولا بماسة

قول كاذب ليس معه دليل . ومن قال للاستاذ ان تصرفات الملائكة بغير آله ولا مماسة أليس هو قولاً على الله بغير علم (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن — إلى قوله — وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ويمكن أن يقول: هذا قول على الملائكة لا على الله فهو في الجرأة وافساد الالفاظ بمكان . وقد عاب الله قوماً حكموا على الملائكة بأنهم بنات الله ، ووبخهم بأنهم لم يشهدوا خلقهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، أشهدوا خلقهم سكتهم شهادةتهم ويسئلون)

وقد ذهل عما ورد في السنة من الاخبار الكثيرة التي تبلغ حد التواتر : ان الميت اذا وضع في القبر جاءته الملائكة وسألته ، فان كان منافقاً او كافراً ضربته بمرزبة من حديد ، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الثقلين — الجن والانس — وهل المرزبة الا آلة ؟ وقال تعالى عن الملائكة — الذين ذهبوا الى ابراهيم عليه السلام ، وخاطبهم ابراهيم ، (قال فما خطبكم أيها المرسلون ؟ قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين) أو ليست الحجارة آلة ؟ وقال (إذ يوحى ربك الى الملائكة اني معكم . فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) وما يكون الضرب الا بالآلة او بمماسة المضروب . وقال تعالى (جعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) والاجنحة آلة الطيران وفي الحديث الذي في الصحيح انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل في صورته الاصلية له ستمائة جناح وقد سد الافق . وقال كثير من المفسرين : ان جبريل رفع قري قوم لوط على طرف جناحه حتى صعد بهم الى قرب السماء ثم ألقاهم والحاصل ان قوله: ان تصرفات الملائكة بغير آله ولا مماسة — غلط محض

لم يرشد اليه عقل ولا نقل . فلا قول لهذا المعارض يسلم له
نم استشهاده بقوله تعالى (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا) من أغرب الاستشهاد ، فهل فيها ارباب العقول الحية
والرؤوس المستقيمة أدنى اشارة ان تصرف الملائكة والارواح بغير آلة ولا مماسة
او ان فيها الرد على قوم يحاولون البحث في الارواح والتكلم في شأنها ، والقول فيها
بعقولهم وتجاريهم ونحو ذلك . فرد الله عليهم قولهم ووقفهم عند حدهم ، وقال
(وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فيالله للشيخ . انه يسوق الحجة له حجة عليه .
ويأتي بما يبطل قوله ودعواه دليلا على قوله . وهذا شأن الهوى والعصبية (وما
أوتيتم من العلم الا قليلا)

قال المعارض : ولا شك ان الارواح لها من الاطلاق والحرية ما يمكنها من
أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها ، كالحياة سواء ، بل اشد وأعظم ، وقد
ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم ان الارواح القوية كروح أبي بكر وعمر ربما
هزمت جيشاً إلى آخره ، فان كانوا لا يعرفون الا المحسوسات ، ولا يعترفون
إلا بالمشاهدات ، فما أجدرهم أن يسموا طبيعيين لأمؤمنين ، على اننا ننزل معهم
ونسلم لهم ان الارواح بعد مفارقة الاجسام لا تستطيع أن تعمل شيئاً ، ولكن
نقول لهم إذا فرضنا ذلك وسلمناه جدلاً فلنا ان نقرر انه ليست مساعدة
الانبياء والاولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الارواح في العالم على نحو ما
قدمنا ، بل مساعدتهم لمن يزورهم ويستغيث بهم بالدعاء كما يدعو الرجل الصالح
لغيره ، فيكون من دعاء الفاضل للمفضول ، او على الاقل من دعاء الاخ لاخته ،
وقد علمت انهم أحياء يشعرون وبحسون ويعلمون ، بل الشعور اتم والعلم اعم بعد

مفارقة الروح الجسد ، لزوال الحجب الترايبية وعدم منازعات الشهوات البشرية
وقد جاء في الحديث ان اعمالنا تعرض عليه صلى الله عليه وسلم فان وجد خيراً حمد الله وإن
وجد غير ذلك استغفر لنا ، ولنا أن نقول : إن المستغاث به والمطلوب منه الاغاثة هو
الله ولكن السائل يسأل متوسلاً إلى الله بالنبي او الولي في ان يقضي حاجته فالفاعل
هو الله ولكن أراد السائل ان يسأل الله ببعض المقربين لديه ، الاكرمين عليه ،
فكأنه يقول انا من محبيه (أو محسوبيه) فارحمي لاجله ، وسيرحم الله كثيراً
من الناس يوم القيامة لاجل النبي وغيره من الانبياء والاولياء والعلماء اه كلامه
قوله : لاشك ان الارواح لها من التصرف الخ

مقابل بضده ، بقولنا لاشك في بطلانه وفساده واقترائه على الله ورسله وكتبه
كيف يجزأ هذا الرجل هذه الجزأة ويقدم في الكذب على الله هذا الاقدام ؟
لا أظن أحداً قبله اطلق مثل إطلاقه ، وعم كتميمه في أن الارواح لها من التصرف
ما ذكر . كيف يقول مسلم ان مخلوقاً من المخلوقات له التصرف المطلق فضلاً عن الاموات
مع ان الثابت في القرآن والسنة والعلوم بالضرورة ان رسل الله وهم احياء لم
يكن لهم التصرف المطلق ولا أن يجيبوا كل من يناديهم ويقبضوا كل من يستغيث
بهم ، بل ما كانوا قادرين على الدفع عن أنفسهم فكانوا يقتلون ويخرجون من
ديارهم ويكذبون ويضربون (قل اني لا املك لكم ضرراً ولا رشداً * قل اني
لن يحجرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحداً) (ليس لك من الامر شيء
أو يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) (ضرب الله مثلاً للذين كفروا
امراً نوح وامراً لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وقال جبريل عليه السلام
(وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان نسباً)
وقال الله (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو

على كل شيء قدير) (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم
لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقال (ألا له الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين) وقد استشفع نوح لابنه وإبراهيم لآبيه وطلب رسول
الله ﷺ أن يستغفر لعمه إبي طالب فلم يغنوا عنهم من الله شيئا ، وفي البخاري انه عليه
السلام لما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) نادى بأعلى صوته « يا بني فلان
يا بني فلان إشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا - الى أن وصل الى أقرب الخلق
اليه فقال « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا »
وفي حديث الشفاعة الطويل : أن الانبياء عليهم السلام اذا استشفع بهم الخلائق
يوم القيامة يتبرؤن من الشفاعة ويخافون ويقول كل منهم نفسي نفسي . وفي
الحديث الذي رواه الطبراني أنه كان في عصر النبي ﷺ منافق يؤدي المؤمنين
فاستغاثوا بالرسول عليه الصلاة والسلام فقال « انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله »
فكيف بعدهذا يقول مسلم : ان الاموات يتصرفون التصرف المطلق ويعيشون
الاغاثة العامة إنها لمقالة شنيعة . ثم بأي شيء عرف هذا أليس الشيخ وأمثاله وأتت
الناس اليوم ما زالوا يستغيثون بهم وينادونهم فما رأيانهم أجابوا لهم سؤالا ولا
دفعوا عنهم بلوى . وهذه الازمة قد أخذت بالحناق والاستعمار يرون امتصوا الدماء
والاموال ، فليرفعوا عنا شيئا من ذلك إن كانوا صادقين . وكم أوقع بآل الرسول
عليه الصلاة والسلام في صدر الاسلام ، وعجزه من الظلم واضطهاد الجبارين .
فما له عليه السلام لم يدفع عن آله ظلم اعدائه ، أتراه أهلهم مع قدرته ؟ أم أراد
أن يمتحنهم كما يمتحن الله عباده ، أم كانوا مستحقين لما نزل بهم
وقوله : فان كانوا لا يعترفون الا بالمحسوسات والمشاهدات الخ هو تبجح
ممقوت ، وتطايخ مذموم ، وكلام لا حاصل تحته في غاية الفساد ، فان قول القائل :
أرواح الموتى لا تقدر على شيء واعتقاد ان الامر كله بيد الواحد القهار ، النافع

الضار ، هو عين التوحيد و حقيقة ما تدعو اليه لا إله إلا الله فكيف يوصف القائل لذلك إنه طبيعي أي ماحد لا يؤمن بالله ؟ حقاً إن قائل ذلك لا يعرف الله ولا يعرف الا الطبيعة

فيا شيخ العقول وحافظ المنقول كيف ألزمت منكر الشرك الاكبر الذي هو اعتقاد تصرف الاموات ، وقضائهم الحاجات المعتقد ما دعت اليه كل الانبياء وجاءت به كل الشرائع السماوية ، أن يكون ملحداً (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً)

وهب أن ذلك يوجب أن تسميهم انت واخوانك طبيعيين وملحدين فاذا يضيرهم إذا لم يخالفوا معقولا ولا منقولا والاسماء لا تضر اذا كانوا في حقيقة امرهم موحدين رب العالمين ومخلصين الدين كله لقيوم السموات والارضين

وأما قوله : على اننا نتنزل معهم ونسلم أن الارواح لا تقدر أن تعمل شيئا بعد الموت الخ فكلام يضارب أوله آخره ، وينقض عجزه على صدره فان تسليمه أن الارواح لا تقدر أن تعمل شيئا يقتضي أنها لا تدعى ولا تساعد ، إذ الدعوة والمساعدة عمل ، ثم جاء بعد وأبطله بقوله : فلنا ان نقرر أن مساعدة الانبياء والاولياء للمستغيثين بهم ، ليست من باب تصرف الارواح في العالم ، فاذا كنت أيها الشيخ قد أثبتت للاموات المساعدة والدعاء فكيف سلمت أنهم لا يعملون ؟ أليس هذا عين التهاافت وصريح التخاذل تناقض لا يحتمل ، إذ ليس بين الناقض والمنقوض الا حرف أو حرفين وإذا كانت المساعدة والدعاء لا يسميان تصرفا ، فإهو التصرف الذي تنازل عنه ، وكان قبل قليل راكبه ، أهو أن يعتقد أن الملك بيد الاموات يحيون ويميتون ويعززون وينزلون فما نزل إلا بواد غير ذي ذرع وضرع ، ما فيه سوى الاسد والسبع والقتل والضرع ، وما نزل اليه من إثبات الدعوة والمساعدة لم يأت له بدليل فلا يحفل به ، فما الدليل من الكتاب أو السنة أو العقل : أن الاموات تساعد ، وتدعو المستغيثين

وقوله : وقد علمت أنهم أحياء يشعرون ويحسون - كذب وبهتان ،
وشيء ما كان ، وحكم على ما في الجنان فما علمت ذلك ، ولن أعلمه أبداً ، لأن
علمي اذن يكون جهلاً ، لأن الجهل هو علم الشيء على غير وجهه ، فلو علمت أنهم
كذلك لكنت جاهلاً . وأي شيء جاء الشيخ به من اسباب العلم ، حتى تعلم أو
تظن أو تحلم أي رجعت عن التوحيد وإفراد الله بالعبادة ودعوته وحده الى قولك
الركيك الداعي الى التشريك ، وعبادة المملوك هيئات هيئات ، ذلك أبعد من
بنات نعش ، فارجع عن املك

وقوله بل اللاموات شعور أتم وأعم من الاحياء . كلام مسروق من كلام ابن القيم
أخذه فمسخه وحرفه حتى أصبح لا يسمع . وقد سبق الكلام على ذلك وسيأتي
الكلام عليه في احتجاجه بكلام ابن القيم

وحديث « تعرض علي أعمالكم » ضعيف السند والدلالة . وقد مضى القول فيه موفى
وقوله : ولنا أن نقول ان المستغاث به والمعلوب منه الاعانة هو الله ولكن
السائل سأل الله متوسلاً الخ

هذا رجوع عن مذهبه وتنصل من عقيدته من حيث لا يدري ، وقد أخذ المسكين
من مأمنه وقتل في مسكنه وهو لا يريد الرجوع . ولكن خاتمه شغفه بكثرة التسميات
وتعدد التشقيقات تأسيا بالفخر الرازي والآمدي وأمثالها ولكن

انما يبلغ الانسان طاقته ما كل ماشية بالرحل شمالا

فاذا أثبت أن الاستغاثة بالله وحده والطلب منه فقط ، وانما يستغاث به ،
ويطلب بخلقه ، فقد أبطل قوله الاول ، بل قوله في كل مكان من اثبات الاستغاثة
بالاموات وسؤالهم ، ووافق خصومه في أنه لا تصح الاستغاثة بالاموات . واني
أخشى أن يطعم عليه اخوانه عباد القبور ويعرفوا رجوعه الى مذهب الوهابية
فينكروا به ، ولكن يظهر أن الغفلة والذهول دأب في الطائفة عامة وسجية متأصلة

وقد أبقى نوعاً واحداً يتبقى به عند حلول المسكروه وهو أن يسأل السائل بجاء
 الخلقين، وفسره بتفسير رديٍّ وجعل معنى أسألك يا الله بفلان أي انا محب له، وهو
 تفسير لا يعقله الا مثله ولا يقبله الا شككه ، ولا يعرف الا في لسان الدجويين
 يارباه أن الصوت قد يحج والسمع كاذب أن يصم والغواذ أو شك أن يسقم مما أتى به
الشيخ من الكلام الغث والفكر الرث، فإذا أقول (فصر جميل والله المستعان)
 ثم ان الاتيان بقوله أو من (محسوبة) بعد الاول في غاية الظرف والالطف
 ضاق به العطن وعميت عليه مخارج الكلام على سمعتها وكثرتها فاستغاث باللفظ
 العامي المقوت، فصار كلامه كالثوب المرقع وكطعام السائل والاستدلال الاخير على
 قوله أبدع وأبدع

قال المعارض : وبالجمله فاكرام الله لبعض احياب نبيه لاجل نبيه بل بعض
 العباد لبعض أمر معروف غير مجهول. ومن ذلك الذين يصلون على الميت ويطلبون
 من الله أن يكرمه ويمفو عنه من اجاهم بقولهم : وقد جئناك شفعاء فشفعنا فيه .
 والمقصود من ذلك كما اثبات أن الله يرحم بعض العباد ببعض، على ان توجه الانسان
 الى الولي او النبي والتجاءؤه اليه تحس به روح النبي والولي تمام الاحساس، وهو
 كريم وذو وجاهة عند الله، كما قال (وكان عند الله وجبها) وقال (وجبها في الدنيا
 والآخرة) فتعتني تلك الروح بذلك الملتجئ اشد الاعتناء في تسديده وتأييده
 والدعاء له هي والملائكة الذين يحلون بها ويحبون مسرتها ورضاها والانبيا
 والاولياء محبوبون للملائكة بشاهد قوله عليه السلام « اذا احب الله عبداً نادى
 جبريل في السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه » الى آخر الحديث ، وان الملائكة
 تقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا (نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)
 كما نص على ذلك القرآن ، وذلك سر التوجه الى الاولياء وزيارتهم لتقريب ارواحهم
 لحال الزائر وتلفت الى معونته بما اعطاهم الله من الخصائص كما تنفع اخاك بما
 اعطاك الله من قوة أو وجاهة أو مكانة أو ثروة أو أعوان أو انصار الخ وان

الانسان هو هو في الدنيا والآخرة من حيث روحه التي هي باقية في العالمين جميعا وليس الانسان إنسانا إلا بها كما شرحناه . والامر جلي
* ولكنها الاهواء عمت فأعمت * اه كلامه

أقول: هذا الكلام قد جمع من التحريف والضلال ما لا مزيد عليه ، وكم قد خرق الشيخ الاجماع فيه وخالف صحيح المنقول وصريح المعقول ، وهو يظن انه قد جاء بما يستحق لاجله أن يصلى له ويسجد ، ويقام إكراما له ويقعد ، ولكنه يستحق أن يقعد فقط ، وسترى ما فيه من زيغ ، وقد رأيت ما كفى قوله : فاكرام الله لبعض أحباب نبيه لاجل نبيه الخ غير منكر وهو صحيح ولكن شتان ما بينه وبين الدعوى ليس في المحز ولا في الموضع ولا يفيد شيئا ، ومن ينازعه في ذلك ؟

قوله في صفة صلاة المصلين على الميت : قد جئناك شفعا فشفعنا فيه — الشيخ معزم لتأييد باطله باختلاق ما ليس واردا في الحديث فان هذه الالفاظ لم يجبي بها حديث وقد جهل ما يعرفه أطفال طلبة العلم * شذشنة أعرفها من أخزم *
وقوله . والمقصود من ذلك كله إثبات ان الله يرحم بعض العباد ببعض

هو غلط في المقصود فما هذا هو المقصود ، فان كان كما قال فقد تاب مما سود الصحائف وألوجه به ورجع إلى التوحيد وكلمة الاخلاص ، فان كان الغرض من ثبوت ذلك كلها ان الله يرحم مخلوقا بمخلوق ، فاسكت ساجدك الله ، وابق علينا أسماءنا وعقوانا وقد اتفقنا وما اختلفنا — جهل في الدعوى والدليل وضلال عن الغاية والسبيل
قوله: على أن توجه الانسان إلى الولي أو النبي والتجاء اليه الخ — كلام مضاد التوحيد ومعارض الاخلاص ، فالتوحيد والاخلاص هو التوجه إلى الله وحده .
قال إمام الموحدين خليل الرحمن بعد محاجة قومه التوجيهين للسكواكب (أي وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) فلم

يرض قومه منه ذلك كما لم يرض صاحبنا منا . فحاجوه (وحاجه قومه قال أحتاجوني
 في الله وقد هداني ولا أخاف ما نشر كون به) الآية (قل انني هادي ربي إلى صراط
 مستقيم * ديناً قima ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشر كين * قل ان صلاتي ونسكي
 ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين — قل
 أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة
 وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون — فأنم وجهك للدين
 حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل خلق الله ذلك الدين القيم ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون * منييين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشر كين —
 وان أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكون من المشر كين * ولا تدع من دون الله ما
 لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين — ان الدين عند الله الاسلام
 وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر
 بآيات الله فان الله سريع الحساب * فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن
 وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا
 فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد — ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه
 وهو في الآخرة من الخاسرين)

ان الله تعالى ما بعث رسله ولا انزل كتبه إلا باخلاص الدعاء لله والالتجاء
 اليه والانتقطاع بين يديه والعكوف على بابه بظاهر العبد وباطنه وقلبه وقالبه (ففرّوا
 إلى الله اني اكم منه نذير مبين — فأينما تولوا فثم وجه الله — قل اعوذ برب الفلق —
 قل اعوذ برب الناس)

ان الاسلام هو الاستسلام والانقياد، ومن اعظم معانيه وأشرفها التوجه إلى الله
 في كل الاحوال وجميع الاعمال . قال تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا
 ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله

الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين فقال حين نحرهما (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خنيفا وما انا من المشركين * ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين) وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في استفتاح الصلاة « وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خنيفا مسلماً وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين »

ما علمت أعظم هجوماً من هذا الشيخ على إفساد التوحيد ونقض ما بنته كلمة الاخلاص فبأية ملة رأيت ان الميث يتوجه اليه ويستقبل وينقطع اليه ؟ ومن قبلك من العلماء بل ومن الجلاء قل مقالتك هذه وادعى دعواك ؟ ومن اي كتاب اخذتها ؟ في القرآن : توجهوا إلى الاموات ؟ أم في الحديث ، أم في التوراة والانجيل ؟ وفي أي وقت يكون هذا التوجه ؟ في وقت الصلاة وقد قال عليه السلام « لا تصلوا في القبور ولا تصلوا اليها » أم حال الذبح والنحر ؟ تالله لقد خالفت إجماع المسلمين وسعيت في نقض ما بناء المرسلون

أليس التوجه عبادة بل أبلغها وأفضلها ؟ إذ يستلزم غاية الرجاء ، ومنتهى الدل ، ونحن نطالبك دليلاً أو شبه دليل من العقل أو من النقل ولو ضعيفاً ، أو عن عالم من العلماء من الأئمة الاربعة أو غيرهم المتقدمين بهم في الامة انه قال توجهوا إلى الاموات ؟ يا شيخ ألا تحجل ؟ ألا تخاف الله ؟ ألا تنزجر عن هذا الهجوم المزري والاقدام القاتل ؟

وقد زاد الشر استشراراً بقوله : والتجاؤء اليه
 في شرعة من الشرائع المنسوخة أو المبقاة استحسان الاتجاء الى الاموات ؟
 أليس الاتجاء هو العوذ والعياذ ؟ وهل يعاذ إلا بالله ؟ وهل ثبت في آية أو حديث ؟

عوذوا بمخلوق — فضلا عن ميت ؟ أهى قوله (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من
الشیطان الرجیم - وإما ینزعنک من الشیطان نزع فاستعذ بالله ؟) أم قوله (قل أعوذ
برب العلق — قل أعوذ برب الناس) أم قوله (فعلى الله فتواکوا ان کنتم مؤمنین) ؟
وقوله : وتحس به روح النبی والولی تمام الاحساس

قول مرذول لادلیل علیه بل الدلیل جاء مبطلاله نافیا . وكأن الدلیل عنده
هو قوله : الامر کذا ، الامر ایس کذا — توهم انه نبی من الانبیاء نال ذلك
بدعوته الاولیاء — انک لا تدري مکان الارواح ومستقرها ، وهل هی فی
السما أم فی الارض ، فكيف تحکم علیها ذلك الحکم والانسان لو کان حیا لما کان
محسأ بمن جاءه والتجأ الیه — الاحساس الذي ذكره للمیت !!

وقوله : وهو عند الله ذو وجهة — ثم تلا الآيتين

لا محل له من الکلام ولا مأوی له معنا ، فهل الردود علیهم ینکرون أن
الانبیاء وجهاء حتی یصلح استدلاله بالآیه ؟ ولكن لا یجد ما یکتب فیلجا بغير ملجا
إذ هو شغوف ان یسود الصحف وان ترتب ما ترتب

وقوله : وتعتني تلك الروح بالملتجئ الیها غایة الاعتناء بالتسديد والتأیید .
قول مکرر مردد ، علی ما به من السمج والسخف

وقوله : والملائكة الذين یجولونها ویحبون مسرتها — کلام حشو وقول لغو
لا فائدة فیہ ، ومادعا الیه عدا الخرق إذ ذلك مسلم ولا یفیده شیئا

وقوله : وذلك سر التوجه الى الاولیاء والزيارة لهم

قول فاسد وسر خبیث لا یسر ولا یقر وتحریف وادعاء ، وتعلیل الزیارة
بذلك علة قتله ، مخالف لاتفاق العلماء من محدثین وفقهاء ، ومکذب للاحادیث
الصحیحة الصریحة ، ففی الحدیث ان الرسول ﷺ قال « کنت نهیتکم عن
زیارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » وفی رواية « تذكركم الموت » وقد

تنتهي عليه السلام في بدء الاسلام عن زيارة القبور خوفا من عقيدة الشيخ هذه ، اذ هي صايعتده المشركون فأراد أن يطهر المسلمين من رجسها

وقوله : كما تنفع اخاك بما اعطاك الله من قوة وكذا وكذا

قياس مهين وتعداد شائن ، فما زال يردد التمثيل بالاحياء وقياس الاموات

عليهم ، وقد ابطالناه فيما سلف

وقوله : الانسان هو هو من حيث روحه الباقية في العالمين .

قول غير مرضي ، فالارواح في الآخرة مغايرة لها في الدنيا ، فهي في الدنيا ملموأة

بالغش والظلم والضلال والحقد ، ضعيفة حقيرة ، ولكن في الآخرة شأنها آخر

قوله : وليس الانسان انسانا الا بها

كلام لا حاصل له . لانه إن اراد انه ماسمي انسانا الا بالروح ، فلولا وجودها

في الجسم لكان له اسم غير اسمه فباطل محض ، ومن أين له أن تسمية الانسان

انسانا لاجل الروح ؟ وان اراد بكونه ليس انسانا الا بها نفي الانسانية الكاملة

فغير صحيح ايضا ، لجواز ان يخلق الله كاملا اكل من حالته الحاصلة بلا روح ، ثم

ما للتسمية وللروح ؟ وان اراد انه اذا فارقه الى الملأ الاعلى لا يسمى البدن وحده

انسانا ، فكذب اذ كل راء لميت — وان كان لا يؤمن بوجود الارواح مطلقا —

يسميه انسانا ويلقبه بهذا اللقب ، ويقول رأيت انسانا ميتا او حيا . وان اراد

بغيرها غيره معها — وانه ذهب بعضه فقول لا فائدة فيه معروف لكل احد ، كما ان

من قطعت يده مثلا يقال له انسان ، وان كان يعرف ذهاب بعضه منه ، وبالجملة

فكلامه ظلمات في ظلمات

وقوله : ولكنها الاهواء عمت فأعمت

صحيح وبهذا عى الاستاذ وفقد بصره وبصيرته ، أنجاه الله مما هو فيه . ان

ربي على ما يشاء قدير

قال المنعز : والخلاصة انه لا يكفر المستغيث الا اذا اعتقد الخلق والايجاد بغير الله . والتفرقة بين الاحياء والاموات لا معنى لها . فانه إن اعتقد الایجاد بغير الله كفر على خلاف للمعزلة في خلق الافعال ، وان اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر . وانه تعلم ان غاية ما يعتقد الناس في الاموات انهم متسببون ومكتسبون ، كالاحياء لا انهم خالقون موجدون كالاله ، اذ لا يعقل ان يعتقد فيهم الناس اكثر من الاحياء وهم لا يعتقدون في الاحياء الا الكسب والتسبب . فاذا كان هناك غلط فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب ، لان هذا هو غاية ما يعتقد المؤمن في الخلق والا لم يكن مؤمنا والغلط في ذلك ليس كفرا ولا شركا اه كلامه

في هذا الكلام من الغفلة والسطو وتكفير المؤمنين وافساد الدين ومحادة القرآن مالا يحيط به القول ولا يملئ به الكتاب

(اولا) قوله لا يكفر المستغيث الا اذا اعتقد الخلق والايجاد بغير الله فيه قاعدتان (الاولى) انه لا كفر الا باعتقاد المشاركة لله في الایجاد والخلق فمن لم يعتقد هذا الاعتقاد فليس مشركا ولا كافرا عند الشيخ وان آتى بكل ما يؤتى وفعل جميع ما يفعل وهذه مقالة لا يقولها انس ولا جان ولا يسلمها صالح ولا شيطان اذ تقتضى ان من سجد للاصنام وصلى وقرب لها القرابين وخضع لها تمام الخضوع وخافها منتهى الخوف ولو بال على المصحف وفي الكعبة وقتل الانبياء لم يكفر ولم يشرك مادام مستمسكا بالعروة الوثقى عند الشيخ وهي افراد الله بالخلق . ولعله اذا سمع هذا الالتزام هو ومن يتعصب له براني متجانفا في الحكم ولا والله لا حنف ولا مبالغة . فهو مؤدى عبارته ، فان قوله لا يكفر الا اذا اعتقد الایجاد والخلق بغير الله منتج ما اقول . فان « لا » اذا ادخلت على الفعل تسلطت على ماهية المصدر المشتق منه الفعل فنفتها ويكون حكمها حكمها لو دخلت على المصدر وقتل مثلا لا كفر اولا حصل كفر ولا شرك تفيد نفي الماهية . ومن هنا قال علماء العربية : إن النفي في الفعل كالنفي في النكرة ، أى في افادة العموم وقالوا نفي النكرة عام كفي الفعل . وكذلك الاثبات في الفعل كالنكرة في الاثبات من جهة عدم العموم

فمنه نأخذ أن قوله لا يكفر متسلط على ماهية الكفر كلها وسالها في كل وقت ومن كل احد الا في حالة وجود المستثنى . وهو اعتقاد المشاركة لله في الخلق والايجاد . ونحن نعرف أنه لا يريد هذه اللزومات ، ولكن تفانيه في حب الانتصار ، واستمثاره في حرب الوهابيين الموحدين أوقعه هذه الوقعة الداكة أضلاعه (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم شديد)

(القاعدة الثانية) أن من اعتقد الایجاد والخلق لأحد ما غير الله كفر وبرى من الاسلام ، وقد اكده مرارا

قال بعد ذلك بقليل فانه ان اعتقد الایجاد والخلق لغير الله كفر . وقال ايضا بعده والالم يكن مؤمنا - ثبت ذلك تثبيتا أزال الشك واحتمال السهو والمجاز في عبارته . ولا ريب ان هذا اخراج لاغلب المسلمين عن الاسلام . فأنعزلة يرون كافة أن العباد خالقون لافعالهم . وكثير من أئمة اهل السنة كما سبق يعتقدون بعض الایجاد لغير الله كإمام الحرمين وابي بكر الباقلاني وغيرهما وأئمة اهل الحديث طرا . والأئمة الاربعة وجميع الصحابة ومن قضي اثرهم يرون العباد فاعلين حقيقة لا مجازا . وقد ذكر ذلك البخارى وغيره من الأئمة . ولا فرق عند صاحبنا بين الایجاد والفعل والخلق ، بل العامة قاطبة من أشعرية وماتريدية ومعتزلة ومحدثين - ما لم يلقنوا هذا المذهب تلقينا - معتقدون ذلك ، ولا يمكن أبدا ان يفهموا الكسب الذين يريدون ، والذي عجز عن تحقيقه فحول العلماء وفلاسفة الاشعرية المنتصرين

للشيخ ابي الحسن الاشعري

وقد كفر الكتاب هؤلاء جميعا ، ثم بعد ذلك يصيح وينوح ويقول : ان

الوهابيين كفروا المسلمين

فيا أيها الشيخ اللائم بما فيه المنعف علي ما هو به اخلاق ، لقد قتلت نفسك بنفسك ومحت عن جنتك بظلفك ، واظهرت عيبا كان مستورا ، وجهلا كان

مقبورا، عسي أن ترجع عن انحرافك بعد أن ترى ما في كلامك من التناقض والتهافت
ويا لله العجب!! من أين اخذ ان اعتقاد الاليجاد لغير الله كفر؟ أم قول (أني
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه) أم من قوله (وتخلقون إفكا؟) (تبارك
الله أحسن الخالقين) (ان الله عليم بما يصنعون) (يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل) (اعملوا ما شئتم) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم) وقول الحديث «ومن الظلم ممن ذهب بخلق كخلقه»
«لعن الله من غير منار الارض» «لعن الله من آوى محدث» «كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة» «من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد»
وقوله: وانت تعلم ان غاية ما يعتقد الناس في الاموات انهم مسبيون ومكتسبون الخ
مقالة من لم ير الوجود ولم يوجد في العالم فانت لو ذهبت الى الطائفتين المقامات
الكبرى كمقام السيد الحسين والسيدة زينب والامام الشافعي واحمد البدوي
وغيرهم، وسألت الطائفتين بها العاكفين عليها أو نظرتهم فقط لعلمت يقينا ان كنت
ذا علم - انهم يعتقدون لهم التصرف المطلق والقدرة التامة، واجداد ما يريدون، بل
خلق ما يريدون، ولا يفهمون هذا التسبب الذي تقول والاكتساب، بل انت
لا تدريه وقد سبق من كلامك الذي نسيت ان الموتى يغيثون ويصرخون
مستصرخهم ويعطون سائلهم، فكيف تقول هذه المقالة وتشبههم بالاحياء سبق إبطاله؟
واغرب من ذلك كله قوله: إذ لا يعقل ان يعتقد فيهم الناس اكثر من الاحياء..
وهذا ناقض كلامه الغابر، إذ قال ان قدرة الاموات اكمل واعم وانهم اقدر واعلم
فاذاً قد اعتقد ما لا يعقل، او قال ما لا يعقل، لا يخرج له من الداهيتين، وكأنه
يرى القلم عنه مرفوعا لا لوم في ان يعتقد ما لا يعقل ويقول ما لا يعقل. أليست عبارتك
أيها الشيخ بنصها وفصها وغناها ورثاها: لا شك ان الارواح لها من الاطلاق والحرية
أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها كالاحياء سواء بل اشد وأعظم.

أوماقلت في الاموات: بل الشعور فيهم اعم وأنهم؟ وقلت كثيراً: ان الاموات
أقدر وأقوى من الاحياء، لخلوصهم من عوائق البدن وحجب الشهوات؟ .
أصبت والله بالتناقض أوالتسيان والافتتان. ثم كونه لايعقل يقتضي انه لم يقع ولا
يقع، ومن قال ان مالا يعقل لا يقع؟ وأكثر الناس لايعقلون (ولكن أكثر الناس
لايعلمون - وأكثرهم لايعقلون - وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)
وانما العقل أن نعتقد ندرة العقل، وان العجب أن يوجد ما يوافق العقل،
فكلام هذا الرجل كاه منتقم مردول لايصح منه شيء، إلا «لااله الا الله» وقد حرفها
ثم قال بعد ذلك: ولا نزال نكرر على مسامعك انه لايعقل أن يعتقد الناس
في الاموات أكثر مما يثبت في الحي، فيثبت الافعال للحي على سبيل التسبب
ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتي والايجاد الحقيقي، ولا شك ان هذا مما
لايعقل، فغاية امر هذا المستغيث بالميت - بعد كل تنزل - ان يكون كمن يطلب العون
من مقعد غير عالم انه مقعد، ومن يستطيع ان يقول ان ذلك شرك. على أن التسبب
مقدور للميت، وفي امكانه أن يكتسبه كالحي بالدعاء لنا، فان الارواح تدعو
لاقاربها كما في الحديث الشريف «إذا بلغهم عنه مايسوءهم فيقولون اللهم راجع بهم
أو لا تمتهم حتى تهديهم» بل الارواح يمكنها بنفسها كالاحياء، ويمكنها ان
تلهمك وترشدك كالملائكة، الى غير ذلك مما شرحناه، وكثيراً ما انتفع الناس برؤية
الارواح في المنام، ولعلنا نعود اليه. اهـ

قوله: لانزال نكرر على مسامعك الخ هي اصدق كلمة قالها الكاتب على مسامعنا
حتى حمدنا الصمم، ومدحنا البكم، وذمنا القول، فهل تجد مندوحة - جازاك
الله - أن تعفيني من تكرارك وإفمالك وإصدارك وما لديك الا الاعداء، بلا نفع
ولا إفادة. وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليقل خيراً أو ليصمت» وما بعد ذلك سلف القول فيه، وانه رأي عقيم فلا نكرر
كما كردد، ونسئم مثل ما نسائم

وأما الاعتراض الذي أورده من سؤال المقعد الذي خلل أنه به قد أقعد أعداءه
وأسكتهم وما هو إلا إزام مقعد ، وكأنه لما ظفر به ظفر بكتاب اليمين ، أو برضا
رب العالمين ، وهو في الحق لا يقال ولا يحكى لولا الحاجة إلى نقله لدحضه وما هو
قين أن يفخر به ، ولا أن يفرح لاجله ، ولكن

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
فتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم
وان الكلاب لتفرح بالجيفة ، والذباب بالارجاس (والميكروبات) ذي القيح والصدید
والجواب على هذا الاعتراض من وجوه :

(الاول) لان سلم المساواة والاتفاق بين المقعد والميت في سؤالهما ، فسؤال
الميت أخبث وأثمر وأشط عن المعقول والمنقول ، لان الميت (اولا) لا يسمع
(وثانيا) لا يفهم (وثالثا) لا يتكلم (ورابعا) لا يتحرك (وخامسا) لا يرى ، بخلاف
المقعد فإنه يستطيع هذه الامور ، فيمكن أن يجيب ويأمر من يجيب طلب السائل
(الثاني) في دعوة الميت من الخشية على العقيدة ما ليس في دعوة المقعد ، إذ
دعوة الميت مورد الغلو والعبادة له وليس كذلك المقعد ، فأرأينا ولا رأى
التاريخ ان مقعداً عبد ، وأما الاموات فقد عبدت كاللات والمسيح وعزير ويعوق
ويعوث ونسراً ووداً ومريم والسيد الحسين والسيدة زينب والامام الشافعي
وغير هؤلاء قديما وحديثا ، وكم وكم ، مما دهم وطم ، فلا تصح المقايسة بينهما والفرق عظيم
(الثالث) المقعد وأمثاله من الاحياء قليل ونادر بالنسبة إلى الميت ، والاصل
في الاحياء اللباقة بأن يدعوا ويسئلوا ، والميت بالعكس

(الرابع) العاجزون من الاحياء كالمقعد وأضرابه يشق الاحتياط من دعوتهم
إذ الانسان مدني بالطبع لا يمكنه الاستغناء عن الاناسي الاحياء ، فإذا كان الامر
كذلك فاما ان نقول لا تصح دعوة الاحياء مطلقا ، وهذا باطل محرج للامة ، أو

تقول تصح بعد تحقق القدرة ممن يسئل وقبل التحقق لا تصح ، وفي ذلك من المشقة والاعناء ما ياباه الشرع الرحيم ، فلم يبق إلا القول بصحة دعوة الاحياء وإزالة التضييق عنها في الامور المقدورة في العادة وعند توفر الاسباب الظاهرة المعتادة، وهذا التقسيم لا يلزم في الميت

(الخامس) دعوة الميت تتضمن الخشوع والخضوع والرغبة والرغبة والذل والمسكنة ظاهرا وباطنا بأبلغ معانيها، كما هو الواقع. وهذه الامور هي قلب العباداة ولباها، واما دعوة المقعد فلا تستلزم ذلك

(السادس) دعوة الاموات توجب الاعتقاد فيهم زيادة علي ما هم عليه وتمنحهم مالا يستحقون ، ولهذا ترى المعتادين دعوتهم يعتقدون او بعضهم انهم لا يخفى عليهم شيء من العالم ومن احوالهم، قربوا ام بعدوا ، اخفوا ام أعلنوا ، فيمتثلون منهم خوفا وبراقبوا منهم أشد المراقبة، وترى كثيرا منهم يقسم بالله كاذبا ولا يجرا أن يقسم بالولي الميت المعتقد عنده كاذبا وينتهك حرمت الله غير مبال، وان فعل ما يوهم انه يفضب الميت ببقي فزعا متوقيا الشر مستعدا لنزوله، فيراه في نومه خيالا وانه جاءه بصورة مفزعة بشعة هائلة، كاسد أوفيل او جل صائل. وسببه كثرة الخوف واحضار ذكره ومراقبته أمره وهذا افضل العباداة وأتمها، ولا شيء من ذلك ينجم من دعوة المقعد فالتسوية بينهما غاية الحق والبعد عن معرفة النفوس ودرس الطبائع (السابع) في دعوة الاموات يتسلط الشيطان ، ويتوصل الى ايقاع الناس في الخذور والعقائد الضالة الزائفة يخرج في زى الميت الصالح الذي يدعونه ويقول انا فلان الشيخ ، وانا الولي المقبور في جهة كذا. وكثيرا ما يحصل ذلك، وكما ترتب عليه من المنائب واحلال الحرام وتحريم الحلال. وترى اغلب العامة وكثيرا من العلماء اشباه العامة يرون للولي الواحد اجساما كثيرة، ويعتقدون له تشكيلات عديدة

وهذا باطل ببديهة العقل إذ الذات الواحدة لا تكون في زمن واحد في مكانين يعرف هذا بالضرورة ولهذا لو خاطبت العامي في ذلك لادرکه بسرعة واحاط ببطلانه وهذا منشؤه مثل الشيطان كما قال تعالى (قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل افاك أثيم) واكثر ارباب القبور اليوم افاكون أثيمون ، وقال (الم تر أنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) الأز : هو الدفع بشدة ولا شيء من ذلك في دعوة المقعد

(الثامن) في دعوة الموتى ما نراه الآن من فشو المنكرات وكثرة الموبقات المضادة للاديان جميعا، من اختلاط الرجال بالنساء وخروجهن من بيوتهن بغير محرم وما يصحبه مما لا يذكر، وم كم قد ألصقن ابنا بغير رحمه، وورثنه غير ماله، وحرمن طفلا من ماله، وم كم فرقن بين المرء وزوجا، ومامعه من بناء القباب عليها وايقاد السرج وتخصيصها وكسوتها وزينتها وسدانتها وجميع هذا قبيح مزجور عنه

(التاسع) في دعوة الاموات ذلة ومهانة وإهلاك للنفوس الحية ومنع للميتة من أن تكون حية، وتعودها الجبن والافتقار الى العاجزين إذا دعا الحي الميت مع العلم تعود الرضا بالحطة والهوان أنه ميت وشعر بافتقاره وهو قبيح في العقل والشرع (العاشر) يقال لا يصح قياس دعوة الميت على دعوة المقعد حتي تعلم عدم

الفارق بينهما ومن أين علمت عدمه ؟ اذ قد يكون ثم فوارق لم تعلمها

(الحادى عشر) يقال أعداؤك أقاموا الدليل ان الدعاء والاستغاثة عبادة . وصرف العبادة لغير الله شرك، اما في الاحياء العاجزين كالمقعد وامثاله، فقد اجمعنا وعلمنا بالضرورة من الدين أنه ليس شركا ولا كفرا واما الاموات فيبقون على الاصل، وان صرف العبادة اليهم شرك حتي توافي بالدليل على استثناء دعوتهم وما أتاه (الثاني عشر) جواب معارضته ، وهوان يقال : ما تقول فيمن اعتقد في

ولي من الاولياء أو عالم من العلماء ، كالشافعي مثلاً، بأن الله اعطاه التصرف المطلق

يحيي من شاء ويميت من شاء ، ويدخل الجنة من أحب والنار من أبغض
فان قلت يكفر فقد خالفت وتناقضت وحبط اعتراضك . وان قلت لا يكفر
ولا يضل فقد كبرت وخالفت ، واضحت مكبرتك سلاحا لخصومك يصولون
عليك به ، ونفر عنك احبابك ان كان لك احباب

ويقال ثانيا : ما تقول في رجل اعتقد في فرعون الصلاح والتقوي وانه في الجنة ؟
فان قلت كافر فقد مات اعتراضك . وان قلت لا يكفر ولا يزيغ فقد جاهرت
بالمكبرة للخاص والعام

ويقال ثالثا : ما تقول في الذي يري في رجل في العصر الحاضر انه مرسل من
عند الله موحي اليه ؟ فان قلت لا يكفر فقد فرقت الاجتماع وكذبت القرآن
والحديث . وان قلت يكفر قيل ما السبب في كفره ؟ وما الدليل عليه ؟ فان قلت
لانه اعتقد فيه ما ليس له ، فقد ضاع الزامك ومات خصامك . وان قلت لانه كذب
القرآن والاحاديث الناصة ان باب النبوة قد قفل . قلنا الادلة الدالة على عدم صحة
دعوة الاموات اظهر واوضح من ادلة انقطاع الرسالة

وبالجملة اعتراضه هذا من اهجن ما يقال واحقر ما يتصور - وان زعمه قويا
قاهرا - فكما حكى الله عن السحرة (فالتواحباهم وعصيهم وقالوا بعرزة فرعون انا
لنحزن الغالبون *) فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يا فكون)

وإنا أقوم ما أميلت وجوهنا الى معشر ، الا غدا الميت والنهي
فلا عائد منا معاذا بنجوة ولا هارب الا الينا بغى الدربا

قوله : على ان التسبب مقدور للميت وفي امكانه ان يكتسبه في الدعاء كالحي الخ
دعوى كاذبة مكررة لا برهان عليها وقد سبق امثالها كثيرا . ولو ثبت لم تغد

المطلوب كما تقدم

واما الحديث الذى جاء به فلا يقبل ولا يحتج به حتى يبين صحته. ومجرد اتيانه به ليس حجة ولا شبه حجة ، فلا استدلال به ساقط ولا سيما في مسألة التوحيد فضلا عن انه لم يبين من رواه من المحدثين

ثم يقال لو كان الحديث صحيحا ما كان دالا على الدعوى ، إذ غاية ما فيه انهم يقولون تلك المقالة بعد ان يبالغوا ماذكر ، وهذا لا يكفي في جواز دعوتهم والتوسل بهم ، وهل هو آخذ له من كونهم يفهمون ويشعرون ؟ لا يصح أن يكون، لجواز ان المسموع لهم هذا فقط لا غير وانهم لو سمعوا لا يفهمون ولو فهموا لا يجيبون، ولو اجابوا لما دلت الاجابة على الجواز كما مضى مرارا

وقوله بعد بل الارواح يمكنها المعاونة بنفسها كالاحياء ، ويمكنها ان تلهمك وترشدك الخ قول كاقواله السابقة معاد مبادء لا عدة ولا اعتداء ولا عمد ولا اسناد فليترك بلا احترام ولا احقاد

وقوله : وكثيرا ما انتقم الناس برؤيا الارواح في المنام

قول في غاية الحسن والابداع ، لقد تسفل غاية التسفل حتى رجع الى الاستدلال بالرؤي النامية (إن الاماني والاحلام تضليل) وهذا في منتهى الحكمة والفلسفة وما رأينا احدا - وطالما رأينا - ولا سمعنا - وكثيرا ما سمعنا - انه نام اعشى فاصبح يصيرا ، ورقد فقيرا فاسفر ثريا ، لانه رأى وليا في النوم فرد له بصره وابعده عنه فقره ، هب حصول ذلك ولكن من نباك أن السبب هو رؤية الارواح ؟ يجوز أن الله فعله ولا سبب له سوى ارادته الاحسان والرحمة لعباده ، أوله سبب غير ماذكر ويقال ايضا هب ان سببه رؤية الارواح ، ولكن الشأن في كونه حسنا ولطفا بالعباد إذ يجوز انه فتنة ونقمة وهيبه ليس كذلك ، ولكن كيف دل على جواز دعوة الارواح والاستغاثة بهم ؟

وقوله : ولعلنا نعود اليه

ونحن نقول : العود لنا أحمد (وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

فصل

واني اوجه الى هذا الشيخ المتبحر ، المتميز غيظاً وكبراً ، المتدفق ذهواً وفخراً
سؤالاً لا يمكنه منه النجاة ، الآن يرجع الينا ويقول : الاناة الاناة (واني لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) والزمه الزاما يكون عذابه عليه لزماً ،
إلا أن يرجع ويقول : السلام السلام

وهو أن يقال له : ما الشرك الذي نهى القرآن عنه وجعل الآتي به مخلداً
في جهنم أبداً ؟ فإن قال : هو أن تصرف شيئاً من العبادة لغير الله ، أي بأن تعبد
الله وغيره ؟ قيل وما العبادة التي اذا جمعت بين الله وغيره كانت شركاً وكفراً ؟
فإن قال : هو أن تعتقد أن مع الله خالفاً آخر وموجداً ثانياً

قيل أولاً . هذا ليس هو مدلول العبادة ولا معناها باتفاق أصحاب اللسان .
ويقال ثانياً يلزمك أن العبد لا يكون مشركاً حتى يعتقد مشاركة غير الله في الخلق
والإيجاد ، ولو سجد للآوثان والأصنام ، وصلى لها وصام ، وعمل كل جريمة وآثام ،
وتذر وذبح الأولياء وعمل كل ما يعمل غير اعتقاد الخالق لغير الله . ولا توقف في
بطلان ذلك عند كل أحد

ويقال أيضاً ليس هذا تفسير لآله الا الله التي جاءت الرسل بها . وجعلتها
المفرقة بين المسلم والكافر

وان قال زيادة على ما ذكر - وهو أيضاً ان تصرف شيئاً مما يسمى عبادة في
اللغة لغير الله ؟ قيل هذا أولاً هادم مذهبك وحصنك الذي تلجأ اليه ، اذا
قيل ان هؤلاء كفروا وعملوا اعمالاً مخرجة من الاسلام . قلت منكراً معظماً ذلك
بصوت يرازل الارض ، كيف يكفرون وهم يفردون الله بالخلق والإيجاد ؟ ومبطل
قولك السابق أيضاً ان المستغني لا يكفر حتى يعتقد المشاركة في الخلق والإيجاد
وبقال أيضاً : هذا مفسد لدعوة الاموات جملة لان الدعاء والاستغاثة بسميان

عبادة ، ويكون حينئذ اعترافك السابق واقعا عليك . فان قال لا يكفر الا اذا
 صرف العبادة لغير الله واعتقد انها عبادة فان لم يعتقد انها عبادة لم يكفر
 قيل هذا باطل باتفاق أهل المعرفة بل والجهلة

ويقال ثانيا عليه لو سجد العبد لغير الله وصلى وصام ونوى بها الحب والقربة
 لا العبادة لم يكفر وان قال ان الدعاء ليس عبادة ولا الاستغاثة . قيل له وكذلك
 السجود والركوع ليسا عبادة . وان قال إن من سجد لله وركع قيل له عبد الله .
 قلنا وكذا من دعا لله واستغاث به يقال عبد الله

وان قال: الدليل ان الدعاء والاستغاثة ليسا عبادة انه يجوز صرفهما للاحياء
 بالاتفاق ولو كان عبادة مآجرا بالمرّة .

قيل له أولا - هذا لا وجه له بعد اثبات انه يسمى في اللغة والشرع عبادة
 ويقال ثانيا - والسجود ليس عبادة ، والدليل على انه ليس عبادة سجد اولاد
 يعقوب وأبيهم ليوسف عليهم السلام ، وسجود الملائكة لآدم ، فلو كان عبادة
 مآجرا صرفه لغير الله . والدليل أيضا على ان السجود ليس عبادة انه وضع الجبهة على
 الارض ، والانحناء من معانيها . وقد يجوز ان يفعل ذلك الانسان لمخلوق لغرض
 من الاغراض وان يضع جبهته في الارض ، كأن يريد أن يريه شيئا أو يحمل له
 امرأ ولو كان عبادة لما جاز

وان قال سجد اولاد يعقوب والملائكة خاص بهم قلنا وكذا الدعوة والاستغاثة
 خاصان بالاحياء . وان قال بعض العبادة صرفها لغير الله شرك وبعضها ليس كذلك
 وصرف الدعاء لغيره تعالى ليس شركا وصرف السجود شرك ، قيل: وما الدليل على
 هذه المقالة وما هي الا محض تحكم ويمكننا عكسها

فان قال الدليل عليها جواز أن تدعو الاحياء وتسألهم وهو يفيد أن صرفه
 للمخلوق غير شرك قلنا - أولا - جعله في الاحياء ليس شركا مع انه في الاصل عبادة

لا يدل على ان صرفه الى الاموات ليس شركا لجواز ان يكون في هؤلاء شرك وفي غيرهم ليس شركا .

ويقال - ثانيا - والسجود والركوع من الامور التي صرفها للمخلوق ليس عبادة ولا شركا ، ودليله ما تقدم من سجد الملائكة وأولاد يعقوب وما قدمته من الامثلة المضروبة

ويقال - ايضا - الدعاء عبادة ام ليس عبادة؟ فان قال عبادة، قيل له اليست العبادة يجب صرفها كلها لله وان صرف شيء منها لغيره شرك . فان قال نعم الامر كما ذكرت قيل له ثبت قول اعدائك ان دعوة الاموات شرك . وان قال لا اوافق ان العبادة يتحتم صرفها لله . قيل هذا مع مخالفته للاجماع والضرورة الدينية والنصوص القرآنية كقوله تعالى (وقضى ربك الاتعبدوا الاياه - امر لاتعبدوا الاياه - ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون - واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا - فاعبد الله مخلصا له الدين الا الله الدين الخالص - وما أمرو الا ليعبد الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) مع مخالفته هذه المخالفة يمكن أن يقال كذا السجود والركوع والصلاة والصيام وغيرها من اركان الدين لعلها من العبادة التي صرفها لغير الله لا يكون شركا . ولا يقال في الدعاء والاستغاثه تأويلا ومخرجا الا قيل في السجود والركوع وسائر ما سبق كذلك . وان قال لا اسلم ان الدعاء عبادة . قلنا وكذا لا نسلم ان السجود عبادة . فان قال هذا خلاف الاجماع قيل وقولك خلاف الاجماع

وان قال ان من سجد لله يقال له عبد الله باتفاق اهل اللسان والمسلمين . قلنا وايضا من دعا الله واستغاث به يقال انه عبد الله بالاتفاق . وان قال ان السجود امر القرآن به . قلنا أمره بالدعاء أكثر وكذا الى غير نهاية حتى يرجع الى الحق . ويقال ايضا له ما العبادة؟ فان قال هي افراد الله بالخالقية والايجاد، قيل هذا باطل من وجوه :
 (الاول) ان المشركين العرب وغيرهم كانوا مقرين او اكثرهم بافراد الله بالخلق والايجاد ومعه كانوا عابدين للاصنام مشركين

- ﴿ الثاني ﴾ هذا يقتضي ا كفار المعتزلة وأغلب المسلمين وهو غير سديد
- ﴿ الثالث ﴾ انه خلاف ما قالت كتب اللغة التي نزل القرآن بها فليس هناك عالم انعوي فسر العبادة بهذا التفسير
- ﴿ الرابع ﴾ ان من صلى لله وصام وحج وعمل الاعمال البدنية يقال له عبد الله والاصل في الاطلاق الحقيقة
- ﴿ الخامس ﴾ من اعتقد وجود الله وانه خالق كل شيء ولكن لم يعمل خيرا قط لا يقال انه يعبد الله ولا عابده
- ﴿ السادس ﴾ هذا خلاف الحديث الصحيح القائل « الدعاء مخ العبادة » والرواية الاخرى « الدعاء هو العبادة »
- ﴿ السابع ﴾ انه يقتضي ان كل من افرد الله بالخلق لا يكون مشركا معها عمل ولا يخفي فساد
- ﴿ الثامن ﴾ هذا خلاف تفسير المفسرين الآيات النازلة في الامر بالعبادة، كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (فاعبد الله مخلصا له الدين) (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) فانهم يفسرونها باصلاة والصيام والخضوع والخشوع وامثاله
- ﴿ التاسع ﴾ لو كان كذلك لما كان لقوله (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) واشباهها من الآيات المفيدة أنهم يعبدون الاصنام معنى . ولو كانت العبادة هي افراد المعبود بالخلق لما صح اطلاق العبادة علي افعال المشركين في اصنامهم، فانه معلوم بالضرورة انهم ما أفردوهم بالخلق والايجاد وما رأوا انه لا خالق الاهم
- ﴿ العاشر ﴾ لو كان الامر كذلك كان قوله تعالى أمرا رسوله (واعبد ربك) تأكيدا والاصل في الالفاظ أن تكون للتأسيس . وإن كان غير ذلك في تعريف

العبادة وتفسيرها. فاما ان يقول هي كل ما يتقرب به الى الله تعالى ويقصد به قلنا وهل يتقرب اليه بالدعاء؟ فلا محالة سيقول نعم يتقرب اليه بالدعاء قلنا وهل يجوز صرف شيء من العبادة الى غير الله؟ فان قال يسوع. قلنا خالفت الدين اجمع (ثانيا) هذا الشيء الذي يسوع صرفه ممدود محصور معين، ام ليس كذلك؟ فان اختار الاول قلنا أين هذا المعين المحصور؟ وما الدليل على حده وحصره؟ وهلم جرا فلا يقول شيئا الا قيل له فيما يحرمه مثله حتي يعود الى السكوت والحصر وان قال ذلك غير معين ولا ممدود بل يجوز في كل جزء من العبادة صرفه لغير الله، كان من ابطال الباطلات وابعاد المستحيات، وإن قال في تعريف العبادة هو مالا يصح صرفه لغير الله لافي الدنيا ولا في الاخرى.

قيل أولا، لادليل عليه لامن شرع ولا لسان. وما كان كذلك لا يلتفت اليه ويقال ثانيا هذا يقضي باخراج كل العبادات او اكثرها عن كونها عبادات فان السجود مثلا جاء فعله في الدنيا لغير الله كما تقدم. وكذا الحج يكون غير عبادة، والقيام في الصلاة غير عبادة، ودعاء الله غير عبادته، والتسبيح واتمليل غير عبادة لان هذا الامور قد تكون لغير الله بالجملة، كما يقام للرجل القادم والزائر وامثالها، وتحتج ايضا للحاجة. والحج هو القصد في الاصل. وللأحباب، وتذبح لهم وتقدس اخلاقهم واعراضهم من الريبة، فلم يبق الا ان يقول الدعاء هو الذي ليس عبادة فقط. وان كان عبادة وصح الحاقه بها فلا عبادة يجوز صرفها للخلق وهذا مثل لما قشته والزامه وابطال مقاله. فان عقله صاحبنا رجع الينا ونفض يديه من دعوة الاموات والاستغاثة بالاجداث وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والله اعلم

الباب الرابع

﴿ فيما احتج به الشيخ من أقوال العلماء ﴾

قول ابن قدامة الحنبلي

قال الشيخ ابن قدامة - في المغني في زيارة النبي ﷺ - ثلثي القبر فتولي ظهره القبلة وتستقبل وسطه، وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله ويا خيرته من خلقه - إلى أن قال - اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت به أحداً من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، الذي يعبطه به الأولون والآخرون - إلى أن قال - اللهم انك قلت وقولك الحق (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وقد اتيتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربي . اهـ

(قال الدجوي) فانظر إلى استشفاعه به في قبره الذي يحرمه الوهابيون (الحنابلة) وأظن أنهم لا يجرون على التفرقة بين الاستشفاع والتوسل، وإن كنا لانستبعد منهم ما يعقل وما لا يعقل . إلى آخر سبه واقتداءه

والجواب على كلامه من وجوه :

﴿ الاول ﴾ إما أن تكون إماماً مجتهداً تأخذ بالدليل الذي تستنبطه أنت، وإما أن تكون مقلداً نقاد صاغراً إلى التحليل والتجريم . فإن كنت الاول - وما إخاله - فلا يصح لك أن تستدل بقول إمام مجتهد مثلك، بل يجب عليك البيان والبرهان . وإن كنت الثاني - وهو الواقع - فإما أن تكون مقلداً كل إمام وعالم، وإما أن تكون مقلداً إماماً واحداً من الأئمة الأربعة أو غيرهم، فإن كنت الاول لزمك التناقض والتهاوت والجمع بين الضدين . لأن ابن قدامة الحنبلي قال

مثلاً بجواز الوسيلة، وقال ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي وابن عقيل (الحنابلة) لا تجوز الوسيلة، فبأي قول عالم تأخذ؟

وأيضاً - على كونك مقلداً لكل إمام - يلزمك أن تأخذ بما قال ابن تيمية وابن القيم وابن عقيل وابن عبد الهادي، إذ هم أئمة وقد قالوا بمنع الوسيلة. وأما إن كنت الرجل الثاني، وانك مقلداً لإماماً واحداً فحسب، فاما ان يكون ابن قدامة او غيره من الأئمة الاربعة او غيرهم، فان كان الاول وما اظنه فاما ان تكون مقلداً له في كل شيء. وإما أن تكون مقلداً له في بعض الاشياء، فان كان الاول فهل قال لك: ان المجتهدين الآخرين والتابعين لهم إذا خالفوني فهم مخطئون يجب الرد عليهم - م ومحاربتهم؟ مطلوب منك الدليل على قوله

وأيضاً إذا كنت مقلداً له في كل شيء. وجب عليك أن تعتقد ان الله تعالى فوق العرش بذاته فان ابن قدامة قائل بذلك، وقائل أيضاً ان الحوادث تقوم بذات البارئ، وقائل ان كلام الله بحرف وصوت، وينزل بذاته الى السماء الدنيا كل ليلة ويحيي، ويتكلم ويقرب بذاته ويبعد - الى غير ذلك من العقائد التي جاءت بها السور القرآنية والاحاديث، وتقبلها ابن قدامة بقبول حسن

وأما ان كنت مقلداً له في بعض الامور خالفت وتناقضت وطولبت بالدليل على التفصيل، وما يصح فيه التقليد وما لا يصح، أو يجب أو يحرم. وأما ان كنت مقلداً لغير الشيخ ابن قدامة - واحداً من الأئمة الاربعة او غيرهم - فقد بطل استدلالك حرة، ولم تنل الا التعب والحرب والغضب - الا ان تقول ان الأئمة متفقون فقول ابن قدامة مثلاً عبارة عن قولهم أجمعين، فيقال لك مع بطلانه: نبؤني بعلم ان كنتم صادقين. ويقال أيضاً: إذا قول ابن تيمية وابن القيم وصاحب الصارم المنكي المحرمين للتوسل هو قول العلماء كافة

مابقي في يديك الا ان تقول: أريد ان أبطل كلام الوهابيين بقول الحنابلة

لأنهم يزعمون أنهم حنابلة . فيقال : خاب أمك ، وحبط عملك ، ورجعت بلا شيء ، وساء لك العقبي ، ويكون كلامك إذا قاصرأ على من هو حنبلي ولا يبطل التوسل علمياً ، ولا ينفع لدى المدعين الاجتهاد من الوهابيين وغيرهم ، وكذا لا ينفع المانعين الوسيلة من أرباب المذاهب الاخرى . ويقال أيضا لا ينفعك هذا حتى عند الوهابيين كلهم ، لأنهم اما ان يقولوا نحن مجتهدون نأخذ الاحكام من القرآن والحديث لا نقلد إماماً معيناً ، أو يقولوا إنا مقلدون . فان قالوا الاول بطل كلامك ، واستدلالك بقول ابن قدامة لا ينفعك في الدنيا ولا يوم الدين ، وإن قالوا الثاني وأنهم مقلدون فلا يفيدك أيضاً قول صاحب المغني ، سواء قالوا إنا مقلدون احمد بن حنبل او غيره . أما ان كانوا يقلدون الامام احمد فلهم أن يقولوا وجدنا ابن قدامة جازا توسل وهو من أئمة الحنابلة ، ووجدنا شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي وابن عقيل ومحمد بن عبد الوهاب منعو الوسيلة - وهم من أئمة الحنابلة - فرجعنا قولهم على قول ابن قدامة ، لأنهم أكثر عدداً ، وأقوى عدداً ، وأمتن سنداً . فظهر لنا ان هذا هو مذهب الحنابلة ، وهم أبعد عن الخطأ من ابن قدامة وأما ان قالوا إنا مقلدون غير ابن حنبل كشيوخ الاسلام ابن تيمية أو ابن القيم أو ابن عبد الهادي أو ابن عبد الوهاب فلا يكون لك معهم كلام

بقي عليك ان تقول : أنهم مقلدون لابن قدامة . فيقال كلا كلا . ومن قال لك ؟ وبقي لك أيضا ان تقول : يكفي ردأ عليهم ان الكتاب الذي فيه هذا الكلام طبعه جلالة الملك ابن سعود ، وصححه الاستاذ المحقق العلامة السيد محمد رشيد رضا إمام عصره ، ومحدث دهره - ليس بعيدا ان تفهم أن هذا اراد عليهم وملزمهم الحجة ، وهو من أضعف ما يقال ، وأوهن ما يختلق ، فمن قال او يقول أن من طبع كتاباً لزمه ان يعمل بكل ما فيه لم نعلم قبل اليوم مثله ، وهي الايام ولود للعجائب والغرائب

﴿ الجواب الثاني ﴾ نقول لا نسلم أن قول ابن قدامة حجة ، فان كنت تراهم

حجة. فهات برهانك فانه إما ان يكون مصيباً في الواقع او مخطئاً ، فان كان مصيباً فلا يجب علي الاخذ بقوله حتى اراه حقاً ، فان خالفته لانه قد بان عندي خلافه كنت معذوراً. أما ان كان مخطئاً فأحر به وأجدر ان يرد

(الجواب الثالث) * إما ان تكون استدلت من كلام صاحب المغني بالسلام عليه ^{صلى الله عليه وسلم} ومن زيارته ، او من مخاطبته او من ذنبك معا : ان كان كذلك فجوابه قد سلف مستوفي . وان كنت أخذت من تلاوة الآية ، فلا يصح اذ يمكن ان يقال : تلا الآية تحسراً على الكافرين الذين لم يطيعوا أمره ، وتبليانا لفضله ومقامه عند ربه حتى ان الله عاقب غفران ذنوب العصاة على الذهاب لديه واستغفاره لهم وقت ان كان حياً . ويجوز انه يريد يارب جعلت المغفرة عن المذنبين مشروطاً بالذهاب اليه واستغفاره في حياته ، وهذا غير ممكن الآن فألحق زيارة قبره في غفران الخطايا بزيارته حياً واستغفاره للمذنبين الجائنين

مابقي الا قوله : وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي . وقوله : مستغفراً بك الى ربي . أما الاول وهو قوله : قد أتيتك مستغفراً من ذنوبي ، فيجوز انه يخاطب الله فان قلت : كيف يقول أتيتك وهو لم يأته ؟ قلت على حد قول ابراهيم خليل الرحمن (وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين)

وأما الجملة الثانية وهي قوله : مستغفراً بك الى ربي . فهي أقوى مالدیه هنا ، وهي غير صريحة اذ يحتمل أن قوله مستغفراً أي سأستشفع يوم القيامة ، على حد (ان اجل الله لات - انما توعدون لات - آتى امر الله) وغير ذلك ، وغاية ما فيه انه مجاز وأكثر اللغة مجاز . وقد قال جمع من الاصوليين وأهل اللسان : لا مجاز في القرآن ، بل قد نفاه بعضهم من اللغة فيكون حقيقة ، والحامل الى المصير الى المجاز النصوص المفيدة ان الرسول ميت ، وان الميت لا يدعى ولا يسمع ولا يجب ويجوز ان قوله : مستغفراً بك ، اي بإيماني بك ، والمجاز بالخذف كثير ،

والقرينة على الأدلة السابقة . أو أن الخطاب لله ، وقوله : مستشفعا بك أي بذاتك
 يارب . وقوله : إلى ربي . أي اليك يارب : التفت من الخطاب إلى الغيبة ، وهو كثير
 بقي أن يقل : كيف يصح الاستشفاع بالله ، والاستشفاع لا يكون إلا من الدون
 إلى الأعلى ؟ قيل لا نكارة أن يستشفع بذات الله إلى الله ، كما يلجأ من الله إلى الله
 ويفر من الله إليه ويعاذ به منه كما قال (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) وكافي
 الحديث الصحيح « لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك » وفي الحديث الآخر
 « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي
 ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » والحديث الأول في البخاري ومسلم ، والثاني
 في مسلم فقط . وعلى هذا لا يكون في الضمائر اختلاف ولا تشويش ، بل تكون كلها
 راجعة إلى الله ، والكلام قبله يدل عليه ، ولا يستبعد ذلك مع تأويل المعارض
 في قوله « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » بزول رحمته وأمره . وقوله (ثم استوى على
 العرش) أي استولى - زاد حرفاً - ومع قوله في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ للجارية « أين الله ؟ » فقالت
 في السماء : أي أين رحمته وعظمته . ومع قوله في قوله (ولا تدع مع الله أحداً) أي
 ولا تعبدوا . وقوله (وما أنت بمسمع من في القبور - أنك لا تسمع الموتى) المراد
 بهم الكفار . ومع قوله (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) ان الآية تفيد
 دعوة الاموات والاستعانة بهم . ومع قوله في قوله (وكانوا من قبل يستفتحون على
 الذين كفروا) انها تفيد دعوة الاموات . ومع قوله : ان الاموات كالا حياء سواء .
 ومع قوله : ان العباد ليسوا فاعلين مطلقاً . ومع قوله : ان الملائكة تدعى وتسئل
 وان تصرفها بغير آله ولا ماسة . ومع قوله : ان الارواح تجيب سائلها وتشعر
 به تمام الشعور . ومع قوله : ان الاموات أعلم وأقدر من الاحياء . ومع قوله : انه
 لا يكفر العبد الا اذا اعتقد مع الله إلهاً آخر ، وغير ذلك من الامور التي تقشعر
 لها لها الابدان ، ولا يصح أن يلغظ بها ، بل يحتم ان تلفظ وترفض

(والجواب الرابع) يجوز أن ابن قدامة يرى أن رسول الله ﷺ خاصة حيـ
وانه يسمع ويحيب ، بخلاف غيره كما قال به بعض الناس
(والجواب الخامس) لا يفيدك هذا إلا نوعاً واحداً من أنواع التوسل
الكثيرة التي تريد إثباتها والتي هي شرك أكبر تسمونه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

كلام ابن القيم

ثم نقل كلام ابن القيم في كتاب الروح ، ظانا انه يفيد ويردله الروح . قال
قال ابن القيم ان للروح المظلمة من امر البدن وعلائقه وعوائقه في التصرف
والقوة والنفاذ والهمة والسرعة وسرعة الصعود اليه تعالى والتعلق به ما ليس للروح
المحبوسة المهيئة في علائق البدن وعوائقه ، بسبب انغماسها في شهواتها ، فاذا كان
هذا في عالم الحياة الارضية - وهي محبوسة في بدنه - فكيف اذا تجردت عنه وفارقت
 واجتمعت فيها قواها و كانت في أصل شأنها روحا عالية زكية كبيرة ذات همة عالية ؟
فهذى لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر . وقد تواردت الاحلام والرؤى
في اصناف بني آدم على فعل الارواح بعد الموت افعالا لا تقدر على مثلها حال
اتصالها بالبدن في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والغيالق بالاعدد القليل جدا ونحو
ذلك . وقد رؤى النبي ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت ارواحهم عساكر
الكفر والظلم ، فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين
وقلتهم اه ما نقل عن الامام ابن القيم

(والجواب عليه) إما ان يكون كل كلام ابن القيم حجة أو ليس كذلك فان كان
حجة قيل ان هذا هو الذي ألف كتاب الجيوش الاسلامية في الرد على المعطلة الجهمية
الذي يحكم فيه ويقرر أن الله بذاته فوق العرش ، وقد ابيت ان يكون حجة
صوابا بل جعلته ضلالا وزيفا وقلت مرات : أن من يقرأ هذا الكتاب بامعان

يخرج مشبها مجسما. وابن القيم هو الذي ألف كتاب الصواعق المرسلة في الرد على
الجهمية والمعطلة وقرر فيه ما لا يرضيك من اثبات العلو له تعالى والايان بما في
القرآن والحديث من الصفات لله تعالى ، كاليدين ، والعينين ، والساق ، والقدم ،
والذهب ، والانيان ، والصعود ، والنزول ، والضحك ، والعجب ، والاصابع ،
والجنب ، والحب ، والبغض ، والرضا ، والغضب ، وان كلامه بحرف وصوت ،
وهو صاحب كتاب زاد المعاد ومدارج السالكين ، وكتاب الداء والدواء ،
وكتاب شفاء العليل في القضاء والحكمة والتعليل التي يبطل فيها التوسل على نحو
ما اثبت الشيخ واخوانه ابلغ ابطال ويقيم على هذا الابطال من الادلة ما لا قبل
لك به ، ولا لأبرع منك ، ويبين ان دعوة الاموات من الشرك الاكبر الذي
لا يغفره الله والذي يخلد صاحبه في النار ابدا ، وهو صاحب الشافية الكافية في
الانتصار للفرقة الناجية التي حرر فيها الاعتقاد الصحيح والذي تعتقده تجسما وضلالا
كبيرا . فما لك جعلت هذا حجة وذلك غير حجة ؟ هذا ما لا يرضاه العادلون
ولا يحمده المنصفون (إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى ، أم للانسان ما تمنى ؟ فله الآخرة والأولى) (وإن يكن لهم الحق يأتوا
اليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض ؟) واذا لم يكن كلام ابن القيم حجة فما لك
احتججت بما ليس حجة ؟

فان قلت حجة عليكم وليس حجة علينا ، قلنا وعلام ؟ هل لنا كتاب وانكم
كتاب ؟ إن قلت لا أنكم مقلدون له دوننا ، قلنا ليس كذلك ، أمن تأليفنا أخذت
أنا مقلدون له أم من أسننتنا ؟ لم يكن شيء من ذلك ، وان قلت أخذته من انكم
تحبون كتبه وتعدونه إماما تتبعونه في كثير من قوله ، قيل هذا أكبر مما
تقدم كله ، وأبعد عن المعرفة والصواب . ثم لو كنا مقلدين له لوجب علينا ان نحكم
حكمه في التوسل ، وان دعوة الاموات شرك ، وما خالفناه في شيء من التوسل ،

وعبارته هنا محتملة ، وأما في الكتب الأخرى فصريحة في موافقته لنا . وإن قلت هو حجة فيما إذا كان موافقا للشرع . قيل إذا علمك البيان في أنه موافق هنا مخالف هناك ، وحينئذ تكون الحجة بالشرع لا بقوله

(الثاني) لا نصدق ما قال ابن القيم من حكمه على الأرواح هذا الحكم الغالي ، بل هو خبط وخرص منه ليس عليه إثارة من علم ، ولا إشارة من حكم ، ولا آية من القرآن ولا حديث من الأخبار وهيئات أن نعتقد أن الأرواح تهزم الجنود العظيمة الكثيرة غير مرئية ، وما رأينا ولا سمعنا أن جيشا كافرا كان أم مؤمنا ، فاسقام صالحا هزم بغير أسباب ظاهرية كجيش مقاتل وأمثاله . ولا رأينا ولا سمعنا أن أحدا أو أكثر في الحرب أو غيرها قطعت عنقه وجذت رجله أو يده ، أو كلم جسمه أو فقت عينه من غير أسباب مباشرة منظورة ، فما للأرواح إذا كانت قادرة هذه القدرة لا تفعل بالناس شيئا ، وما للأرواح الصالحة الظاهرة الزاكية لا تدافع عن حريمها وبلادها ودينها إذا كانت مستطاعة ؟ أترونها مخاطبة بقوله (وتعاونوا على البر والتقوى) وقوله (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقوله (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (وإذا أخذ الله ميتة من الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) إذا كانوا مخاطبين فإلهم لا يفعلون ؟ وإن كانوا غير مخاطبين فما الذي استثناهم من هذه العمومات وجعلهم منها محليين ؟ وكيف يسوغ أن الرسول وأبا بكر وعمر في عصر من الأعصار هزموا الكفار أو أذلوا الفجار بعد موتهم ؟ في أي سفر من الأسفار رأيتم هذه الأخبار ؟ فعليكم بالعقل والاعتبار ، وأي تاريخ رواه لنا أو أشار إليه ؟ وإذا صح أنه عليه السلام وأصحابه مباح لهم الفعل والقتال وهم قادرون ، فما الذي قعد بهم عن الجهاد في سبيله والدود عن دينه ؟ وهذه الأمة الإسلامية قد تمشي فيها الجهل تمشي الدم في الجسد ، والماء في الغصن ، والعدو قد أحاط بها إحاطة السوار

بالمعصم ، فإل الرسول وأصحابه ومن بعدهم بعد موتهم لا يرشدونها ويهدونها سواء سبيلها ؟ ولا يدفعون عنها عدوها

﴿ الثالث ﴾ أن يقال ان ابن القيم حكى رؤيا منامية، وهل هو يراها حقا وصدقا ؟ يحتاج الى بحث حتى نعلم انه يرى المنامات حجة ولعله جاء بها على سبيل الاستشهاد على أمور كان يثبتها لا على ان تكون حجة، ولهذا لم يأخذ منه ابن القيم نفسه أن الارواح تدعى ويستغاث بها

﴿ الرابع ﴾ هب الامر على ما قل ، وان الارواح لها من القوة والنفاذ الى آخر ما ذكر ، ولكن من اين استلزم ذلك صحة الاستغاثة بها ؟ هذا لا يلزم ، ولا يلزم ابن القيم فانه يصح لمن قال مقالته أن يمنع الاستغاثة بالاموات لامور :
(الاول) يمكن ان لها أفعالا دارجة عليها سواء طلب منها أم لم يطلب فالطلب

لا تأثير له فيكون عبثا ممنوعا

(الثاني) نحن وان فهمنا من الامور المذكورة للارواح انها قد تكون سبيبا لأن يطلب منها ولكن السبب قد يتخاف وقد يكون له موانع أخرى ، فلعلمنا مع هذه القدرة إذا دعيت نجم منه مفسد ومحرمات كثيرة كما نراه اليوم من المنكرات لدى قبور الصالحين وانصالحات، التي يتفطر منها كبد الاسلام ، وما إخلال الكتاب يماري فيما أقول . وكم تولد الموالد من الفحش والعهر والخبث والسكر وطالما رأى الناس في المقابر وعلى الاضرحة من الزنا والفواحش ومقدماتها

وقد حدث كثير من الشبان وأولي العصيان انهم لا يذهبون الى حفلات الموالد الا للصوق بالنسوان ، والنظر إلى وجوه الغلمان . وسمعت ذات يوم انسانا يروي لاصدقائه مستنكرا ما يروي متوجعا مما يدري . قال : كنت ذات يوم أمسين بين الاضرحة المشيدة فسمعت قارئا يقرأ في بعض الحجر المبنية على الميت . يقول الراوي فسمعت صوت القاريء ليس معتادا ولا آخذا حر كته اليهودية ، بل

إما قراءة سكران أو مجنون أو مصاب ، قال فأشرفت من بعض النوافذ وكان الباب مغلقا ، فرأيت القاريء عقد وقرن في الضريح بامرأة من الزائرات من غير وثيقة ولا شهود ولا ولي وان كان لها زوج حي مقيم في البيت فلا بأس بالجمع بين الرجلين على مذهب أرباب الاضرحه ورأي أصحاب القبور - وقد تبرع الشيخ المدفون وصار لها مأذونا وكان صاحب المقام جازاه الله أجاز لها التعريس في حجرته وبين يديه لتحصل لها البركة ، وكان الزوج الكريم - مع هذا - يقرأ القرآن الحكيم ، في حال نزوه عليها كما هي سنة الافراح المتبعة

فانظر الى ماجر الافتتان بالقبور والتعلق بالارواح . وكم وكمن الحكايات التي لا يقدر اليراع أن يمشي وسطها ، وعند عامة الناس وخاصة النساء من العقائد في الاموات شيء يبرأ منه كفار مكة ، ومشركو قوم نوح . فعلى هذا عل الاستغاثه بالاموات منعت وحرمت لما ينتج منها . ويقال أيضا : هب هذا ليس مؤثرا في المنع لكن يقال عسى أن تكون هناك موانع لم تعرفها فهل عندك دليل على نفيها؟

﴿ الثالث ﴾ لعلمها مع ذلك لا تسمع مناديا إذ هي بعيدة عنا في السماء او في الجنة او عند الله فاذا دعوناها لم تسمع ولو سمعت ما اجابت وهو لا ينافي ما ذكر لها من القوة والنفوذ

﴿ الرابع ﴾ يجوز انها مشغولة بذاتها ونعيمها وسرورها لدى خالقها ، ودعوتها تكون شاغلة لها عما هي فيه فيكون دعاؤنا لها ظالما وخطأ وتنكيدا لعيشها الرغد كما لو دعوت مصليا ومشتغلا بعبادة ربه لبعض شؤونك ، كنت مخطئا ظالما له ، وان كان قادرا على اجابتك

﴿ الخامس ﴾ اذا بطلت الاعتراضات والايادات السالفة فيمكن أن يقال : ان السؤال لها مع ذلك حرام فما كل ما يقدر عليه حلال

﴿ الجواب الخامس على كلام ابن القيم ﴾ قوله : الارواح فاعلة قادرة وفعلت

كذبا، ودمرت كيت، وأعزت هؤلاء وأذلت أولئك، كبقولنا ان فرعون وقومه أغرقهم البحر وأذاهم الجراد والقمل والضفادع والدم . وقولنا اهلك عاد الريح وقوم نوح أغرقهم الطوفان . ونمود أمانتهم الصيحة . والرسول ﷺ نصر بالرعب . وقول الناس عامة : البحار مغرقة، والأمطار محيية، والأرض نافعة مقيية والنجوم هادية، والشمس متوقفة حياة الأرض عليها — هل هذه العبارات تفيد أن صاحبها يجوز دعوتها والتوسل بها ؟ فإن كانت تفيد فيمكن أن يكون لكم شبهة في كلام ابن القيم والا فلا

﴿الجواب السادس﴾ ما سلف في الكلام على قول صاحب المغني قبل هذا والله أعلم

كلام الشوكاني

وأما ما نقل عن الشوكاني في اجازة التوسل فقد اشتمل نقله عنه على غاية الغش والتدليس ، وتلبيس الحق ، وأخذ ما يهوى ، وترك ما لا يرضى ، لانه نقل العبارة ووضعها وضعاً يفهم القاريء من كلام الشوكاني غير ما يريد ، فيحسب القاريء مما نقل أن الشوكاني يوافق في اجازة التوسل ودعوة الأموات ، اختزل كلامه اختزالا ، وحذف منه حذفاً مجحلاً يجعله غشا وخطأ وهوى مردولاً ، لان الكلام اذا كان متسقاً متصلاً ببعضه ببعض أفاد معنى ، وإذا غير نظامه أفاد معنى آخر قد يكون مضاداً للمعنى الأصلي . ألا ترى لو اقتصرنا على قوله تعالى (فويل للمصلين) ولم تقرأ (الذين هم عن صلاتهم ساهون) كان المعنى باطلاً خلاف ما يراد . وكذا لو فعلت بقوله (ولا تقربوا الصلاة) وقوله (وما خلقنا السموات والأرض) وقول المؤمنين (ربنا ما خلقنا هذا) ولو قلت في كلمة الإخلاص (لا اله) وانتهيت كنت في هذا كله مفسداً للكلام مغيره وكذلك التقديم والتأخير ولهذا يقول البلاغيون ولكل كلمة مع صاحبها مقام . ولقد كان اليهود هم الإخصائيين الأئمة في هذا

الباب « باب التحريف والابدال » (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم عن مواضعه) (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

وقد ذكر رجال الحديث في فن الجرح والتعديل ان الرجل إذا كان مدلساً غير عدل لا يقبل قوله ولا حديثه ولا شهادته على الرسول ﷺ . وأجمع العقلاء على أن النصف يأتي في مقام الاحتجاج بما له وعليه ، وإن من العش والعار الاتيان بما يوافقه فقط وإننا نقل لك شيئاً مما قاله الشوكاني في كتاب الدر النضيد الذي نقل منه الشيخ ، لتعرف مقدار تدليسه وتبليسه .

قال الشوكاني في نفس الكتاب في أثناء كلامه : إذا تقرر هذا فلا شك ان من اعتقد في ميت من الاموات أو حي من الاحياء انه يضره أو ينفعه ، إما استقلالاً ومع الله ، أو ناداه ، أو توجه اليه ، أو استغاث به في أمر من الامور التي لا يقدر عليها الخلق فلم يخلص التوحيد لله ، ولا أفرد به العبادة اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة ، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجراً أو شجراً أو ملكاً أو شيطاناً كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية ، وبين أن يكون انساناً حياً من الاحياء او الاموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين ، وكل عالم يعرف هذا ويقر به ، فإن العلة واحدة ، وعبادة غير الله وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد ، ويكون للحي كما يكون للميت . فمن زعم أن ثم فرقاً بين من اعتقد في وثن من الاوثان انه يضر أو ينفع ، وبين من اعتقد

في ميت من بني آدم أو حي منه أنه يضر وينفع، أو يقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله
فقد غلط غلطا بيّناً، وأقر على نفسه بجمل كثير، فإن الشرك هو دعاء غير الأشياء
التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواء أو التقرب إلى غيره
بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه، ومجرد تسمية المشركين بما جعلوه شريكاً بالصنم
والوثن والالهية لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من
المسلمين، بل الحكم واحد إذا حصل ممن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل ممن
يعتقد في الصنم والوثن إذ ليس الشرك هو مطاق إطلاق بعض الأسماء على بعض
المسميات بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه، سواء أطلق
على ذلك الغير ما كانت تطاقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار
بالاسم قط، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب به أهل
العلم. وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها
تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من
أموالهم، وهذا كله وقع من المعتقدين في القبور فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون
إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم العصية إذا كان في مشهد من يعتقد
أو قريباً منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت بل ربما لا يتركها إذا كان في
حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريباً من ذلك. وربما حلف بعض غلاتهم
الله كاذباً ولم يحلف بالميت الذي يعتقد. وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع، فلو لا
بإشتمال ضمايرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتاً أحياناً عند استجلابه لنفع
أو استدفاعه لضرر قاتلاً: يا فلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك، وأنا بالله
وبك. وأما التقرب للاموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في
كثير من الحالات. ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل،
وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

ثم قال الشوكاني : فان قلت : ان هؤلاء القبوريين يعتقدون ان الله هو الضار النافع ، والخير والشر بيده ، وإن استغاثوا بالاموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله . قلت : وهكذا كانت الجاهلية فانهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع ، وإن الخير والشر بيده ، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز . نعم إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقاً ، ولكن من زعم انه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد . من الخلقين وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الاموات بالذبايح والندور ، وناداهم مستغثاً بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه انه متوسل فقط ، فلو كان الامر كما زعم لم يقع منه شيء من ذلك ، وانتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد ، لان المدعو هو الله سبحانه وهو المحيب ولا تأثير لمن وقع به التوسل

ثم قال : بل من زعم انه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه : يا فلان منادياً لمن يعتقد من الاموات فهو كاذب على نفسه ، ومن أنكر حصول النداء للاموات والاستغاثة بهم استقلالاً فليخبرنا ما معنى ما نسמעه في الاقطار اليمنية من قولهم (يا ابن عجيل ، يا زيلعي ، يا ابن علوان ، يا فلان يا فلان) وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شاك ؟ وما عدا ديار اليمن فالامر فيها أطم وأعم ، ففي كل قرية ميت يعتقد أهلها وينادونه ، وفي كل مدينة جماعة منهم حتى أنهم في حرم الله ينادون (يا ابن عباس يا محجوب) فما ظنك بغير ذلك فقد تطف ابليس وجنوده أخزاهم الله لغالب أهل الملة الاسلامية بلطفه فزئزئ الاقدام عن الاسلام ، فإننا لله وإنا اليه راجعون

ثم قال الشوكاني : أين من يعقل معنى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فلا تدعو مع الله أحداً - له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون

لهم بشيء) وقد أخبر الله أن الدعاء عبادة بقوله (ادعوني أستجب لكم—ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وأخرج أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة» وفي رواية «منع العبادة» ثم قرأ الآية المذكورة— وكذا النحر للاموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة، والتعظيم عبادة لهم، كما ان النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله بغير خلاف. هذا كله كلام الشوكاني. ثم قال:

(فان قلت) ان المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد وهؤلاء المعتقدون في الاموات يقرون بها (قلت) هؤلاء إنما قالوها بالنسبة لهم وخالفوها بأفعالهم، فان من استغاث بالاموات أو طالب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله أو عظمهم أو نذر لهم بجزء من ماله أو نحر لهم فقد أنزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الافعال، فهو كاذب على نفسه لم يعتقد معنى لا إله إلا الله، فانه قد جعل إلهًا غير الله يعتقد انه يضر وينفع وعبدته بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له وتعظيمه إياه ونحر النحائر، وقرب اليه نفائس الاموال، وليس مجرد قول لا إله إلا الله من دون عمل بمعناها مثبتًا للاسلام، فلو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلامًا

ثم قال (فان قلت) هؤلاء المعتقدون في الاموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شرك بل لو عرض أحدهم على السيف لم يقر بأنه مشرك بالله، ولا فاعل لما هو شرك بل لو علم أدنى علم أن ذلك شرك لم يفعله

(قلت) الامر كما قلت، ولكن لا يخفى عليك ما تقر من أسباب الردة انه لا يعتبر في ثبوتها العلم بمعنى ما قاله من جاء بلفظ كفري أو فعل فعلاً كفرياً
ثم قال فنقول لمن صار يدعو الاموات عند الحاجة ويستغيث بها عند حلول

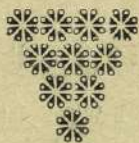
المصيبات ، وينذر لهم النذور وينحز لهم النحائر ، ويعظمهم تعظيم الرب - ان هذا الذي يفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية ، وهو الذي بعث الله رسله بهدمه . وقال أيضا : واعلم أن من الشبه الباطلة التي يوردها المعتقدون في الاموات في انهم ليسوا مشركين من أهل الجاهلية أنهم انما يعتقدون في الاولياء والصالحين وأوائك اعتقدوا في الاوثان والشياطين . وهذه الشبهة داحضة تنادي على صاحبها بالجهل . وقد نقل في كتابه هذا كلام ابن القيم في أن ما يفعله هؤلاء اليوم من دعاء الاموات شرك أكبر ، بل أصل شرك العالم - وأقره

وقال الشوكاني أيضا : قال شيخ الاسلام تقي الدين في الاقناع : ان من دعا ميتاً وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر . وقال أبو الوفاء بن عقيل في الفنون : لما صعبت التكليف على الجهال الطعام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها (يا مولاي افعل كذا وكذا) أو إلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى . اه كلام أبي الوفاء بن عقيل وقال الشوكاني : قال ابن حجر الميمني الشافعي في شرح الاربعين : من دعا غير الله فهو كافر .

وقال قال شيخ الاسلام تقي الدين في الرسالة السنية : ان كل من دعي من نبي أو رجل صالح فقد جعل نوع له من الالهية : مثل أن يقول . ياسيدي فلان أغثني أو انصرني أو ارزقني أو اجبرني ، وأنا في حسابك ، ونحو هذه الاقوال ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب نجا وإلا قتل . وكلام الشوكاني كله يدور على هذا وعلى تسكفير من دعا الاموات وأنهم كقريش الذين قاتلهم الرسول بل أشر ، والتوسل الذي أجازه الشوكاني هو أن يسأل الله بالعمل الصالح

سواء كان العمل من المتوسل أم من غيره ، واستدل بحديث الثلاثة أصحاب الصخرة الذين آوهم للميت الى غار فانسد عليهم الغار فتوسلوا الى الله بصالح أعمالهم فنجاهم الله. هذا هو المتوسل الذي أجازته ، وإن كان الشوكاني قد وهم في استدلاله بحديث أصحاب الغار ، لانه لا يدل إلا على توسل المرء بعمل نفسه فحسب ، وأما عمل غيره فلحديث لم يدل عليه

فقال هذا المعارض جاء من كلام الشوكاني بما يوافق مذهبه وترك ما يبطله ، أنها لمنات ووصمة لا ياجأ اليها إلا الضعفاء الذين يتعلقون بالهواء ، ويكتبون على الماء ، وهب أن الشوكاني أجاز التوسل كما أجزته فلا يضرنا في مذهبنا ، ولا يجب علينا أن نرجع اليه ، وليس هو عندنا رسول بل هو من جملة العلماء يخطيء ويصيب ، فردك علينا بكلامه أو هن من بيت العنكبوت ، لانه إما أن يكون وافقنا أو خالفنا : فإن كان وافقنا فلا كلام لك ، وإن كان خالفنا فليس قوله حجة يعتمد عليه إلا أن يكون هناك دليل ، فإن كان دليل فالحجة فيه لا في كلام الشوكاني ، فصار التعلق بالشوكاني عبثاً ، ومشياً على الشوك . والله أعلم



اعتراض مسلم مكى على الشيخ الدجوى وجواب الدجوى له

صدر الجزء الخامس من السنة الثانية لمجلة (نور الاسلام) فاذا الشيخ الدجوى قد اذهب بهجتها بهنديانه السخيف ، وآرائه الهالكة ، وقد زعم ان مسلماً مكياً أرسل له خطاباً وسأله أسئلة وطلب منه الجواب بالحاح وضراعة . وقد ذكر شيئاً من أسئلة المكى المزعومة ، ونحن لا ندرى أهو صادق أم غير صادق ؟ ولا نستبعد عليه انتحال هذه القصة واقتراء هذا المسلم المكى ، وقد سبرنا عليه الغلط والغش في النصوص القرآنية والحديثية ، وأقوال العلماء المسطورة المشهورة كسابق ، والشيخ مصابيح الشهرة والكتابة فيما ينفع وما لا ينفع حرصاً على ان يكون في سباط الكتاب المشهورين ، وزمرة العلماء المذكورين ، فلا غرو إذا قال إن مسلماً مكياً سألتني ووضع أسئلة من عنده وأجوبتها ، ايري الناس انه من المعلومين للاقطار المرجوع اليهم من أقصى الافاق ، حتى من الحجاز ، وخوفاً من عيب الناس له إذا ذكر كلامه هذا من غير سبب جديد ، لانه قد كرهه مراراً ، وأعاده وأبداه حتى أسأم وأمل . ونحن نكمل الحقيقة إلى الله ، ولكن علينا أن نجيب على أجوبته المخطئة منها ونصوب الاسئلة المستقيمة سواء كانت حقيقية أم خيالية ، وان كل الاجوبة التي جاء بها أو أغلبها قد سبق نقضها في كلامنا السابق ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن نشير إلى شيء من غلطه وخطئه هنا لئلا يتوهم أو يوهم المجز فينا والغلب له ، وسأجعل كلام المكى عنوانه (قال المكى) وعنوان كلام الدجوى (قال الدجوى) وقولي بعنوان (قلت) (قال المكى) هل جاء في السنة ان الرسول ﷺ علم الناس أن يسألوا الصالحين من الاموات ويطلبوا منهم الدعاء ؟ أرجو أن تذكروا ولو حديثاً واحداً

(قال الدجوي) ونحن نقاب عليه السؤال فتقول: هل جاء في السنة أن الرسول ﷺ نهى الناس أن يسألوا الصالحين ويطلبوا منهم الدعاء؟ أرجو أن تذكر لنا شيئاً من ذلك ولو دليلاً واحداً

(قلت) هذا جواب من لا يعرف من الخطاب لفظاً ولا معنى، ولا روحاً ولا جسماً، وهو شبيه بكلام الاطفال والمرورين، فأني عاقل من أول الدنيا الى يومنا هذا أجاب بمثل هذا الجواب، فالعلماء والجهلاء إذا سئلوا عن أمر من جهة إثباته أو نفيه كان الجواب منهم أحد ثلاثة أمور لا زيادة عليها: إما النفي أو الإثبات، أو لا أدري. ومثال هذا الجواب جواب من يقال له: هل في القرآن أو السنة أو أحدهما: اصنعوا كيت؟ فيقول المسئول هل في القرآن أو الحديث لا تقرّبوا كيت، وهل نهيا عنه؟ ومن قيل له: هل الحكومة أمرت عمالها وموظفيها بصنع كذا؟ فيقول المسئول: هل نهت الحكومة عن ذلك؟ ومن قيل له: هل أثبت العلم الحديث مسألة كيت وبحث كذا؟ فيقول هل أبطلها العلم؟

وهذه جميعها أجوبة خسيسة لا يقوها مفكر، وصاحبنا هذا سمع جواب المعارضة عند المتكلمين والفلاسفة فلم يحفظ لفظهم وفهم معناه فأخرج منه هذا الزعاف (قلت ثانياً) نعم نهى الرسول ﷺ عن دعوة الاموات، وأذكر لك شيئاً كثيراً لا دليلاً واحداً فحسب: قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) ليست الاموات أحاداً؟ (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً - والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوادعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير) وقال (انك لا تسمع الموتى - وما أنت بمسمع من في القبور - ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) والاموات لا ينفعون ولا يضرون بدليل الآيات السالفة، وبدليل قوله تعالى

(قل اني لا املك لكم ضرراً ولا رشداً - قل اني ان يحيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) وقال (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو - انك لا تهدي من أحببت)

وقال ﷺ « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » والمراد إذا أردت السؤال والاستعانة . وقال ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الخ الحديث ، وإذا كان لا يعمل ولا يدعو فأني يسأل ويدعى ؟ وقال تعالى (قل أئندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ورد على أعقابنا بعد إذا هوانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثننا ، قل ان هدى الله هو الهدى) وقال ﷺ « الدعاء هو العبادة » وفي رواية « مخ العبادة » وقال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احساناً - أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم) وفي الحديث الصحيح : أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نسأل أحداً ، فكان الرجل من أصحاب الرسول يسقط سوطه من يده فلا يقول لأحد ناولنيه

لم يبق إلا اعتراضه بالاحياء ، وقوله : هذه النصوص تفيد أن لا يدعى الاحياء وقد سبق جوابنا على هذا في أول الكلام مشبعاً فلا نعيده وهو قريب

(وقلت ثالثاً) هب انه لا دليل يمنع دعوة الاموات ولكن هذا لا يقتضي جواز دعوتهم لقيام الأدلة العقلية والنقلية عندكم على أن الله خالق كل شيء ، وموجد لكل حادث . ومن المعلوم ببدهة العقل أن دعوة من ليس له فعل ما ولا إيجاد ما عبث وخرف وجنون

(وقلت رابعاً) سلمنا أنه لم يوجد لا هذا ولا ذاك لكنك لازلت مطالباً بالدليل إذا كان عندك دليل اذ من سئل عن علم يعلمه وجب عليه بنده (قال الدجوي) ثم نقول ثانياً : ان جواز الاشياء لا يتوقف على الامر بها

بل على عدم النهي عنها كما هو مقرر في علم الاصول (قل لا أجد فيما أوحى اليه محرماً على طاعم يطعمه) الخ فكل ما لم يرد فيه نص بالخطر فهو مباح على ما تقتضيه الآية . وعلمنا عليه السلام في السنة الصحيحة أن ما أمرنا به فعلناه ولم نتركه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ولم نفعله ، وما سكت عنه فهو عفو ، فهذه هي قواعد العلم الذي يعرفه العلماء

(قلت) هذا جواب باطل وغلط من وجوه :

(الاول) لا يصلح جواباً يقينياً، إذ السائل يطلب : هل أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى فعله ونص على حكمه ؟ غير ناظر الى المسئلة الاصولية التي جاء بها من أن الاصل في الاشياء الحل

(الثاني) السائل سأل : هل أرشد الى فعلها ؟ ولم يقل هل أمر بها أو نهى عنها ، أو هل هي حلال أم حرام . والمجيب أخذ يتكلم على الامر والنهي (الثالث) قوله : كل ما لم يرد فيه الخطر فهو مباح — مجازفة لا برهان عليه . والآية سيأتي الجواب عنها

(الرابع) قوله : كما هو مقرر في علم الاصول — فرية على الاصول ومقرريه فالمسئلة خلافية بين الاصوليين وفيها مذاهب ثلاثة [الاول] أن الاصل في الاشياء الحل ، وهو قول شرذمة من العلماء [الثاني] الوقف والخيرة الا أن يرد دليل بأحد الامرين ، وهو مذهب الامام الاشعري وأبي بكر الصيرفي وبعض الشافعية [الثالث] أن الاصل في الاشياء النزع والخطر حتى يأتي الدليل ، وهو مذهب الجمهور ، وقد نصره ابن حزم نصراً مؤزراً ، وأقام عليه الادلة الكثيرة من القرآن والحديث والعقل ، وفند كل ما خالفه ، وهذه المذاهب الثلاثة مذكورة في الكتب الصغيرة المقررة في الازهر وغيره ، فال هذا الشيخ لم يطالع عند الكتابة إذ لم يحفظ قضاء لحق الامانة والدين ، واحتياطاً من الكذب . قال الله تعالى (ومن أظلم ممن افترى

على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين)
وفي الحديث الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة : اثنان في النار وواحد في الجنة ، قاض عرف الحق فلم يقض به فهو في النار ، وواحد لم يعرف الحق ففرض به فهو في النار ، وقاض عرف الحق ففرض به فهو في الجنة » فصاحبنا من أي القضاة ياترى ؟
وفي سنن أبي داود ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال « من سئل فأفتى بغير ثبوت فأنما اثمه على من أفناه » وفي الترمذي وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال « من دعا الى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن دعا الى هدى فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » ومثله في صحيح مسلم ، فلائي معنى جعل المذاهب الثلاثة مذهباً واحداً وهو أقلها عدداً ؟ هذا عين الغش ، هذا ما لا يصح من مدعي العلم والتحقيق ، ولا ممن يكتب تحت عنوان ضخيم موهم هو قوله [لفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء] والامر كما قال الاندلسي :

مما يزهدي في أرض أنداس ألقاب معتصم فيها ومعتصد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالمريحيكي انتفاخا صولة الاسد

الأنه صار من أهل الاجتهاد المطلق ، والبحث الحر ، ضيع المذهبين وباهمهما وما هذه سنة المجتهدين ، إذ هم يذكرون ما في الباب من المذاهب ، وينصرون مذهبهم (ولكن الجوع فعال) وإذا سلمنا اجتهاده واستبداده بالآراء ، فأين براهيته ؟ انها لسوآء

(الخامس) استدلاله بالآية هزيل جداً إذ هي في المطعومات ، فهي تقول (على طاعم يطعمه) وهل كل الاحكام التي من جملتها الوسيلة مطعوم ؟ إلى الآن لم يعرف الشيخ ذلك وان يعرف ، وأيضا عدم وجدان الشيء محرماً لا يفيد حله فهناك واسطة وهو التوقف والتردد بين الامرين كما هو قول بعض الاصوليين فيما لم يأت فيه نص . وأيضا عدم وجدانه في الوحي لا يدل على عدمه في العقل او في الالهام

أو المنام . وأيضاً عدم وجدانه في أول الامر لا يقتضي عدمه في آخره . وأيضاً الحصر في الآية اضافي بالنسبة إلى قول المشركين ، ببرهان أن ثم أموراً محرمة لم تذكر في الآية . وأيضاً هي تكلمت على طعمه وتناوله مغذياً ، ولم تتكلم عليه من جهة وجوه الانتفاع الآخر

(السادس) قوله : ان الرسول علمنا أن الذي ينهي عنه إلى آخر ما قال — لا يفيد شيئاً في دعواه لان السكوت عن الامر وكونه عفواً لا يرشد انه حلال جائز ، فاعل معنى الحديث الذي يشير اليه يعني أن السكوت عليه نسكت نحن عليه معاشر المكلفين ونسكت أيضاً عن السؤال عنه خوف التعسير والتضييق . وقد كان صلوات الله عليه يكره كثرة السؤال ، ويختار أن يصمتوا على ما صمت عليه ويقول «دروني ماتر كتمكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» ويقال أيضاً : ليس لديك في الحديث إلا كونه عفواً ، ومن أين ان العفو معناه الحلال ؟ تطالب بالبرهان ، إذ يجوز انه معفو لنا السكوت عليه وعنه . ثم بعد هذا نقول : الحديث يفيد ان ما لم يبين لنا بتحليل أو تحريم هو عفو ، والذين يقولون ان الاصل في الاشياء الحرمة يجاوبونك بأن الدين نص أن الاصل في الاشياء الحرمة فكان مما لم يسكت عليه ، فخرجت من هذا الحديث بلا شيء

(السابع) قوله : هذه قواعد العلم الذي يعرفه العلماء — تقول على العلماء ، وقد أبنا قبلاً أن المذاهب في المسئلة ثلاثة

(قال نسكي) هل يلزم من عدم دعوة الاموات ومخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم ؟ وإذا قلتم بالتلازم فبينوا وجهه بالبرهان ، واذكروا من الصحابة والتابعين والائمة المتبوعين من قال بجواز هذا النوع من التوسل

(قال الدجوي) نعم من كان مثلكم ينكر التوسل والاستغاثة وجب أن ينكر كرامات الاموات ، فانه إذا لم يصح أن نتوسل إلى الله بالميت ولا يمكنه أن يدعو

لنا ولا نستطيع روحه أن تفعل شيئاً كما هو اعتقادكم ، فأى كرامة تكون بعد ذلك ؟ وما معنى إثباتكم إياها وقد نفيتم عنه كل عمل وقدرة ، ومنعم أن نتوسل به إلى الله ليفعل لنا ما نريد لأجله ، فأى شيء يبقى بعد ذلك ؟

(قلت) ما في هذا الكلام من الضعف والوهن بين وسيزداد بيانا ، فقله : يجب أن تنكروا كرامات الاموات - قول لا يقوله المتقون فهو أمر بالمنكر وإيجاب للباطل ، فهنا مخطئين ضالين في إنكارنا ذلك فكيف توجب علينا أن ننكر الصحيح الحق ، أما هو زيادة في الضلال ؟ ومن قال ان من رأى باطلا وجب عليه أن يرى باطلا آخر ؟ ومن اعتقد منكرآ وجب عليه أن يعتقد منكرآ آخر ، وذلك كمن قال لليهودي والنصراني : اكفروا بالمسيح وعزير وآدم وإبراهيم وسائر الانبياء والرسول لانك أنكرت نبوة محمد رسول الله ﷺ وهو لازم لك ، فاذا كفروا بمحمد لازمهم أن يكفروا ببقية اخوانه المرسلين - هذا لا يقوله مهتدي ولا عاقل غوي ، فالشر يجب تقليله حسب الطاقة وجهد المتطاع ، والدجوي يوجب تكثيره ، إن هذا أمر وإيجاب للفحشاء والمنكر (ان الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، أتقولون على الله ما لا تعلمون) وهل إذا أنكر مسلم أمراً ثابتاً في الاسلام تقول له يجب عليك ان تنكر أمراً آخر ؟ فاذا قال المعتزلي : لا أو من بهذا الحديث لانه خبر آحاد تقول له يجب عليك أن تكفر ببقية الاخبار الاحادية وجوباً حقيقياً ؟ بل الذي يقوله العلماء والمتكلمون لمثل هذا : انه يلزمك هذا مع انهم يقولون يجب عليك أن لا تأخذ بالالزام وأن تؤمن بما كنت به مؤمناً من الحق . وهذا أمر لا قتام عليه . وإذا قل المجسم مثلاً ان الله على العرش جالس وهو مركب مثلاً من الاجزاء وله حدود ، فهل يزيد في ضلاله ونقول له اعتقد انه مخلوق عاجز وإن لم يعتقد هذا يكون تاركاً واجباً ؟ ومقصود الشيخ أن يقول : يلزمكم هذا فخائته قريحته الوقادة ولسانه المنطيق

فكان من خطله وشناعة قوله ما كان ، و فرق شاسع بين العبارتين ، وإن كان يريد
 أنا إذا اثبتنا الكرامة ونفينا الوسيلة لزمننا ما قال ، فقول غير صحيح ، وإلزام ما لا يلزم
 وقوله بعد : فانه إذا لم يصح أن تتوسل الى الله بالميت الخ مبني على مقدمات :
 (الاولى) أن الكرامة من فعل المكرم ، وهي مقدمة باطلة (الثانية) أن الكرامة
 محصورة فيما يُطلب ويسأل من المكرم ، وهي غير صحيحة (الثالثة) انه يلزم من القدرة
 على الامر جواز فعله وجواز طلبه ، وهي مما ينازع فيه (الرابعة) أن الكرامة مقصورة
 على حال الموت ، وبعد الموت لا كرامة وإلا يجوز أن نقول الكرامة لهم في الحياة فقط
 ولا يلزمنا إبطال الكرامة مطلقا ، وهو واضح (الخامسة) انه يلزم على القول بأنها
 من فعله قدرتهم عليها في كل حين ، وهو غير مسلم (السادسة) انه يلزم من إثبات
 الكرامة أن يسمع صاحبها من مناديه وسائله ، ولقائل أن يقول : له كرامة بعد
 الموت وقبله ولكن لا يجوز أن نسأله لانه لا يسمع ولا يفهم خطابا ، والسؤال
 متوقف على ذلك (السابعة) أنا لم نمنع الوسيلة بالاموات لأسباب غير ما ذكر ، فلا
 مانع أن يقال : لهم كرامة وقدرة على فعلها وإيجادها لكن لا يجوز الطلب منهم لعل أخرى
 (قال الدجوي) وأما طلبكم منا ذكر من جوز ذلك من التابعين ، والأئمة
 المتبوعين ، فنحن نقول : ان الامة كلها قبل ظهور ابن تيمية على هذا الجواز ،
 وتحداكم فنقلب السؤال عليكم فنقول : هل يمكنكم أن تذكروا لنا من التابعين
 والأئمة المتبوعين من منع ذلك النوع من التوسل ؟ أليست المذاهب كلها مجمعة على
 توسل الزائرين للحجرة النبوية صلى الله عليه وسلم ؟

(قلت) أما ادعاؤه ان الامة مجمعة على التوسل بجميع مدلولاته التي يقصدها الطغام
 في عصرنا فمن أكذب الدعاوي وأبعدها . وأنا أتحدك من يومنا هذا إلى يوم قيامتك
 على أن تقيم دليلا واحدا أن صحابيا - أبابكر أو عمر أو غيره - أو تابعا أو من بعدهم من
 أئمة الاسلام كالامام احمد أو الشافعي أو مالك أو أبي حنيفة - جوز التوسل على المعنى

الشركي الذي تروجه، أو فعله فأين أنت وإجماع الامة؟ هيهات هيهات وإيم الله لا تجد اليه سبيلا، ولو بعثت أنت وشهداؤك حتى ينقطع الوريد. لقد سجلت على نفسك وخلدت لها ما بقي الملوان الذكري الجميلة

فيأشبه المعقول، ويحافظ المنقول، إذا كانت الامة مجمعة على الوسيلة سبعة قرون بغير خلاف، فأين هذا الاجماع؟ وأين من نقله؟ وهو مما يجب ان ينقل نقلا يزيل الشك والمرية، ويصير به الحكم قطعيا كما نقل سائر العبادات المجمع عليها كالصلاة والصيام والحج والزكاة، وان تملأ كتب السالفين من ذكره، فأين هو؟ ان الامة لم تجمع على مسائل كثيرة مع أن النصوص فيها أوضح من الشمس ضحى، فكيف تجمع هنا على هذا الامر المعلوم من الضرورة بطلانه؟

قوله: إنا نتحدثكم ونقلب عليكم السؤال الخ

فنحن نقول في ذلك القلب الذي ليس له جسم ولا قلب، الجواب عليه من وجوه (الاول) انه لا يلزمنا مطلقا، لأننا ندعم مذهبنا بالقرآن والحديث، فليس متوقفا على النقل عن صحابي أو تابعي أو عالم، وانما يفتقر اليه المقلدون

(الثاني) الاصل عدم وانهم لم يقولوا شيئا، فهم ولدوا بلا قول ولا فعل من هذا، فمدعي عدم البراءة مطالب بالدليل

(الثالث) الآيات والاحاديث مستفيضة بالنهي عن دعوة غير الله من أحياء وأموات، والمعروف ان المسلمين لا يخرجون عن ظاهر الآيات والاحاديث الا بما جبي. فمن ادعى الخروج كان مكلفا الدليل

(الرابع) لو فعلوه لنقل اليها، والتالي باطل، فالقديم باطل، كما نقل اليها صلاتهم وصيامهم وحجهم وعبادتهم

(الخامس) المفسرون عندما يأتون الى تفسير الآيات المنقدة على المشركين الناهية لهم عن عبادة غير الله يفسرونها بالدعاء والسجود والخضوع، وكذلك الآيات الآمرة بعبادته تعالى

(السادس) كتب اللغة تحدثنا أن الدعاء من انواع العباداة، والحديث يقول « الدعاء هو العباداة » ونحيا . والمعلوم بالضرورة عند المسلمين كافة ان العباداة يجب صرفها كلها لله

(السابع) في كثير من الانباء عن العلماء ان بعضهم قال : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . وقال بعضهم : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة السجين بالسجين . وفي الحديث السابق ان أصحاب الرسول ﷺ كان يسقط من أحدهم سوطه فلا يقول لأحد ناولنيه وعدم سؤال غير السوط أولى منه ، فهو يفيد انهم ما كانوا يسألون أحداً مطلقاً ، والميت أقن وأجدر

قوله : أليست المذاهب كلها مجمعة على توسل الزائرین للحجارة النبوية الخ كلا كلا . ما أجمعت ، ولا قاله بعضهم الا إن كان يريد بالتوسل : السلام عليه والتحية ، وليس بعيداً عليه . ونحن نتحدثه على رؤوس الاشهاد في أن يأتيها بنص عن إمام من الأئمة الذين زعم انهم اجمعوا على التوسل الذي نتكلم فيه ، وإنا نميله أشهراً وإن شاء أعواماً على أن يحقق دعواه . وهذا كتاب الام للإمام الشافعي ، والموطأ للإمام مالك والمدونة ، والفقہ الأكبر للإمام أبي حنيفة . وكتب الامام أحمد هل فيها شيء من ذلك ؟ لا شيء ، فإذا ما هذا الاجماع والمذاهب التي أجمعت على التوسل هي أوهام وأحلام جاء بها فكر (من لا يوجد الزمان بمثله)

والظاهر أن الشيخ انما يقصد بالأئمة نوعاً آخر يعتقدده هو أئمة ، من المتأخرين الجامدين أمثاله في القول في العلم بغير دليل والجرأة على الباطل بالهوى وتحريف القرآن عن مواضعه . والا فقد ثبت عن الامام مالك رضي الله عنه أنه سئل عن قول القائل : زرت قبر النبي ﷺ فقال لم نسمعه من الاولين - أو ما هذا معناه - ثم قال والله لا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها

فيأشيعن إن كنت صادقاً فأجب إلى تحدينا واثبت لنا نقلاً عن واحد من

هؤلاء وإلا فالخجل الخجل ، والوجل الوجل من الله أو على الأقل من الناس
(قال الدجوي) ولو قلتم ان الاولى أن يرجع الناس في كل امورهم إلى الله بلا
واسطة ، او قلتم ان هناك مقاماً تسقط فيه الاسباب والوسائط كما قال ابراهيم
الجبريل : أما اليك فلا — عند ما قل له : ألك حاجة؟ — لو قلتم هذا وسلكتم هذا
المسلك لم ننكر عليكم ولم نشدد في مناقشتكم

(قلت) كلامه هذا مخالف للاديان الالهية والوضعية ، وقول المرء : ان
الاولى ان يرجع إلى الله في الامور كافة من غير واسطة وان الاسباب في حين ما
تبطل وتلغى ، إما ان يكون حقاً موافقاً للدين او باطلاً : إن كان الثاني فعدم
إنكاره علينا منكر ، إذ هو إقرار على الباطل وهو لا يجوز ، فالدين يأمر بالدعوة إلى
الحق وإنكار المنكر بغير مداينة ولا مساهلة ، فكيف لا ينكر علينا ولا يشتد في
مناقشتنا ؟ هي هفوة صدرت من محايها ، وزلقة في موضعها

وأما إن كان الاول - وانه يريد أن هناك مقاما دينياً تسقط فيه الاسباب
والوسائل - فشيء لا يعرفه الدين ولا العاقلون ، فأبي حديث أو آية أو مقالة عالم
حكمت ان الاسباب والوسائل تبطل ولا ينظر اليها ؟ ماترك الانبياء عليهم السلام
الاسباب الصحيحة طرفة عين في انفرادهم واجتماعهم ، والكتاب الكريم حاض
على التمسك بالاسباب ناه عن إهمالها ، يأمر بالجهاد واعداد آلاله وعتاده بأكل
وجه في كل وقت ، وهو سبب من الاسباب ، ويأمر بالصلاة والصيام وسائر
أنواع الطاعة ، وهي سبب - يأمر بالسعي لطلب الرزق والفقى والعزة والمجد -
يأمر بطلب العلم وتعلم أخبار الانبياء والحكماء - يأمر بالتداوي والعلاج والاحتياط
من الاسقام ، وهي سبب من الاسباب - يأمر بالاكل والشرب وما يتوقف عليه
قوام البدن حتى أكل الميتة عند الضرورة ، وهي سبب من الاسباب

وأما ما احتج به من قول ابراهيم عليه السلام فمن أبرد الاحتجاج ،

فالقصة لم يذكر لها إسناداً ، ولا صحة ولا ضعفا ، فأنى يحتاج بها ؟
(الثاني) ليس في القصة ترك الاسباب ، غاية ما فيها انه لم يحتاج إزاء ذلك إلا الله تعالى ، فأين ترك الاسباب ؟

(الثالث) أن هذا إهمال بعض الاسباب في بعض الازمان ، فكيف يؤخذ قاعدة عامة ؟
(الرابع) انه في دين غيرنا فلا يحتاج به حتى نؤمر به ، وديننا أمر بالحض على الاسباب
(الخامس) يصح ان هذه القصة احتفاظ بالاسباب لا ترك لها ، وان ابراهيم رأى المصلحة والفائدة في إقامته في النار لتظهر الآيات والمعجزات عين الظهور وهو أخذ بالاسباب
(السادس) أن ترك الاسباب في الملائكة فقط جائز ، أو في العالم الروحاني بسبب لانعلمه ، ومصلحة راجحة في الاخذ بالاسباب ، فهو إهمال سبب لسبب أولى منه
(قال الدجوي) ولو كان لكم رأي في المسئلة غير التكفير لقننا مجتهدون ظنوا ظنا وإلى الله أمرهم ، ولم مجتهد أخطأ ، ولكن الذين أخطأوا لم يقدسوا أنفسهم ذلك التقديس ، ولم يحملوا الناس على مذهبهم بالسيف ، لانهم يجوزون أن يكون الحق في جانب غيرهم ، ويعلمون ما جاء عن الرسول أن «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وان من رمى أخاه بالكفر فقد كفر أو كاد
(قلت) فيه من الخطأ ما نشير إلى بعضه

(الاول) صدر الكلام يفيد اننا غير مجتهدين إذا كفرنا في المسئلة ويقتضى ان التكفير ليس فيه اجتهاد ، وهو خلاف قول الناس قاطبة ، فالاجتهاد يكون بالتكفير كما يكون بالتبديع ، ولم بين أهل السنة والمعتزلة والمشبهة والمجسمة وأهل الحديث وغيرهم من المسائل المختلف فيها على وجه التكفير ، بل ترى العالم من فرقة كذا مثلاً يكفر على مسألة ، ويأتي العالم الآخر من فرقته ويخالفه ، والاشعرية والمازيرية الذين هم أهل السنة عند الشيخ مختلفون في تكفير أهل الاهواء من أهل القبلة كالفائلين بالجهة وقيام الحوادث بذات الباري والتغير والتجيز ، وكونه جسماً

وأن كلامه بحرف وصوت ، وانه خالق كل شيء من الحسن والقيح إلى غير ذلك
فبين علماء الاشعرية أنفسهم اضطراب واختلاف ، كما وقع بين الرازي والآمدي
والغزالي وابن رشد الحفيد وغيرهم من فحول الاشعرية . ولاكن ما الحيلة عند
من ليس له حيلة ؟

(الثاني) قوله الذين اخطأوا لم يقدسوا انفسهم الخ مبني على ثلاث قواعد :
(الاولى) انا قدسنا أنفسنا (اثنائية) ان غيرنا لم يقدس نفسه (الثالثة) أن تقديس
النفس غير محمود . وكلها فيها نزاع ، وهبنا قدسنا انفسنا فماذا يكون ؟ يجب ان نقديس
نفوسنا وأجسامنا ، اذ خلاف أن ضد التقديس الترجيس والتنجيس قال الله تعالى
(قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها — وثيابك فطهر) قال جمع من
المفسرين المراد نفسك وقلبك : وقال (ان الله يحب التوايين ويحب المتطهرين)
وقال (وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريبتكم انهم اناس يتطهرون)
واذا لم يكونوا قدسوا انفسهم فقد رجسوها ونجسوها فعادت الفضيلة — عند
صاحب الفضيلة — رذيلة والرذيلة فضيلة (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من
يشاء — ومن يضل الله فما له من هاد) نعم لا أدري من اين أخذ تقديسنا انفسنا ،
أمن اننا ندعوا الى مذهبنا وعقيدتنا ؟ أم لاننا نعمل بما نراه ونعتقد به بالدليل حقا ؟
أم لاننا جازمون بعقيدتنا ؟ فكل مجتهد هكذا

(الثالث) قوله : ولم يحملوا الناس على مذهبهم بالسيف — غير صحيح فما زال
القتال والتقاتل بين المسلمين المتخلفين قائما ، وكم حكم العلماء من السنيين وغيرهم
على من خالفهم بالاعدام والكفر والتحريق . وأين فتنة القول في القرآن والفتنة
بين الحنابلة وابن جرير الطبري في بغداد ، وأين غير ذلك ؟ وأصغر تاريخ يعرف ذلك
وقوله : لانهم يجوزون أن يكون الحق في جانب غيرهم — تفرع مريض
وهو يفيد أمورا (الاول) ان الظنيات لا يقاتل عليها (الثاني) ان العقائد بعضها

ظني وهو خلاف ما عند الاشعرية (الثالث) انه لم يكن هناك مخالف مبطل اعتقد أن الذي خالف فيه قطعي . وهذه الامور كلها لا تصح . وهل المعتزلة مثلاً يرون أن الذي هم عليه غير جازم ، من اعتقادهم أن العباد خالقون لأفعالهم ، وكذا في اعتقادهم نفى رؤية الباري ونفي القضاء والقدر ، ومثله سائر ما خالفوا فيه أهل السنة . وقول الحنابلة: إن الله يتكلم بحرف وصوت ، وتقوم بذاته الحوادث ، وينزل إلى السماء الدنيا وأنه في جهة وإن ألفاظ القرآن المتعاقبة المرتبة غير مخلوقة . هل هم في ذلك على ظن وأنه يجوز أن يكون الحق بيد غيرهم؟ ومثله جميع ما بين الطوائف الاسلامية من المسائل المختلف فيها في العقائد . إن قيل كانوا يرونها ظنيات كان طعننا على مذهبكم من أن العقائد لا بد فيها من القطع ، وإن قيل يقطعون في المسائل اختلف فيها كل يرى مامعه هو الحق . بطل رأي الاستاذ

(الرابع) قوله: ويعلمون ما جاء عن الرسول من أن سباب المسلم فسوق الخ — ما أن يريد به انهم لم يكفروا بالاجتهاد كلهم من معتزلة وسنية وشيعية . إن كان يريد ذلك فقد قال قولاً بعيداً ، ولقد كفر بعض الصحابة بعضاً خطأ واجتهاداً ولم يحكم أن المكفر كفر . كعمر بن الخطاب قل الحاطب بن أبي بلتعة : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق — وحاطب بن أبي بلتعة من أهل بدر المغفور لهم وخالد بن الوليد قتل قبيلة بعد أن أسلمت اجتهاداً منه ، وأسامة بن زيد قتل مسلماً بعد أن قال لا إله إلا الله . وقال — لما عاتبه الرسول ﷺ — إنما قلها استعصاماً

وفي حديث الافك أن بعض خيار الصحابة قال لسعد بن عباد : يا منافق انك تجادل عن المنافقين . ولما ذهب الرسول الى بيت عتيان بن مالك ليصلي فيه مكاناً يتخذة مسجداً اجتمع كثير من الصحابة عنده وسأل الرسول عن رجل من الصحابة فرماه كثير منهم بالنفاق ، وما كان كذلك ، وكذلك معاذ لما أطال الصلاة بالناس خرج رجل من الصلاة لانه كان وراءه نواضح ، فغضب معاذ وقل

انه منافق ، وما كان كذلك . ولم من الاخبار في هذا الباب
 واما إن كان يريد علمهم ذلك بقطع النظر عن الخطأ في وضعه والعمل به
 فلا معنى له ، لأننا كذلك نعلم الاخبار التي جاء بها من أن سباب المسلم فسوق الخ
 ثم قوله : انهم يعلمون أن سباب المسلم فسوق إما أن يقصد انهم أجمعين علموا هذا
 الحديث ورأوه ، فما بعده ، فكيف تجمع الامة على الاطلاع على حديث واحد
 رواه البخاري أو مسلم أو الكتب أجمع ، مستحيل في العادة علمهم إياه كلهم —
 وإن كان يقصد انهم يحكمون ذلك الحكم من عموم الدين أو من نصوص أخرى
 دالة ان الذي يكفر المسلم ليس مسلماً فهو غير صحيح من وجهين

(الاول) انه لا يمكن أن يأتي بدليل على ذلك فهو نقول عليهم (الثاني) هذا
 إخراج لجملة المسلمين من الاسلام ، إذ يقل أن يوجد مسلم لم يكفر مسلماً خطأ ،
 والصحابة الذين سبق ذكرهم يقتضي هذا انهم كفروا

(قال المكي) لا يمكننا أن نسوغ توجه المسلم العارف بربه ، الآنس بذكره ،
 إلى عبد من عباد الله انتقل إلى عالم آخر لا يعلم حاله إلا الله ، يسأله ويخطبه بعد أن كان
 متلذذاً بخطاب الله ومناجاته ، ولا يخفى عليكم حديث أم العلاء من صحيح البخاري
 وفيه انها شهدت لمهاجر - وهو أبو السائب - توفي عندها ، وقالت : اما شهداتي
 عليك فالتد أكرمك الله ، فقال الرسول ﷺ « وما يدريك ان الله أكرمه ؟ »
 إلى غير ذلك من الاحاديث وأمثلة ، وكلها تدل أن الاموات أفضوا إلى ما قدموا
 وانه لا يجوز لأحد أن يحكم حكماً جازماً بأن ميتاً منهم من أهل الجنة أو النار إلا
 ما ورد النص بانه من أهل الجنة أو النار ، كما ورد في أهل بدر وبعض الصحابة
 كعكاشة ابن محصن رضي الله عنهم . اهـ

(قلت) هو كلام كما ترى صحيح لا معزز فيه ولا مطعن ولكن سترى ما قال فيه الدجوي
 (قال الدجوي) ان السائل أدرج في مقاله هذا الخطابي أشياء لا تتركها له

بل نناقشه الحساب ، أما التمويه بذكر توجه المسلم إلى ربه وتلذذه بذكره ، فهو
لذيذ في الاسماع يكاد يأخذ بمجامع القلوب ، ولكن هذا مقام تحقيق علمي لا ينفع
فيه التمويه ولا تفيد فيه الخطابة ، وقد قلنا فيما سبق لو كان رأي الوهابيين أن
هذا مقام الكمال لم نتعرض له ، ولكن بدعوا وفسقوا وكفروا الخ فأن هذا مما
يقوله السائل ؟ فان كان يريد أن الاشتغال بذكر الله ومناجاته أولى فليس الخلاف
بيننا وبينه في الاولوية ، ولكن الناس درجات بعضها فوق بعض ، ولا حرج على
من يلتفت للأسباب والوسائل علما أن الله هو الاول والاخر وهو ممد كل شيء
والفيض على كل شيء ، واليه يرجع الامر كله ، ولا بين من ترك الأسباب ثقة
بالمسبب ، فكان هذا غريبا في قدرته كما كان ذلك ناظراً إلى حكمته ، عاملاً بسنته ،
فلا حرج على هذا ولا ذاك — وإن صح أن تقول إن بعضهم أفضل من بعض —
وهل ما ذكر السائل في حديث التلذذ والانس الذي قطعه خطاب الاموات صحيح
او تمويه وخيال ؟ ولماذا لا يقول مثله في الطلب من الاحياء ؟ أليس الانس بالله
ومناجاته خيراً من الطلب من الاحياء ، ولو كان أميراً أو وزيراً ، أم التفضيل الذي
ذكره لا يتحقق إلا بين الطلب من الاموات والطلب من الله ؟

وقد أدمج في كلامه ما يلهج به كثير من الجهالة في أن الميت لا تدرى حاله ولا
مات عليه ، وهو سوء ظن بالسامعين بل بالله ، فنلفت نظر السائل الى أن من
عاش على شيء مات عليه كما في الحديث الشريف ، فهذه هي حكمة الله الغالبة وما عدا
ذلك فشاذا لا يقاس عليه لحكمة يعلمها هو

(قلت) في هذا الكلام من التعصب والغايط الشيء الكثير

(الاول) قوله أما التمويه بذكر توجه المسلم الخ فقول ليس عليه مسحة من
تحقيق ، فكيف يكون الالتجاء إلى الله والانكسار بين يديه ، والاستغناء بما
لديه تمويها . فإذا قواه تعالى (فلا تدع مع الله أحداً) تمويه . وقوله (ففروا إلى

الله) تمويه . وقوله (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) تمويه . وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) تمويه . وقوله في الحديث « إذا سألت فاسأل الله » وقوله لأصحابه « لا تسألوا أحداً » تمويه . وقول العلماء : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وكاستغاثة السجين بالسجين - تمويه

(الثاني) قوله: ولو كان رأي الوهابيين الخ كلام ساقط كما سلف وأبنا أن ترك الاسباب ليس كالا ولا يصح الأخذ به وهو مخالف لسائر الاديان
(الثالث) قوله : فان كان يريد ان الاشتغال بذكر الله ومناجاته أولى فليس الكلام بيننا وبينه في الاولوية — ليس حسناً ولا صحيحاً ولا اولى ، بل لا يصح إهمال الاسباب في حال عند اجدانها وصحتها وشرعها ، وهو دين أنبياء الله كافة (الرابع) قوله : لا حرج على من يلتفت للاسباب علماً ان الله الخ — ليس جيداً لانه إما أن يريد الاسباب المشروعة فقط أو أعم من ذلك — إن كان الاول فلا يصح بل يجب عليه الاخذ بها ، والسير على مقتضاها . وإن كان الثاني فباطل ، لان ما ليس سبباً شرعياً لا يجوز الاخذ به مطلقاً ، فالعبارة برمتها فاسدة هالكة ، وإن ظنها معجزة قاصمة

(الخامس) قوله ولا بين من ترك الاسباب ثقة بالمسبب — قول نحيف سخيف فاهمال الاسباب ليس من ديننا ولا من دين الانبياء والحكماء ، بل قول بعض المتصوفة الخدوليين المعتوهين ، فالكتب المقدسة بلا استثناء أمرة بالاخذ بالاسباب الصحيحة فليأتنا بدليل واحد يدل على جواز ترك الاسباب وهجرها ثقة بالمسبب ، وهو أبعد عن يده من العميق ، وأخفى على فكره من الشمس على عينه

(السادس) قوله فكان هذا غريقاً في قدرته كما كان ذلك غريقاً في حكمته عاملاً بسنة الخ — إخاله يخال رحمة الله وقدرته بحرين ، لكن عساه يراهما بحرين عذبين . مارأينا قبل اليوم ولا سمعنا من وحي سماوي أو أرضي ان رحمة الله وقدرته

يفرق فيهما، ولكن الله يحدث من أمره ما يشاء، فلعل الاغراق حادث لرحمته وقدرته فيكونان متغيرين، ولعل فيهما من أنواع السمك كلها ما يتمتع به الفريق، ويمكن أن الصوفية الذين منهم (الدجوي) المصوبين الفرق في رحمة الله وقدرته ما يرغبهم الا السمك ولحمه الطري - ولكن الشيخ لا يرضى بذلك فهو عصري مهذب له في اليوم الواحد بل في اللحظة الواحدة عقائد وأفكار كثيرة

رجوعا رجوعا - أبعدت وفهمت غير صحيح من قلة معرفتي بعلوم البلاغة التي صار الاستاذ فيها ضليعا - فهو يريد أن يشبه قدرته ورحمته تعالى بالبحر بجامع الاحاطة والوسع في الامرين على سبيل الاستعارة بالكناية السعة كقولي أظفار المنية علقت بكلام صاحب الفضيلة مولانا الشيخ الدجوي على مذهب القوم - هذا إن سلمنا انه من القوم، ورضي أن يكون منهم فإن أبي أو أبنينا فنقول إذا استعارة تصريحية تبعية على مذهب السكاكي ولا إخاله ينازعنا في كونه سكاكياً، وإذا صح أن الامر كذلك فما فائدة هذا التقسيم الممل إذ كل من الرجلين وجميع الخلائق غريق برحمته وحكمته على هذا التفسير البلاغي، فلا يمكن تمشية كلامه إلا أن يقال باطل باطل أو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله

ثم قوله : عاملا بسنته - يقتضي أن الاول ليس كذلك . هفوات متراكمة وسقطات متناطحة . وقوله : لا حرج على الفريقين - سبق بطلانه . وأما ما زعم انه أغم به السائل وألجم به من تحت القطب من الاعتراض بالاحياء وانه لو كان حديث التلذذ والمناجاة صحيحا لكان مثله في الحي، وهو ما أولع به دائماً من التسوية بين الاحياء والاموات وهي قوله لا تغنى ولا تجدي (وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) وقد سبق إبطاله وأما ما أنكره من أن الميت لا تعلم حاله، وان ذلك سوء ظن بالمسلمين فغاية النكارة والنكر، فمن يمنع أن الانسان لا يعلم باطنه إلا الله أو من أوحى اليه؟ وهذا شيء

متفق عليه عند جماهير المسلمين ، لا يخالف فيه إلا متصوف جهول مدع معرفة
 المغيبيات أو النبوة ، إذ عقيدة المرء غائبة ومستورة عنا ، والغيب لا يعلمه مخلوق (قل
 لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون)
 (ولا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول - ولو كنت أعلم الغيب
 لاستكشرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون -
 وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو - قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم
 الغيب - وما كان الله ليظلمكم على الغيب - ولا تقف ما ليس لك به علم - ومن اهل
 المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم - وآخرين من دونهم لا تعلموهم الله يعلمهم)
 وهو كثير في الكتاب العزيز

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه أن الرسول ﷺ دعي الى جنازة صبي ليصلي
 عليها فقالت عائشة: طوبى له عصغور من عصافير الجنة . فقال رسول الله ﷺ
 « وما يدريك يا عائشة؟ ان الله خلق للجنة أهلا وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار
 أهلا وهم في أصلاب آبائهم » وفيه أيضا انه كان مع رسول الله ﷺ في قتال خيبر
 غلام له ، فقتل ، فقالت الصحابة هنيئا له الجنة فقال ﷺ « كلا ان الشملة التي غل
 من الغنائم قبل القسمة لتنتهب عليه نارا » وفيه أيضا انه كان معه ﷺ في غزوة
 من غزواته رجل لا يدع شاذة ولا نادة إلا قتلها ، فأعجب به الصحابة فأنشوا
 عليه خيرا فقال « هذا في النار » فوقع في نفوس بعض الصحابة شيء ، فذهب رجل
 من المقاتلين يقفو اثره حتى جرح وآلمه الجرح ، فقتل نفسه ، فجاء الرجل وأخبر
 الرسول وأصحابه بالقصة

وفي البخاري ومسلم أن رجلا مدح رجلا عند الرسول فقال ﷺ « قطعت
 عنق أخيك . إذا كان أحدكم مادحا اخاه ولا بد فليقل أحسبه كذا وكذا ولا
 أركي على الله أحداً » وفيها أيضا انه ﷺ قال « يؤتى بالرجل يوم القيامة

فيلقى في النار ويعمل له ربحى منها حتى تنداق معاؤه فيجتمع عليه الناس، فيقولون مالك يا فلان ألسنت كنت تأمرنا بالخير وتنهانا عن الشر؟ فيقول كنت آمركم بالخير ولا آتية وأنهماكم عن الشر وآتية» وفي الصحيح أيضا ان الرسول ﷺ قال «ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار. ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وان العمل بالخواتيم» وفي الصحيحين انه ﷺ قل «ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى إذا لم يكن بينه وبينها إلا شبر او ذراع سبق عليه الكتاب فعمل بعمل أهل النار فدخلها وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى إذا لم يكن بينه وبينها إلا شبر او ذراع سبق عليه الكتاب فعمل بعمل أهل الجنة فدخلها» والانباء في الباب كثيرة مستفيضة وهو غير فقير إلى الاستدلال ولكن ضرورة. وقد ذكر أهل السنة وغيرهم انه لا يحكم لأحد بالجنة او بالنار إلا بوحى من عند الله وهو مذكور في الكتب الصغيرة من كتب التوحيد

وبعد فنقول لذلك المعارض: إما ان تقطع لكل أحد يظهر الاسلام بالجنة إذا لم يظهر ما يتنافيه ومات عليه او تظن له ظنا - إن كان الاول كنت مخالفا لجميع العقلاء والعلماء وللقرآن والحديث كما سلف. وإن كان الثاني وانك تظن له ظنا فقد رجعت وفندت قولك بقولك

وقوله: وهو سوء ظن بالله تعالى - لا يدري وجه ذلك السوء، لأنه يرى الله يغير القلوب ويصرفها كيف شاء؟ فالقرآن يقول (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) والرسول ﷺ يقول «ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء» ونحن نرى الناس ينقلبون من كفر إلى إيمان ومن إيمان إلى كفر ومن صلاح إلى فجور ومن فجور إلى صلاح في الشهر والسنة واليوم والساعة واللحظة، او لان الله حجب عنا الحقيقة وان الظن الحسن بالله ان يربنا كل الاشياء على

وجهمها وواقعها حتى نكون عالمين بالسر والعلن فهو أقبح من سابقه وما أوتينا من العلم الا قليلا . وان كان لانه يفيد أن الله ليس رحيمًا ولا عادلا . وإلا لما كفر الناس وتركهم يخرجون من الدين - فهو أكيد من أخوبه الماضين (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين - وإن تطعم أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) وما أظنها إلا شقة مدممة لا يعرف الشيخ مصادرها ولا مواردها

وقوله : وإنا نلفت نظر السائل إلى أن من عاش على شيء مات عليه - هي فياشة مذمومة ، وكبرياء مكذوبة ، وهو أولا ليس وارداً على كلام السائل ، فالسائل يقصد أنا لا نعرف باطنه وما يخفيه ، فربما أظهر الايمان وكتم الكفران ، فلا يكون عتراضه وارداً - وان العائش على الشيء مات عليه ، فنحن نقول لا ندرى ما الذي عاش عليه ، فحرفنا مما عاش عليه ، فما فعل قولك شيئاً .

ويقال ثانيا قولك ان من عاش على شيء مات عليه وانه الحكمة والغالب وما خالفه شاذ لا يقاس عليه - يبطله الواقع والمشاهدة والنصوص الكثيرة ، وقد سلفت الاحاديث الناصة أن المرء يكفر بعد الايمان الطويل ، وبؤ من بعد الكفر . وفي البخاري انه عليه السلام قال « تأتي فتنة النائم فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من الوقف والواقف خير من المائثي ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا »

أولا يرى الاستاذ ما على يمينه وشماله وخلفه وأمامه من خروج الناس من دين الله أفواجا ؟ وان كان لا يرى أفلا يسمع ؟ وأما الحديث الذي جاء به وان من عاش على شيء مات عليه - فالجواب عليه (أولا) المطالبة بالصحة ، وفي أي كتاب ؟ وما درجته من الضعف والقوة ؟ (ثانياً) المشاهدة تنفيه وتبطله (ثالثاً) لو صح لوجب قصره على العادات والاخلاق دون العقائد والايمان للنصوص السابقة المشاهدة (رابعاً) المراد منه ان من عاش عمره كله على الايمان فعند آخر لحظة من حياته

يسدده الله ويثبت على الايمان

وقوله: وخلاف ذلك شاذ لا يقاس عليه - حسب انه مع الآمدي في باب القياس ولهذا منع جريانه هنا ، وما شعر انه عند الله وفي أفعاله

قال الدجوي: ثم نقول ان الامور في العالم مبنية على الظن حتى الامور الشرعية والاحكام الفقهية ، وعلى هذا يجب أن نعامل امواتنا فنغسلهم ونكفنهم وندفنهم في مقابر المسلمين ونورث امواتهم إلى غير ذلك ، ولسنا على اليقين الذي يريده السائل ، ولكن ذلك اليقين لم يشترطه أحد ، فعلياً أن نعد من عاش في حياته على خير وصلاح من أهل الخير والصلاح بعد موته ، ولا يجوز لنا غير ذلك ، اتباعاً لتلك الوسوس التي ما أنزل الله بها من سلطان . وليت شعري هل إذا رمينا أباً أحدهم بأننا لا ندرى حاله أم مسلم هو أم كافر أفغضب أم لا؟ وهل يريد أن لا نعمل شيئاً الا بناء على جزم ويقين؟ إذاً يخل أمر هذا الوجود وتبطل أحكامه . أما حديث عثمان بن مظعون الذي أشار اليه السائل ، فالمراد انه ينبغي الخوف من سعة التصريف الالهي وان مرتبة العبودية لا تخطي مقام الرجاء والضراعة . وأم العلماء قد قطعت على الله بأنه مكرمه على سبيل الجزم ، فأخرجت ذلك مخرج الشهادة ، وأظن لو شهدت له بالدين والصلاح لتغير جواب رسول الله ﷺ لها . وقد قال في آخر الحديث «وإني لأرجو له الخير» فهل يفرق السائل بين الرجاء وظن الخير؟ اهـ (قلت) فيه امور (الاول) قوله ان الامور في هذا العالم مبنية على الظن الخ يفيد ان الامور الدينية والدنيوية جميعها ظنيات : فلايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله الخ كله ظني ، ومن يحكم هذا الحكم؟

(الثاني) وان كان الامر كما ذكر الا ان جوابه ليس في الوضع ، إذ هذه دعوى السائل وان معرفة حال الميت ظنية فهو موافق له الا أن السائل لا يععم مثله (الثالث) قوله: وعلى ذلك يجب ان نغسل امواتنا ونكفنهم الخ مخالف فيه

لأنسلم ان المعاملة للاموات هي لما ذكر ، بل معاملة الاموات تلك المعاملة ضرورة وضبط للامور لا لاننا ظننا انه مسلم ظاهراً وباطناً بل لانه اظهر الاسلام (الرابع) قوله وعلينا ان نعد من عاش في حياته على خير وصلاح الخ إما ان يريد من عاش على خير وصلاح ظاهراً وباطناً أو فيما يظهر فحسب — ان أراد الاول لم يكن ردّاً على السائل ومن يعرف الباطن غير الله ؟ وإن أراد الثاني فلا يسلم إذ لا يلزم من ظهور ما ذكر بطونه

(الخامس) إما ان يقصد أنا نعد على سبيل اليقين او الظن ، الاول باطل ، وهو نفسه قد أبطله . وان قصد الثاني فما أفاد شيئاً

وقوله : لا يجوز لنا خلاف ذلك الخ . كيف يقال ان من قال : المرء يجب عليه أن لا يحكم الا بما علم وبكل الغيب إلى عالمه موسوساً وقائلاً ما ينزل به الله من سلطان ؟ وقوله من عاش في حياته — عبارة غريبة فهي من ظرف الشيء بنفسه . وبطلانه يعرفه من لم يفارق المهد .

وقوله ياليت شعري هل اذا رمينا احدثهم بان أباه الخ إزام عجيب فبهنا انكرنا ذلك وأنفنا منه ، فهل يدل على بطلانه ؟ قد يأنف المؤمن من الحق وبغضب من الصواب ، أيرانا معصومين ؟ ويقال أيضاً : لو قيل لنا ذلك على سبيل إبانة الحقيقة لا الاهانة واللمز لم نأنف ولكننا نغضب إذا قيل لنا ذلك على طريق العيب والسخرية — ومنذ قليل قد عاب الطريقة الخطائية وقال انها لا تجدي شيئاً في المقام التحقيقي العلمي وقد رجع إلى ما عاب وهذا * عار عليك إذا فعلت عظيم *

ثم اعتراضه ليس صحيحاً اذ هو إنكار للاسلام الذي هو الظاهر وهو مكابرة . والتنظير الصحيح لو شككنا في ايمان ابي احدثهم — ولكنه موفق أن لا يوفق

وقوله: هل يريد أن لا نعمل إلا بالجزم؟ إذاً يختل امر هذا الوجود وتبطل
أحكامه الخ - كلام غير متين . فالسائل أولاً لم يقل لا نعمل إلا بالجزم، ولو قلنا
ذلك لم يلزمه ما قال المعارض . وكان قوله يحمل على أمور الدين دون الدنيا في
يحيى الاختلال الذي شنع به ، ولو كان أراد التعميم لم يلزم ما قال وصح أن يكون
كلامه فيما يمكن الاستغناء عن العمل فيه على سبيل الظن . وأما في الضرورة فيبطل
الحرام . فيمكن السائل أن يحجبه أن العمل بالظن أصلاً حرام ولكن يباح ضروره
كما تباح المحرمات ، والحكم على الاموات بالجنة أو النار لا ضرورة فيه . فبان ضعف
كلام المعارض . وأما تأويل حديث عثمان بن مظعون ففيه ما سترى

(الاول) قوله ينبغي الخوف من التصريف الالهي الخ - يقتضي أن لا يحسن
لاحد بجنة ولا نار فلا تقطع لرسول بسعادة ولا لسكافر بشقاوة (الثاني) لم يخالفنا
السائل في أن الامور ظنية ، بيد أن السائل أسعد منه حين جعل الظن فيما لا نص
عليه باحدى المنزلتين ، وأما المعارض فأجل (الثالث) قوله أنه لو شهدت له بالدين
والصلاح لتغير جواب الرسول لها - قول لا دليل عليه ، وما الفرق بينه وبين قول
غيره؟ وأظن لو قالت له ذلك لا نكره

وأيضاً قوله لو شهدت له بالدين والصلاح - إما أن يريد ظاهراً وباطناً أو
ظاهراً فقط . أما الاول فهجوم على الغيب ويلزم منه ما أنكره الرسول ﷺ
وما أنكره المعارض ، وهو الحكم قطعاً بأن الله مكرمه ، لأن الله أخبرنا وهو
أصدق الخبيرين أن كل صالح مكرم . وإن كان الثاني فلا يحقق دعواه

(الرابع) قوله فهل يفرق السائل بين رجاء الخير وظن الخير؟ - لا موضع له هنا
فهو لا يريد التفرقة بين رجاء الخير وظن الخير بل أنه لا يقطع لاحد بجنة أو نار إلا بنص
(قال الدجوي) ولماذا لا يذكّر السائل ما أخرج البخاري عن انس قال: مروا
بمجانزة فأنثوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ « وجبت » ثم مروا باخرى فأنثوا

عليها شراً فقال «وجبت» فقال عمر ما وجبت؟ قال «هذا اثنتيم عليه خيراً فوجبت الجنة، وهذا اثنتيم عليه شراً فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الارض» أو لما أخرج عن عمر قال قال رسول الله ﷺ «إيما مسلم شهد له أربعة بالخير ادخله الجنة الجنة» فقلنا: وثلاثة؟ قال «وثلاثة» قلنا: واثنان؟ قال «واثنان» ثم لم نسأله عن الواحد - أو ما أخرجه البخاري ايضاً من قوله ﷺ في شهداء احد «إنا مهيد على هؤلاء» ثم نقول للوهابية جميعاً: لماذا لا تذكرون قوله ﷺ «والله أخشى عليكم الشرك ولكن أخشى ان تسيطر عليكم الدنيا فتنافسوها» بل راعتم إلى القول بالشرك الذي لا يخافه ﷺ على امته فأوسعتموهم ذبحاً وقتلاً متقدين أنهم مشركون خارجون من الملة، وكأن السائل أحس بذلك قال على سبيل الجزم . اهـ

(قلت) اما إنكاره عدم ذكر السائل للحديث فليس وجهاً، فما على المرء المستدل ان يأتي بكل حديث ودليل ومسئلة لها ادنى ارتباط بالمسئلة التي كرها، ولماذا لم يذكر الدجوي الاحاديث والادلة التي اسلفناها المضادة يقول فهو لا يأتي في كتاباته الا بما يوافق هواه ويتناسى ما يخافه او يجهله . الاثمة كلهم لا ياتون بكل شيء يتعلق بالمسئلة التي يتكلمون عليها، فهل عيب لك عليهم؟ فان كان يريد ان يقول هذا غش وتدليس، فليس جيداً لأمور الاول) ان الحديث الذي اهمله ليس حجة عليه ولا منافياً للحديث الذي ذكر خبر «انهم شهداء الله في الارض» لم يخبر انهم شهدوا له بالجنة ولا بالنار، بل انه عمل خيراً ورأوا منه اعمالاً طيبة وهو لا يضاد الشك في مصيره

وأما قوله ﷺ «وجبت-وجبت» فيمكن أنه أوحى اليه بذلك أو ألهمه الله سبحانه وأخذاً من قولهم، وقول عمر مثله، فعمر اتبع الرسول ﷺ فيما حكم، ولا يؤخذ منه أن عمر يراه من أهل الجنة قطعاً، فان كان عمر قطع له بالجنة فقوله غير حجة،

فالحجة في الوحي أو في الاجماع . وعمر رضي الله عنه أعطي من الفراسة وقوة
البداهة ما لم يعطه غيره ، فلا يجوز لغيره أن يسلك مسلكه

ونسأل هذا المعترض أيضا فنقول : هل تأخذ الحديث على ظاهره وان من
شهد له ثلاثة او اثنان بالجنة يكون فيها قطعاً او ظناً . فالاول - مع بعده - يلزمه عليه
ما لا يحبه ولا يرضاه ، وان الوهابيين كافة في الجنة أو أكثرهم ، فكل واحد منهم
شهد له الجماهير الكثيرة بالصلاح والتقوى ، فعليه يكونون في الجنة يقيناً . ثم تأخذ
بالرواية الاخرى بان من شهد عليه الصالحون بالشر يكون في النار ، فينتج منه أن
الرجل الذي يشهد عليه الوهابيون بالشر من أهل النار - عملاً بالحديث ، ولا أظنه
يرضاه ، ولا بد حينئذ من أن يقول حاشا الوهابيين ، فيقال حاشا غير الوهابيين
ونرجع فنقول : إما أن يكونوا مشمولين بالحديث أو لا ، إن كان الاول
وجب ما قلنا ، وإن كان غيره قلنا ما الذي أخرجهم من عموم الحديث ؟ إن قال
لانهم ليسوا مسلمين كلف البرهان على كفرهم ، ولا يأتي بدليل إلا هدم . وان
قال استثنيتهم لثلاث يلزم تكفير المسلمين . قلنا نؤول الحديث لثلاث يلزم ما فررت
منه . ويقال أيضا الحديث رد على المعترض أبلغ رد ، ففيه ان قوما أثنوا على الميت
شراً ولم ينكره عليه السلام ولو كان واجبا أن يعتقد فيمن ظاهره الاسلام انه في الجنة
لخطأهم رسول الله وزجرهم عن ثلثه

ويقال بعد : هل تقول كل من يشهد له اثنان بالخير والصلاح يقطع له بالجنة
سواء أكانوا صادقين أم كاذبين ، أم ثم تفصيل ؟ إن كان الاول فإما أن يقول ان
الاثنين الشاهدين معصومان ولا يمكن ان يشهدا إلا بما كان حقا فلا يخطآن . أو
لا يقوله - إن كان الاول فلا يوافقه أحد ، وان قال انها ليسا معصومين ، وقد
يشهدان للعناق بالصلاح والايمان ، كذبا وزورا ، أو خطأ واغترارا ، ومعه
يكون المشهود له بالجنة ولو كان في الحقيقة من الزنادقة ، وهذا أبعد مما قبله . وان

قال هناك تفصيل فلا تكون شهادة الاثنين أو أكثر مدخلة الجنة إلا إذا كان المشهود له من مستحقيها وأنه يجوز خطأ الشهود فقد بطل اعتراضه

وأما قوله في شهداء أحد « أنا شهيد هؤلاء » فمن أغرب الاحتجاج. فكيف يلزم من أنه شهيد عليهم أنهم من أهل الجنة؟ والشهادة قد تكون بالشر كما سلف وأن كانت شهادته عليهم بالخير والصالح لم يكن لغيره مثله إذ هو يوحى إليه ويطلعه الله على المغيبات (ولا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) ومع ذلك كانت شهادته على قتلى أحد لا تسوى بالشهادة على غيرهم لما جاء من الأدلة الكثيرة في فضلهم وصالحهم ظاهرا وباطنا. ويمكن أن يقال شهادته عليهم في أنهم قتلوا في سبيله تعالى وأظهروا نصرته، والدفاع عن شريعته.

ثم الحديث يقول « أيما مسلم شهد له » الخ ومن أين لنا أنه مسلم ونحن لا نعرف إلا الظاهر، وما كل مظهر الاسلام مسلما إذ الاسلام عند أغلب العلماء هو الايمان والايمان لا يكون إلا باعتقاد وتصديق

وأما الحديث الذي شهدوا فيه لرجل بالخير وآخر بالشر فقال صلوات الله عليه الذي الخير « من أهل الجنة » ولذي الشر « من أهل النار » (فأولا) ظاهره إجماع الصحابة له وإجماعهم حجة (وثانيا) إن لم يكن إجماعا فهو من أغلبهم، وقول أغلبهم حجة عند بعض العلماء (وثالثا) وإن لم يكن الاغلب حجة فيمكن أن يكون كذلك مع شهادة الرسول صلوات الله عليه وانضمام شهادته إلى شهادتهم (ورابعا) ربما كان ذلك بوحى وقد صادف شهادتهم (وخامسا) ربما قيل في قوله وجبت له الجنة ووجبت له النار المراد بشرطه وهو أن يكون صالحا لدخول الجنة أو دخول النار ولا بد من ذلك وإلا أضحى الامر أضحوكة

(ويقال سادسا) قد تناقض الشيخ. ففي حديث عثمان بن مظعون جعل الامور في العالم جميعها ظنية، وأنه أنكر حتى على الصحابية الشهادة المهاجر بالجنة، ثم جاء

بعد بهذه الاحاديث وأخذ منها جواز الشهادة للميت بالخير أو الشر
وأما قوله: لم لا يذكر الوهابيون حديث «والله ما أخشى عليكم الشرك» الخ
فان كان يريد انهم لا يدكرونه في كل الكتب المؤلفة لهم ولا في واحد منها فهو باطل
فقد ذكره في بعض تأليفهم . وإن كان يريد انه يجب عليهم أو يحسن أن يذكره
في كل كتاب فهو بعيد ، وما أظن الامتاز جاء بهذا الحديث إلا ليرد على الوهابيين
ويبطل به قولهم : ان الشرك قد يقع من بعض الامة الاسلامية . والحديث يفيد
ان الشرك لا يقع في هذه الامة ، وهو فهم بعيد وقد قلد فيه غيره وهو الشيخ سليمان
ابن عبد الوهاب ؟ ونحن نبين ضعفه من وجوه :

(الاول) هو خطاب للصحابة فلا يدخل سواهم إلا بنص وأين هو؟ (الثاني)
قوله «لا أخشى» لا يقتضي عدم وجدان المنفي عنه الخشية ، إذ قد يقول القائل :
والله لا أخشى الموت - وإن كان يعلم نزوله به قطعاً (الثالث) يحتمل انه في أول
الامر أو قبل أن يوحى اليه ان الشرك يقع في امته (الرابع) مخالف بأكثر منه
عددًا في الصحيح . قال صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الاصنام»
وفيه أيضاً انه قال «لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى» وفيه أيضاً قال
«لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة» وفي الصحيح
وكثير من كتب الاسلام انه صلى الله عليه وسلم قال «لتبعن سنن من قبلكم حذو القذة
بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم «لا تقوم
الساعة وفي الارض من يقول لا اله إلا الله» وفيه قال «ليزدادن أقوام عن حوضي
يوم القيامة فأقول يارب أصحابي أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك
انهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم» وفي مسند الامام أحمد قال صلى الله عليه وسلم «أخوف
ما أخاف عليكم الشرك الأصغر وفتنة الدجال» واتباع الناس له في الاخبار بالغة
مبلغ التواتر . وقال صلى الله عليه وسلم «بدىء الاسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدا ، فطوبى

للغرباء » و « تأتي فتنة - إلى أن قال في آخر الحديث - يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » والاخبار أكثر من أن تعد

(الخامس) إما أن يريد الحديث نفي الشرك عن الامة الاسلامية قاطبة أو عن بعضهم : الاول لا يقال . انثاني لادليل فيه ألبته

(السادس) إما أن يقصد نفي الشرك من أمة الدعوة والاجابة أو أمة الاجابة فقط . الاول لا يمكن والثاني إما أن يريد به نفي الردة عن كل داخل الاسلام ، فهذا أيضاً لا يمكن ، فلم يبق إلا تأويل الخبر إلى وجه من الوجوه السائفة الضاحكة (قال الدجوي) ونحن نقول له يكفيننا حسن الظن ، وحسن الظن بالمسلم

مطلوب خصوصاً الصالحين ، وأما الجزم ان الذي يريد فلم يشترطه أحد كما قلنا (قلت) إما ان يريد أن حسن الظن يكفيننا ان يكون يقيناً ، أو يكفي لان يعمل به على أنه ظني ، الاول غير خاف أنه ليس مزاداً . والثاني ان أراد انه يعمل به في كل موضع فغير مسلم ولا دليل عليه . وإن أراد في بعض المواضع ، فسائله لا ينازعه وكيف يقال الظن يعمل به في كل موضع ؟ ولو كان كذلك لم تقبل قضية ولا حديث واحد إلا المتواتر ، إذ الظن متطرق اليه وأنى يكون مقبولاً والقرآن يقول (ان الظن لا يغني من الحق شيئاً - إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس)

وقوله : وحسن الظن بالمسلمين مطلوب - كلام منازع فيه ، ففيه تفصيل وليس على إطلاقه ، ولو كان حسن الظن مطلوباً لسلك من أظهر الاسلام لفسد الاسلام واختل النظام (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ولو كان مسلماً وقل (وإذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً) وهذا يعقوب عليه السلام أنهم أبناءه فقال (ان أرسله معكم - إلى قوله - والله على ما نقول وكيل) ولما قالوا له (ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا) قال لهم

(بل سوات لكم أنفسكم أمراً) فان قيل لانهم خانوه أولا ، قلنا أولاد يعقوب على عجرهم وبجرهم أحسن من صالحى أهل زماننا ، وهيهات ان نحسن الظن بمن قال القرآن فيه (ان الانسان لظلوم كفار - وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا - قتل الانسان ما أكفره - ان الانسان لربه لكنود - كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى - وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا) إلى غيره من الآيات الجارحة للانسان (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون * الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم)

وفي فن الحديث لا يقبل حديث الرجل حتى تعرف حاله فلا يكفي ظهور الاسلام ، فهذا سوء ظن بأهل الاسلام .

وهذا المعنى شائع في لسان الادباء والشعراء والكتاب ، فطالما أهموا الناس ونبزوهم بأصناف العيوب . قال قائلهم :

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي انه بعض الانام

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فاعلة لا يظلم

ودهر ناسه ناس صغار وان كانت لهم جثضخام

وغير ذلك مما هو معروف مشهور من الحكم الشعرية

وانما الحزم سوء الظن بالناس ، ولسنا نعتمد على أقوالهم بل نبين أنا لستنا منفردين بهذا الرأي ، وبعد ذلك كله فالسائل لم ينكر حسن الظن بالمسلمين بل قرره وأثبتته ، فان كان قولي صحيحا فالسائل والمسئول مخطآن ، وان كان باطلا فلا اعتراض على السائل

(قال المكي) ومن المجازفة أن تزيد على حسن الظن فيمن لم يرد لهم شهادة من المعصوم

(قال الدجوي) ونحن نقول : ومن المجازفة أن نسيء الظن بمن لم يرد فيهم نص من المعصوم خصوصاً من ظهرت عليه علامات الخير، وأمارات الصلاح، أو ظهرت له كرامات في حياته أو بعد مماته، وتجبوز أن يكون قد تغير حاله من سوء الظن بالمسلمين بل بالله كما هو عقوق للآباء والاجداد اهـ

(قلت) اعترض لا محل له لان السائل موافق على استحسان حسن الظن أو إيجابه بلا زيادة ولا نقصان، فما وجه قوله : ومن المجازفة أن نسيء الظن؟ وهل قال السائل في أسوء الظن أو أشير اليه، ولكن الشيخ نسي أن هناك واسطة بين الأمرين وقوله : خصوصاً من ظهرت عليه أمارات الخ — سائله لا ينكره . وقوله : وتجبوز أن يكون قد تغير حاله الخ — غير جيد لأننا إذا رفعنا التجبوز صار يقينا ومن يقول إن زيدا المؤمن أمس أجزم أنه مؤمن اليوم أو غداً؟

(قال المسكي) ولم أكون مسروراً لو عثرت لنا على نص صريح في هذا النوع من الوسيلة (قال الدجوي) قد ذكرنا من الأدلة العقلية والنقلية الشيء الكثير، وقد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول

(قلت) حقاً ذكر الشيء الكثير من الأدلة العقلية والنقلية : أما الأدلة العقلية فهو التسوية بين الحي والميت . وأما الأدلة النقلية فحديث الاعى، وهذا دليلان العظيمان في عينه قد رآهما السائل كثيراً كثيراً فما زاده شيئاً وما أجابه إلى طلبته ثم ختم الرئيس الجليل صاحب الفضيلة مولانا الشيخ يوسف الدجوي مقاله الرائع، ونوره الساطع، وحكمه الفتانة، وأجوبته المسكتة الشافية بقوله :

وعلى الجملة فقد أجمعت الشرائع كلها والفلاسفة الاقدمون والفلاسفة العصريون أو نقول المسلمون والاوربيون والاميركيون والهندوس على اثبات الحياة ولوازمها للارواح وعلى أن لها من الاطلاق وسعة التصرف ما لم يكن لها حال حياتها في هذا العالم وهو عين ما قرره ابن القيم أحد أئمتهم في كتاب الارواح . أسأل الله

يزيل عنا حجاب المادة وكثافة الطبيعة، وظلمة الاشباح بمنه وكرمه. اه
(قلت) هل نقول في هذا الكلام شيئاً أو نكاه إلى القراء أو نشترك جميعاً
في القول فيه؟ لأدري كيف يستكثر بجمع الالفاظ ومترادفاتها وتكرارها بأو،
والنفصيل بعد الاجمال، والاجمال بعد التفصيل - يقول ان الشرائع كلها والفلاسفة
السابقين واللاحقين من مسلمين وكافرين مجمعة على وجود الارواح في حال الحياة
وبعدها، وانها أقوى منها وأنفذ بعد موتها. وأجمعوا أيضاً على اثبات لوازم
حياتها، وهو ما يقرره من التوسل ودعائها وندائها والاستغاثة بها، وهذا
الحكم منه قائم على قواعد:

(الاولى) أن فضيلة الشيخ قد اطلع على الكتب المنزلة من عند الله كلها، وعلى
كتب الفلاسفة أجمع من متقدمين ومتأخرين، وما أظن أحداً يقدر على هذا ما خلا الله
(الثانية) أن الناس أجمع مؤمنون بالروح مثبتون لها وأنه ليس هناك مذهب
مادي ينكر الروحانيات، وهذا المذهب موجود الآن في أوروبا (الثالثة) أن الخلاق
كلها من مؤمنين وملحدين مؤمنون بالتوسل منادون للاموات، لانه من لوازم حياة
الارواح كما قال هو، وهل يرى مولانا أن ملاحظة بلده يلجأون ويستغيثون عند
كربهم بالامام الشافعي والسيد الحسين مثلاً؟

(الرابعة) أن خصومه من الوهابيين ليسوا مسلمين لانه يقول: أجمع المسلمون
على ذلك، والوهابيون غير قائلين به، فالنتيجة هم غير مسلمين (الخامسة) ان
ابن القيم يجيز التوسل بأنواعه، لانه بعد حكايته كلامه قال: وهو عين ما قرره
ابن القيم. ومن جملة ما حكى إثبات لازم الحياة، ولازم الحياة للروح دعاؤها،
والاستغاثة بها. لا أدري أهو يذكر هذه القواعد عند زبره مازبر؟

وقوله: أسأل الله أن يزيل عنا حجاب المادة وكثافة الطبيعة - كأنه سئم
من السادات كلها وطلب نفس الارض وما عليها وما تحتها وما عن جهاتها، إذ

لايتأتى إزالة حجاب المادة إلا بذلك ، أو هو يسأل ربه أن يكون ولياً يخترق بصره
الحجب الكشيفة - الله أعلم بمراده

لست أدري ماذا يقول ويصنع عندما يرى كتابي هذا؟ أينكمش خجلاً وحياءاً
أم ينفجر غيظاً واعتداءً؟ أم يقول (ربنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا) وهذا
أحبها إلينا والله أعلم بما كان وما يكون
وقد أهملنا بمض أسئلة المكي وأجوبة الدجوي استغناء بما سبق في كتابنا
فما تركنا إلا ما تكلمنا عليه . والله أعلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ثم الكتاب بعون الواحد الصمد مبرءاً من عيوب الحيف والفناء
يختال في حلال التوحيد ضافية مثل اختيال العذارى بالملأ الخرد
— تكاد من حسنه تهوي النجوم له وينزل الطير بين الجمع والوحد
— يكاد يبصره الاعشى ، ويسمه الصمد اسم الأذان ويهدي فاقد الخمد
يرضى به كل من كانت سريرته تقوى الإله ولم يحسد ولم يحمد
برء الصديق وبرء المؤمنين غداً وعلة لذوي الإشرار والحسد
من اشتراه بما نالت يدها يكن هو الريح ولو بالاهل والوله



1. The first part of the book is devoted to a general

introduction to the subject, and to a discussion of the

principles of the theory of the subject.

2. The second part of the book is devoted to a

discussion of the principles of the theory of the subject.

3. The third part of the book is devoted to a

discussion of the principles of the theory of the subject.

4. The fourth part of the book is devoted to a

discussion of the principles of the theory of the subject.

5. The fifth part of the book is devoted to a

discussion of the principles of the theory of the subject.

6. The sixth part of the book is devoted to a

discussion of the principles of the theory of the subject.

7. The seventh part of the book is devoted to a

discussion of the principles of the theory of the subject.

U. S. LIBRARY

DATE DUE

[illegible]

LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00511195

